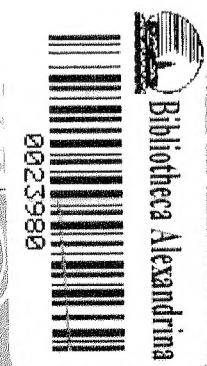
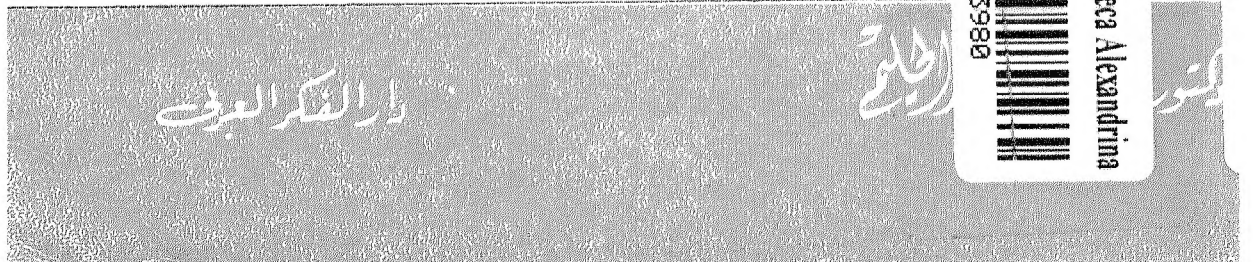
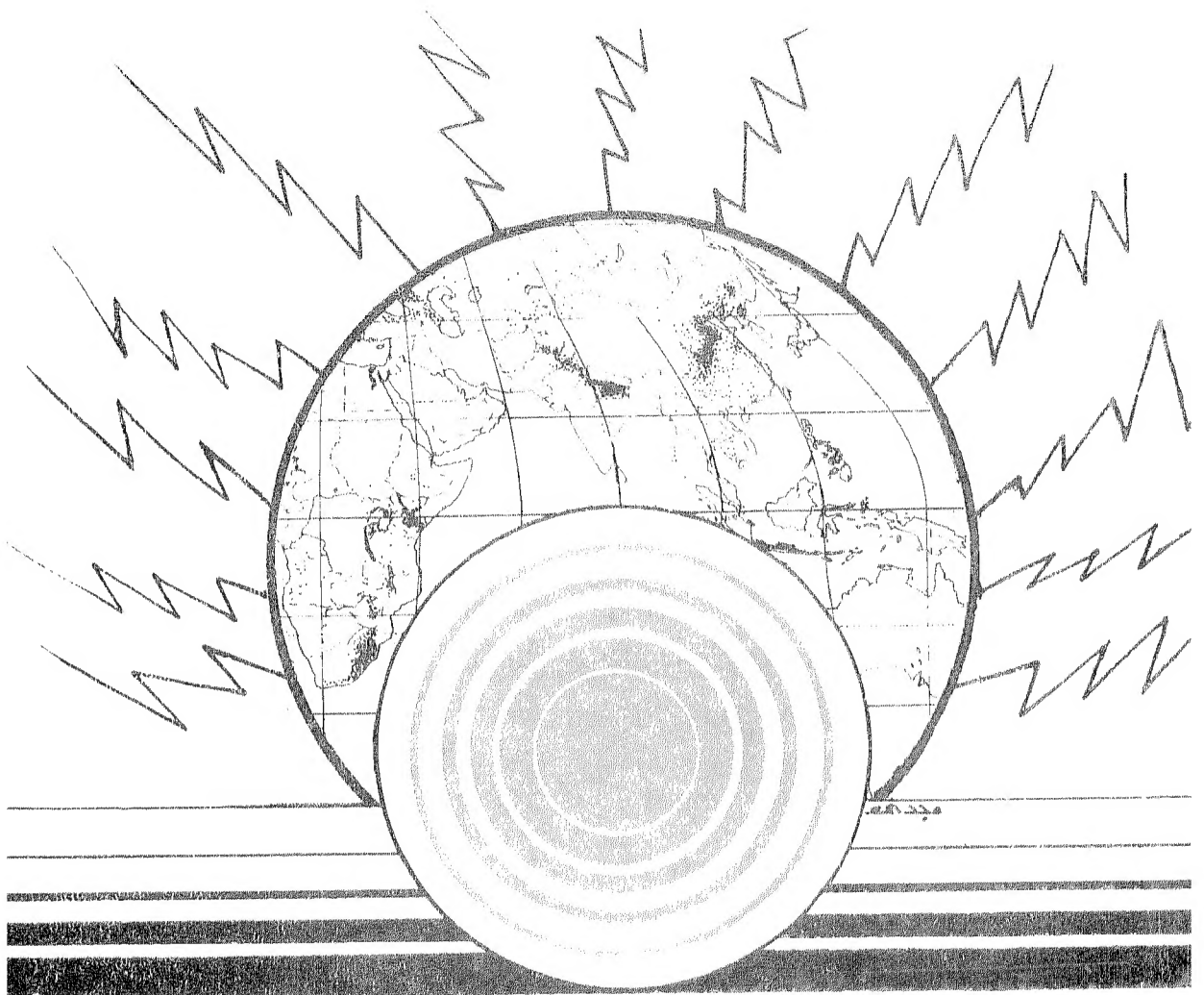


الدَّعْوَةُ إِلَى الْإِسْلَامِ مِنْ رَأْيِ الْإِخْلَاصِ الدَّيُّوْنِ



الدعوة الإسلامية والإعلام الدولي

دكتور / يحيى الربيعي عبد الله

رئيس قسم الصحافة والاعلام
جامعة الأزهر

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
١١ ش. بوارصني - القاهرة
ص.ب. ١٣٠ ت: ٣٩٢٥٥٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَذَاهِبُ الْإِسْلَامِ وَفِكَرُهُ وَمَوْعِظَةُ الْمُتَّقِينَ

(سورة آل عمران : ١٣٨)

مقدمة

تنبؤ الدعوة والاعلام عن الاسلام منزلة هامة بين الجماهير المسلمة وتتحمل مسئولية ربط هذه الجماهير بأصول دينهم ومصادر عقيدتهم ، لتأخذ على عاتقها تصحيح المفاهيم الخاطئة التي تسود لدى البعض منهم ، وتحقيق الهدف الاسمي الذي نزلت من أجله هذه الرسالة ليكون الاسلام هو الاطار الذي يتحرك في نطاقه كل مسلم ومسلمة وتستظل به مختلف جـوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ديار الاسلام *

الا أن الاعلام عن الاسلام بين غير المسلمين يبرز مطلباً رئيسياً ليحتل مكانة لا تقل عن مكانته بين المسلمين ، لأن هذا الدين الخاتم ما جاء ليتفوق أو ينفلق في منطقة بعينها أو بين شعب بذاته ، ولكنه جاء ليخاطب العالم أجمع مشتملاً على كل المعاني السامية والمفاهيم الصحيحة التي احتوتها سائر الديانات السماوية مصداقاً لقوله تعالى :

« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » (١) *

وهنا يتحمل المسلمون جميعاً حكومات ومؤسسات وأفراداً مسئولية ابلاغه الى الدنيا كلها انطلاقاً من فرضية الاعلام بهذه الرسالة ، وتنفيذاً لوصية نبيهم الذي قال الله على لسانه : « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » (٢) *

وتتضاعف هذه المسئولية الآن بعد أن حملت لنا الاكتشافات الحديثة

(١) سورة الفتح : آية (٢٨) .

(٢) سورة يوسف : آية (١٠٨) .

والبحوث المعاصرة معطيات تقنية ووسائل الكترونية وامكانات اعلامية لم تنتج للأجيال التي سبقتنا . وهذه الفنون والطرق الحديثة تمكن لرسالة الاسلام من الانتشار والوصول الى كل أرجاء هذا الكوكب بسهولة وسرعة دون عناء أو مشقة ، لتعريف شعوب الأرض جميعها بالاسلام وتصحيح صورته لديهم ، وبعد ذلك « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » (٣) .

فالمواصلات السمعية والبصرية والأقمار الصناعية وأجهزة الاتصال الالكترونية الحديثة بيسر ذلك ، ومكنت للتدفق الاعلامي من أن ينساب بتلقائية ويسر الى أى مكان في العالم ، حتى أن ما يدور في أقصى الشرق أصبح يسمعه ويراه القاطنون في أقصى الغرب في نفس اللحظة .

وليس للمسلمين بعد ذلك عذر اذا قصرُوا في حمل أمانة الدعوة وتقاعسوا عن مسئولية البلاغ الذي كلفهم الله به لأنه فرض عين سيحاسبون اذا تقاعسوا عن أدائه كما يجب ، وذلك في مختلف مجالات الحياة التي يمارسون فيها نشاطهم وتحركهم وعملهم تنفيذا لأوامر ربهم .

وهذا يكشف عن أهمية الدور الذي يمكن أن تؤديه المنابر الاعلامية وتضطلع به المؤسسات الاسلامية في المجال الدولي لتتحمل مسؤوليتها في هذا الصدد . بعد أن أصبح من الممكن السماح للحكومات والمؤسسات والجماعات الاسلامية باقامة هذه المنابر والمؤسسات في معظم دول العالم دون موانع أو معوقات ولا سيما في المجتمعات الليبرالية . كما أصبح من الممكن لهذه المؤسسات أن توظف وسائل الاعلام الحديثة الى جانب الوسائل التقليدية وتستخدم فنون الاعلام المختلفة لتحقيق هاذ الهدف وفق استراتيجية اعلامية مرسومة وخطط علمية مرنة .

وهنا تبرز المكانة التي تحتلها المؤسسات والمراكز الاعلامية في العالم لتحتل مكان الصدارة بين المؤسسات الاسلامية في هذه المجتمعات الليبرالية لتحمل مشعل الدعوة ، وتحقق الأغراض التي تستهدفها استراتيجية العمل

(٣). سورة الكهف : آية (٢٩) .

الاعلامى ولتؤدى دورا تفتقده المجتمعات الغربية بصفة عامة للبلاغ بما أنزل الله سبحانه للجماهير المسلمة أم غير المسلمة ولا سيما أن الراى العام هناك فى مجمله يفتقد فهم وادراك الصورة الصحيحة التى تتضمنها هذه الرسالة السمحة ، لأن هذه الدعوة تصله مبتورة حينا ومشوهة أو محرفة أحيانا ، وذلك بفعل الحملات الشرسة التى يشنها أعداء الاسلام والمسلمين هؤلاء الذين يحرفون الكلم عن مواضعه •

ويشتمل هذا الكتاب على ستة فصول تتناول الموضوعات التالية :

يتناول الفصل الأول الاتصال كشرىان رئيسى لحياة الانسان ، والدور الذى أحدثته التكنولوجيا المعاصرة فى نظم الاتصال ووسائله ، والتخطيط العلمى للدعوة الاسلامية فى ضوء ثورة الاتصال بالجماهير ، وخطورة غياب استراتيجية اعلامية اسلامية تستفيد من معطيات العصر وتقنياته •

كما يعالج هذا الفصل الجانب الدولى لدعوة الاسلام ، ومسئولية المسلمين جميعا عن البلاغ بما أنزل الله ، ويعرض الأدلة والبراهين التى تؤكد على عالمية الرسالة الاسلامية التى لم يخص الله بها قوما دون غيرها أو يوجبها على زمن دون آخر ، كما يشتمل على كيفية تأهيل الكوادر البشرية القادرة على حمل أمانة الدعوة ، واعلام الناس جميعهم بها • وحدد هاذ الفصل كذلك المساحة المشتركة بين الطبيعة البشرية ، والمركزات الأساسية التى تقوم عليها الدعوة الاسلامية •

واشتمل الفصل الثانى على الملامح المميزة لدعوة الاسلام ، والقوة الذاتية الكامنة فى هذا الدين ، والتى حقق لها انتشارا هائلا على هذا الكوكب •

والقواعد الرئيسية التى تحكم الدعوة الاسلامية وتميز أساليبها من واقع ما ورد فى هذا الشأن فى القرآن الكريم ، ومن خلال الممارسات العملية لرسول الله والتى تقوم على وضوح المعنى ، وقوة المنطق ، وسلامة العبارة ، ورقعة الأسلوب وعظمة الفكرة وسمو الهدف ، كما يؤكد هذا الفصل على

فرضية الاعلام عن الاسلام ووجوبه على كل المسلمين حكومات ومؤسسات
وأفراداً •

وعالج الفصل الثالث العلاقة بين رسالة الاسلام والرسالات السماوية
الأخرى ، والفارق الجوهرى بينها والذي يكمن فى عالية الاسلام وتجاوزه
لحدود الزمان والمكان واستمراريته الى أن تنتضى هذه الحياة الدنيا ، ويرث
الله الأرض ومن عليها باعتباره منهج حياة ونظاما جامعاً ، ومعجزة خالدة ،
ورسالة خاتمة •

ويعرض الأدلة والبراهين القاطعة التى تحصر الرسالات السماوية الأخرى
فى أقوام بعينهم أو أحقاب معينة بحكم الأهداف التى تسعى هذه الرسالات
ليحققها والجماهير المكلفة بالتوجه اليها •

أما الفصل الرابع فيتناول العلاقة بين الاسلام — دين الفطرة — وبين
الطبيعة البشرية مدللاً على أن الدعوة الاسلامية انما تثتقى مع فطرة الانسان
وتلبى احتياجاته النفسية والعضوية ، ومن هنا تكمن قوتها واستمراريتها ،
فهى تدعوة للاخوة بين جميع الناس ، فأصلهم واحد وتكوينهم واحد ومنتهاهم
واحد ، كما تدعو لاحترام الانسان والارتفاع بمنزلته عن سائر المخلوقات ،
وهى دعوة حق ورسالة عدل ، تلزم تابعيها باحترام العهد والالتزام
بالمواثيق ، كما أنها امتداد لكل الدعوات السماوية التى سبقتها واحتواء لها ،
فلا تناقض ولا تضارب مع أى منها ، ولكنها تؤكد كلها جميعاً ، وتصحح مسارها •

واشتمل الفصل الخامس على فضائل الاسلام ومثله العليا باعتبارها ذخيرة
الدعاة فى مواجهة جميع الشرائع الجماهيرية فى كل زمان وكل مكان لدرء الاتهامات
التي قد توجه الى هذا الدين والادعاءات الباطلة التى تصمه ، فهى دعوة
صادق ترفض الكذب وتشجب النفاق وتحث على العدل وتأمر بالمساواة ،
وترسخ كل معانى الخير والفضيلة ، يؤكد ذلك ما تضمنه دستورها الأزلى
— القرآن الكريم — وسنة نبيها من قول أو فعل أو تقرير •

وتضمن هذا الفصل كذلك المرونة والاعتدال التى تتسم بهما دعوة الاسلام ورفض الجمود أو التصلب فى الشكل أو الموضوع *

أما الفصل السادس فقد تناول أهمية إقامة مؤسسات اتصالية ومنابر اعلامية حديثة تأخذ على عاتقها استثمار تكنولوجيا العصر وتقنياته لنشر الاسلام وتعريف العالم بحقيقته ، مستفيدة فى ذلك من مناخ الحرية المسائد فى دول العالم اللبيرالى ، مؤكدة على أن الاسلام يحترم حرية الانسان فى التفكير والتعبير والعقيدة ، ولتزود هذه الشعوب بالمعلومات الصحيحة عن الدين الاسلامى التى تتعطش الجماهير هناك لمعرفةا ولتقدم لهم البديل الاسلامى للجانب الروحى المفتقد فى حياتهم ، ولتجمع شمل الأقليات المسلمة فى هذه الدول مستثمرة الظروف المعاصرة التى تحكم حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية *

الفصل الأول

الدعوة الإسلامية وثورة الاتصال بالجمهورية

مكانة الاتصال في حياة الانسان

باستعراض التاريخ البشرى منذ النشأة الأولى حتى اللحظة التى نعيشها نجد أن الاعلام كان ولا يزال يشكل احدى الدعائم الأساسية التى تقوم عليها حياة الانسان على هذا الكوكب ، بل انه يصعب استمرار هذه الحياة فى غيبة الاعلام أو الاتصال البشرى .

ذلك أنه من الأمور التى تميز البشر عن غيرهم من المخلوقات الحية تكمن فى قدرتهم الخاصة على ممارسة الاتصال ، والانسان كان فى حاجة دائما الى وسيلة تراقب له الظروف المحيطة به ، وتحيطه علما بالأخطار المحدقة به أو الفرص المتاحة له ، وتقوم بنشر الآراء والحقائق والقرارات التى تتخذها الجماعة التى ينتمى اليها على نطاق واسع ، كما تقوم بنقل حكمة الأجيال السابقة والتطلعات السائدة فى المجتمع الى الأجيال الناشئة ، وتسعد الناس وتنسيهم المعاناة والصعوبات التى يواجهونها فى حياتهم اليومية^(١) .

فال اتصال هو شريان الحياة فى المجتمع البشرى ، وفى غياب الاتصال بين الأفراد والجماعات الانسانية فان العلاقات بينها تتجمد ومعين الحياة ينضب . والانسان يمارس الاتصال فى حياته اليومية بصورة تلقائية منذ أن يستيقظ من نومه حتى يأوى الى فراشه ، ويتميز الاتصال الانسانى عن الاتصال الحيوانى بالمرونة والتكيف والقدرة على التعامل مع متغيرات الحياة المحيطة به^(٢) .

(١) جيهان رشتى : الأسس العلمية لنظريات الاعلام . القاهرة . دار الفكر العربى . ١٩٨٨ . ص ٣٦٦ .
 (٢) محيى الدين عبد الحليم وحسن الفقى : العربية فى الاعلام . القاهرة . دار الشهاب . ١٩٨٨ . ص ٤٧ .

ويصف ولبور شرام Wilbur Schramm البشر بأنهم حيوانات اتصالية وهذا هو ما يميزهم عن سائر المخلوقات الأخرى لأن الاتصال يسود حياتهم ويتخلل كل نشاطهم ، وهو الذى يربط حواس الانسان بالعالم المحيط به ، وهو أهم المهارات التى يتميز بها البشر ، والانسان لابد أن يمارس الاتصال لى يظل مرتبطا بالحياة من حوله لأن حياته عبارة عن شبكة من العلاقات التى تقوم أساسا على الاتصال الذى هو شريان الحياة بالنسبة له ، وهو أشبه بالدم لا يستطيع جسم الانسان البقاء والاستمرار بدونه (٣) .

ويرى جوزيف كلاپر Joseph Klapper أن الاتصال البشرى هو الأساس الذى يقوم عليه البنيان الاجتماعى للأفراد باستخدام الرموز المختلفة كاللغة والاشارات ونحو ذلك ، ومن خلال علامات متبادلة ومفهومة ، وبالتالى فالاتصال يمارس دورا حيويا فى تكوين وإعادة تكوين الآراء المختلفة (٤) .

وبالتالى فيصعب على الجماعة البشرية مواصلة حياتها بدون اتصال ، ذلك أنه بفضل الاتصال تتواصل الأجيال عبر العصور المختلفة والمسافات المتباعدة متخطية حواجز الزمان والمكان لتحول العالم الذى نعيش فيه الآن الى قرية صغيرة يترك ما يدور فى أحد أجزائها صدىا الواسع فى كل مكان بها وذلك بعد أن أحرزت وسائل الاتصال تطورا مذهلا وتغلغلت فى حياة الناس وأسهمت فى تكوين اتجاهاتهم العقلية والوجدانية ، وغدت هذه الوسائل من أهم مصادر المعرفة للجماهير بصفة عامة وأصبحت تلعب دورا بارزا فى العلاقات الدولية سواء بالنسبة لكونها قنوات اتصال بين الشعوب أم بالنسبة لكونها أدوات للتفاهم والمعرفة بين الأمم .

ويعيش عالم اليوم ثورة الاتصال الجماهيرى Mass Communication

Wilbur Schramm : Men, Messages and Media. (٣)

New York, Harper and Row Publishers, 1973. P. 18.

Joseph Klapper : The effects of Mass Communication. (٤)

New York, Free Press, 1967. P. 60.

حيث ان الاعلام الموجه الى انسان اليوم لا يتوقف الآن في أية لحظة من لحظات النهار أو الليل ، وأن هذا الانسان يواجه منذ اللحظة التي يفتح فيها عينيه وينهض من نومه بمؤثرات اعلامية تتسابق للتأثير على عقله واتجاهاته وتظل تلاحقه طوال النهار والليل ، أى ان المواطن المعاصر لا يأوى الى فراشه قبل أن يقرأ ويرى ويسمع كما هائلا من المعلومات والمشاهد تعرض أفكارا واتجاهات وفنوناً ودعايات تستهدف شد انتباهه الى هدف من أهدافها ، وهى تحاصره حصارا محكما لا سبيل الى الاغلات منه ، حصارا لم يشهده الانسان فى أى عصر سواء تم ذلك من خلال الوسائل السمعية أم البصرية أم المقروءة أم وسائل الاتصال المباشر(*) .

وتلعب التكنولوجيا المعاصرة فى وسائل الاتصال ونظم المعلومات دورا كبيرا فى احداث تغييرات جوهرية على حاضرتنا ومستقبلنا أردنا ذلك أم لم نرد ، وسوف تترك هذه التغييرات آثارا بارزة على البيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لمختلف المجتمعات ، وتؤدى الى خلق قنوات دولية ووطنية لتنظيم المعلومات ونقلها ، من خلال توظيف أحدث الأجهزة الالكترونية والمغناطيسية فى هذا الصدد(°) .

وقد مكنت ثورة الاتصال للوسائل الاعلامية من الوصول الى ملايين الناس فى اللحظة الواحدة ، وأصبح الخبر يطوف حول المعمورة فى نفس اللحظة حتى تحول العالم الى قرية الكترونية ، وغدت الدنيا كلها فى متناول بصر الانسان وسمعه ، ولم يعد الاعلام يتجه الى فئة معينة أو ينحو الى تقديم معلومات خاصة ولكن الاعلام الحديث أصبح قادرا على التوجه الى الانسان أيا كان وحيث كان . وتشير الدراسات العلمية الى التقدم الهائل الذى أحرزته التكنولوجيا المعاصرة فى وسائل الاتصال والذى سوف

(*) محمد عبد القادر حاتم : الاعلام فى القرآن . لندن . مؤسسة هادى برس . ١٩٨٥ . ص ٣٥ .

Stephanie, H. Stowe in Library Leadership Visualizing (٥)

The Futurt, Arizona. Donald E. Riggs oryx Press, 1982 p. 67.

يحدث تأثيرات هائلة على حياتنا ومستقبلنا وعلى البيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للشعوب والأمم أرادت ذلك أم لم ترد ، ذلك أن الوسائل التكنولوجية المعاصرة سوف تسمح بتحقيق أنواع مختلفة من نظم المعلومات التي تشكل قنوات سمعية وبصرية وغيرها عبر الوسائل الالكترونية والمغناطيسية^(٦) .

op. cit ,

..(٦)

غياب استراتيجية اعلامية اسلامية دولية

تدل الشواهد والدراسات الاحصائية على ازدهار أجهزة الاتصال الدولية التي تدعو الى الرذيلة ، وتحمل دعاوى الشر ، وتثير العنصرية ، وتشعل الأحقاد بين الأمم والشعوب ، وتسهم في تدمير العلاقات بين بنى الانسان بفعل ما تزرعه من بذور الفتن وما تبثه من الحقد والكراهية منطلقة في ذلك من مفاهيم وعقائد ومذاهب منحرفة مستهدفة من وراء ذلك تحقيق مصالح اقتصادية أو مكاسب سياسية ، معتمدة على ما تملكه من أجهزة حديثة ووسائل الكترونية وتكنولوجيا متقدمة وما تضعه من خطط علمية مستثمرة أحدثت معطيات العصر في علوم الاتصال وفنونه للسيطرة على الرأي العام وغسل الأدمغة وتكوين الاتجاهات المتوافقة مع فكرها وأيديولوجياتها مستندة في ذلك الى انعدام العدالة في ملكية مصادر المعلومات وفقدان السيطرة عليها وعدم التوازن في توزيعها مما يؤدي الى نقص المعلومات اللازمة عن الاسلام والمسلمين ، أو تقديمها مبتورة أو مشوهة لتحقيق الأغراض التي تستهدفها أجهزة الاتصال المعادية التي تمارس نشاطها الدعائي منتجة الأساليب غير الأخلاقية المعروفة في هذا الصدد كالكذب والمبالغة والتجاهل المتعمد للحقائق وتقديم الرأي على أنه حقيقة .

وفي ضوء هذا المناخ المفتقد للعدالة في نظم الاتصال العالمية فان خطط الاعلام الدولي التي تحمل رسالة الحق والعدل بين البشر وتتوجه الى الفكر الواعي في الانسان وتنشر السلام والمحبة بين الناس وتنزوي وتتوارى مفتقدة الاستراتيجية العلمية والأسس المنهجية والامكانات المادية والوسائل التقنية الحديثة ، والكوادر البشرية المؤهلة والمخلصة والقادرة على حمل دعوة الخير ونشرها في مشارق الأرض ومغاربها ، وابلاغ الانسان في كل مكان بتلك الرسالة الخالدة التي حملها اليه رسل الله جميعا دون تشويه أو تدليس أو مبالغة متوجهة لكل من يريد أن يتروذ بالمعلومات الصحيحة عن هذا

الدين ذلك أن مهمة دعاة الاسلام ليست اغتصاب العقول أو تشويه الحقائق أو المبالغة في القول اقتداء بالداعي الأول الذي نزهه الله عن كل ذلك وحذره قائلاً عنه :

« ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه
السوتين » (٧) *

وتكشف هذه الحقائق عن أهمية بذل الجهود الجادة والمخلصة لوضع نظام دولي للاعلام يأخذ في اعتباره دائماً الاستفادة من كل معطيات العصر واستثمار متغيرات الحياة الحديثة ، ويقوم في منهجه على قواعد علمية سليمة ، ويعتمد في ممارساته على الطاقات البشرية المؤمنة والجادة والقادرة على استخدام الوسائل والأدوات المناسبة في الوقت المناسب للشرائح الجماهيرية التي نتوافق معها .

وقد دلت الأبحاث العلمية أن لكل وسيلة اتصال مقدرة معينة على الاقتناع تزيد أو تقل عن غيرها من الوسائل الأخرى ، وأن الامكانيات الفعلية لوسائل الاعلامية تختلف بشكل واضح حسب الموضوع والمظرف والاتصالي ، والجمهور الذي تتوجه اليه .

وفي الحقيقة أنه اذا تم وضع خطة علمية سليمة وتم اعداد حملات اعلامية متكاملة الأبعاد ومتناسقة التخطيط تستهدف عقل الانسان في أى منطقة من العالم ، فإن استراتيجية الدعوة والاعلام الاسلامي الدولي سنتمكن من خلق رأى عام عالمي مناصر للاسلام ومؤيد له كما سنتمكن من تحييد العناصر التي تناصبه العداء .

وهذه العملية في حاجة الى اعادة النظر في كل ما يكتب أو يذاع عن الاسلام ، واعداد الردود المناسبة لتوضيح الحقائق أو تصحيحها .

وكذلك ترجمة الاصدارات المتميزة من المطبوعات المختلفة والبرامج

(٧) سورة الحاقة : الايات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ .

والفقرات الصحيحة التى تتناول الاسلام بصورة موضوعية وأمانة • واعداد الأعمال الجيدة لتكون جاهزة لكل الناس فى كل مكان بمختلف اللغات لأن كثيرا من الناس لا يعرفون عن الاسلام سوى محمد ولا يعرفون عن القرآن شيئا ولا عن النظام الاسلامى سوى معلومات محدودة أو مشوهة أو غير صحيحة •

ولتحقيق هذه الأهداف لابد من التوسع فى اقامة أجهزة دولية قوية للإعلام والدعوة الاسلامية تأخذ على عاتقها وضع الخطط العلمية ، واعداد البرامج ، وتهيئة المناخ الصحى لتنفيذها ، ومتابعتها فى مختلف المراحل لجذب اهتمام الجمهور وكسب تأييده والحصول على تعاطف الرأى العام وانشاء جسور من الثقة والتعاون المتبادل مع مختلف المؤسسات والقوى الضاغطة فى مختلف المجتمعات ومن مختلف الشعوب •

ولا سيما أن كافة الظروف الدولية مهيأة الآن لتمكين هذه الأجهزة واعطائها الفرصة لممارسة دورها بنجاح وفعالية •

الاسلام والاعلام الدولي

لم تعد بحاجة الى أن تؤكد على المنزلة التي يتبوؤها الاعلام في الدين الاسلامي ولن نبتعد عن الحقيقة أو نتجاوز المعنى المقصود اذا قلنا ان الاسلام هو دين اعلامي فالاعلام هو قوام هذا الدين وقاعدته الصلبة ، وهو الجسور التي تعبر منها هذه الرسالة الى الناس ويرجع اليه فضل انتشاره على هذه الرقعة الفسيحة من كوكب الأرض •

تؤكد ذلك الحقائق القرآنية الواضحة ، والمنهج الذي سار عليه الرسول (ﷺ) في حياته ملتزما في ذلك الأمانة التي كلفه بها ربه ، ولم يحمله سواها وهي البلاغ أو الاعلام بما حمل من أمانة الدعوة ، ومن أبرز هذه الآيات قوله عز وجل :

- « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا » (٨)
- « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحافظون لحدود الله » (٩)
- « فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب » (١٠)

وقوله أيضا :

- « فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ » (١١)

وهذه الحقائق وغيرها الكثير تؤكد أن الاعلام كان وسيظل أداة هذا الدين ودعامته الرئيسية ، به تنتشر رسالة الحق لتغطي العالم كله ، وفي غيبتها تنقلص وتنكمش لتتحصن في المساحة التي لا يستطيع أن يمتد الي سواها النشاط الاعلامي الاسلامي اتسعت هذه المساحة أو ضاقت •

وبعد التقدم الهائل الذي أحرزته وسائل الاعلام وتقنياته وأدواته يصبح من الأمور البالغة الأهمية عدم اغفال ما أفرزته معطيات العصر في حقل الاعلام من طرق ونظريات وفنون •

-
- (٨) سورة الأحزاب : آية (٧٠)
 - (٩) سورة التوبة : آية (١١٢)
 - (١٠) سورة الرعد : آية (٤٠)
 - (١١) سورة الشورى : آية (٤٨)

وهكذا نرى أن الدعوة — أو الاعلام عن الاسلام — ليست من نافلة القول ، وإنما هي أساس من أسس الرسالة وركن رئيسي من أركانها وهي القطب الأعظم في الدين والمهمة التي بعث بها الله نبي هذه الأمة وخاتم الرسل ، ولولاها لذهب مقصود الرسالة وضاع هدف البعثة وفسد الفساد وعم الضلال ومنع المهدي والخير (١٢) .

لهذا جاء وجوب الدعوة أو البلاغ أو الاعلام أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . والواجب هدفاً أوجبه الله على عباده ، وعليه انعقد الاجتماع . والمسئولية الاعلامية في الاسلام ما هي الا عبادة كلف الله بها المسلمين جميعاً ، وهذه مهمة ميز الله بها أمة الاسلام على سائر الأمم ، وغضل من يتصدون لها ، وقربهم اليه عن سواهم لا فرق في ذلك بين رجل وامرأة غني أو فقير حاكم أو محكوم ما دام ذلك في حدود امكانات وطاقات وأفهام كل واحد من هؤلاء ، ويأتي ذلك انطلاقة من قول رسول الله (ﷺ) « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » .

ويصبح على المسلمين بعد ذلك حكومات وهيئات وأفراداً ألا يفرطوا في دعوة الحق ، والا يتقاعسوا عن تحمل هذه المسئولية الاعلامية والاضطلاع بهذه الأمانة حتى لا يفقدوا مكانتهم عند خالقهم ، بل وجب عليهم الاهتمام بالعمل الاعلامي وتعميمه ، ويصبح كل مسلم ملزماً بتقويم كل خطأ يقابله وتصحيح أي أعوجاج يواجهه .

وهذه المسئولية تلقى على كاهل المسلمين جميعاً ضرورة التفقه في أمر دينهم والعمل على معرفة أصوله وأحكامه حتى لا يقع أحدهم فيما لا يحمد عقابه ، وهو التصدي لقول الباطل وهو يستهدف الحق ، وبذلك يضل الناس بدلاً من أن يهديهم ، وفي هذا فهو مطالب فقط بأن يعلم بما يعلم ويدعو في حدود ما يعرف (١٣) .

(١٢) توفيق يوسف الواعي : الدعوة الى الله . الكويت . مكتبة الفلاح . ١٩٨٦ . ص ٤٧ .

(١٣) محيى الدين عبدالحليم : الاعلام الاسلامي وتطبيقاته العملية . ج ٢١ . مكتبة الخانجي . القاهرة . ١٩٨٤ . ص ١٥٢ .

ولسنا في حاجة هنا لأن نسوق الأدلة والبراهين التي تؤكد فرضية الاعلام عن الاسلام من واقع كتاب الله أو سنة نبيه ، وهي كثيرة ، بل اننا لن نجد في القرآن الكريم من الحث على بعض أركان الاسلام الرئيسية كالصيام مثلما نجد من الحث على الدعوة الى الله ، والتذكير والعظة والانذار بسوء العاقبة لمن يقعد عن القيام بهذا الواجب الذي من أجله بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . والذي يقرأ القرآن بتدبر ، يقف حتما عند الآيات الكثيرة التي تحدثت عن العلم والتعليم وعن الأنبياء والبلاغ والانذار ، والتبشير ، ويكفي أن نعلم أن الآيات التي اشتملت على كلمة أعلم وعلم وما يشق منها تجاوزت السبعمئة ، وقد تكررت بقية الكلمات مرات عديدة^(١٤) .

ومن هذه الآيات على سبيل المثال قول الله تعالى :

« أبلغكم رسالاتي ، وأنصح لكم ، وأعلم من الله ما لا تعلمون »^(١٥) .

« ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم »^(١٦) .

« هذا بلاغ للناس ، ولينذروا به ، وليعلموا انما هو اله واحد »^(١٧) .

وهكذا نرى أن المكلف بالدعوة الى الله هو كل مسلم ومسلمة بالغ عاقل ، فلا يختص العلماء أو رجال الدين وحدهم بأصل هذا الدور ، لأنه واجب على الجميع ، أما العلماء فيختصون بتبليغ تفاصيل الدين وأحكامه ومعانيه لسعة علمهم به ومعرفتهم بجزئياته ، ومعنى ذلك أن من اللوازم الضرورية لايمان المسلم أن يدعو الى الله ، فإذا تخلف عن الدعوة دل تخلفه هذا على وجود نقص أو خلل في ايمانه .

يؤكد ذلك قوله تعالى :

« ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال اننى من المسلمين »^(١٨) .

-
- (١٤) عبد الكريم زيدان : اصول الدعوة : ج ١ . د . ت . مطابع المختار الاسلامي .
- (١٥) سورة الأعراف : آية (٦٢) .
- (١٦) سورة الجن : آية (٢٨) .
- (١٧) سورة ابراهيم : آية (٥٢) .
- (١٨) سورة فصلت : آية (٣٣) .

« الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » (١٩) •

« لا خير ، في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس » (٢٠) •

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » (٢١) •
 وإذا كانت معرفة أصول الاسلام ومبادئه تعد حقا، ثابتا للبشرية جمعاء ، فإن هذا الحق يجب أن يقتسمه ويشارك فيه الناس جميعهم على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم ، وانطلاقا من هذه الحقيقة فقد وعد الله كل من يعمل على نشر وتعميم المعرفة الاسلامية بالثواب ، وكل من يقصر فيها بالجزاء والعقاب » (٢٢) •

ذلك أنه لا أهمية للمبادئ والقيم اذا لم تأخذ فرصتها للنشر والاذاعة ، لأنها لا تعدو أن تكون حينئذ آثارا محنطة ، وأفكارا مهملة لا ينتفع الناس بها ، ولا يكشفون عن جوهرها ، ولا يستفيدون في سلوكهم من النماذج التي تهديهم اليها ، ولذلك كان نشر الاسلام والتبصير به لبدا من لاسباب الدعوة وجزءا هاما من أجزائها ، وعاملا أساسيا للكشف عن جوهرها • ولم يكن التبشير أو الاعلام بالاسلام وقفا على رسول الله وحده بل تعداه الى أمته ووصل التكليف به حد الوجوب ، بل وصل الأمر أن جعل الله الأمة آثمة اذا تراجعت عن حمل أمانة الدعوة وابلاغها للعالم كله •

(١٩) سورة الحج : آية (٤١) . •

(٢٠) سورة النساء : آية (١١٤) . •

(٢١) سورة عمران : آية (١١٠) . •

(٢٢) Allahbukhsh K. Brohi : Universal Islamic Declaration
 in Islam and Contemporary Society, London, Longman
 group Limited, 1982, p. 253.

رسالة الاسلام بلاغ للناس كافة

الاسلام هو الدعوة العالمية الكبرى التي بعث الله بها محمدا لتكون نظام الانسانية الكامل في حياتها الروحية والمادية في كل زمان وكل مكان ، وهذه مسألة بدئية وضرورة فطرية لازمة للدعوة لزوم الماء والهواء لكل كائن حي ، بل ان هذه الحقيقة واضحة كالشمس لا تحتاج الى دليل أو برهان لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

وتؤكد الحقائق العلمية والعملية صحة هذا الكلام بعد ما أخفقت كل النظم الأخرى في اسعاد الانسان ، أو تحقيق الحد الأدنى من الراحة النفسية والسلام الاجتماعي له . وليس أدل على ذلك من تراجع هذه النظم عن دعائم أصيلة وأساسيات هامة في بنيتها .

وبالتالى فان دعوة الاسلام لا تقتصر على صنف من الناس دون غيرهم أو قطاع معين من الجماهير دون سواهم ولكنها دعوة عالمية موجهة الى الناس كافة . فليست خاصة بجنس دون آخر أو طبقة دون أخرى ولم تنفرد بها جماعة أو شعب معين أو جنس أو طبقة بذاتها أيا كانت انتماءاتهم العرقية أو المذهبية أو الدينية أو السياسية أو الاقتصادية ، فهي لكل الأمم ولكل الشعوب مهما اختلفت ألوانهم ومشاربهم فالانسان حيث يوجد وكيفما يكون يجب أن تصله دعوة الاسلام .

ومما يدل على صلاحية الاسلام لكل زمان ومكان أن تفسير القرآن ليس واحد بل انه متعدد بتعدد الزمان والمكان ، فالنص واحد والتفسير متعدد ، ولكل زمان دولة ، ورجال وتفسير ، والكون متحرك في الزمان والمكان ، وكذلك الاسلام ، والانسان متحرك في مراحل العمر ، لا جمود أو وقوف في زمن واحد أو وضع ثابت ، الله وحده هو الثابت . وفي الانسان شئ ثابت وهو المتصل بالله . « أما المتصل بالدنيا فهو القابل للتغيير مثلها » (٢٣) .

(٢٣) توفيق الحكيم : التعادلية في الاسلام والتعادلية . القاهرة . المطبعة النموذجية . ١٩٨٣ . ص ٢٣٢ .

وقد سيطرت هذه المسألة على اهتمام الباحثين والعلماء المسلمين على من التاريخ انكب الكثير منهم على الدراسة ووضع الخطط الكفيلة بتحقيق هذا الهدف الاسمى وفقا لظروف كل عصر ومتغيرات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تفرض نفسها فى هذا الصدد . وتصبح خطط الاعلام الاسلامى مطلوبة بأن تضع فى اعتبارها التوجه الى كل الشرائح الجماهيرية وكل فئات الرأى العام فى العالم كما هى مطلوبة بأن تتعامل مع كل فئة بما يلائمها ويتفق مع اتجاهاتها ومدى قربها أو بعدها عن العقيدة الاسلامية ، ثم تختار الوسيلة الفعالة ، وتعد الرسالة الملائمة لكل صنف من الناس .

وهكذا نرى أن من أبرز العلامات المضيئة فى دعوة الاسلام ، ومن أهم السمات التى تميزها عن غيرها من الدعوات هو الطابع العالمى ، فهى تتسع لتخاطب الرأى العام فى كل زمان وكل مكان .

أى أنه اذا كانت الدعوة الاسلامية تتوجه الى الجماهير فى العالم كله ، فهى أيضا دعوة لكل الأزمان والأحقاب لأن مضمونها أوسع ومفهومها أشمل ورسالتها أقدر على استيعاب متغيرات المكان بقدر استطاعتها على معالجة متغيرات الزمان .

حيث ان الرسالة الاسلامية وان كانت مؤسسة على قواعد راسخة فى العقيدة لا يجوز التغيير والتبديل فيها مهما تغيرت الأزمنة وتغيرت الأمكنة وتبدلت الأحوال لأنها من الأمور الثابتة التى لن يستطيع العقل البشرى اثبات خلافها مطلقا كالتوحيد ، وتأتى المصلحة العامة لتأكيد ما بها كحرمة الربا وشرب الخمر ، الا أن هذه الشريعة متحركة غير جامدة مرنة تقبل التطور والتجديد بما يتلاءم مع مقتضيات العصر وحاجاته وحسبما تمليه الحوادث وترسمه الأيام .

ولهذا أصبحت شريعة عامة على اختلاف الأزمنة والأمكنة ، وقد فتح الاسلام باب الاجتهاد على مصراعيه وهذا الباب واسع جدا يجرف كل عقبة تقف أمام التطور فى مسيرة حياة الأمم والشعوب ، وقد تقرر فى القواعد

الفقهية أنه لا ينكر تغيير الأحكام بتغيير الأزمان ، فالأحكام المتشابهة في الواقع قد تختلف باختلاف أزمان وقوعها لاختلاف العادة والعرف (٢٤) .

ولهذا حارب الاسلام الجمود على المألوف والتقليد الأعمى الذى يضل أصحابه عن رؤية الحقيقة وقد شدد الله النكير على هؤلاء الذين يدعون لذلك فى قوله تعالى عنهم :

« بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة ، وانا على آثارهم مهتدون » (٢٥) .
« قل أو لو جئتمكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ، قالوا انا بما أرسلناكم به كافرون » (٢٦) .

ولذلك نرى أن الدعوة الاسلامية لا تتوقف عند بيئة معينة أو زمان معين انطلاقاً من صلاحية هذه الرسالة لكل زمان وكل مكان فالاسلام هو دستور شامل للحياة الذى يحقق مصالح كل البشر فى كل الأزمنة وكل الأمكنة وأن شريعته سريعة خالدة وشاملة وقابلة للتطبيق فى أى مجال من مجالات الحياة لأنها تستهدف تحقيق الانسجام والتوازن بين الجانب المادى والجانب الروحى بصورة تلقائية دون أى تضارب بينهما .

ويرفض الاسلام رفضاً باتاً أن يكون للعرف أو اللون أو القوة أو الثروة أى رجحان فى موازين الكرامة الانسانية لأن المحور الذى دار عليه الاسلام هو التوحيد فى العبادة والتشريع والوجهة والولاء (٢٧) .

وحين جاءت دعوة الاسلام وجهت الى الناس . كل الناس ، وأصبح النداء : « يا أيها الناس . يا أيها الانسان » حيث أمر الله رسوله بمخاطبة

-
- (٢٤) منير القسطنطى ، محمد خلف الله .
(٢٥) سورة الزخرف : آية (٢٢) .
(٢٦) سورة الزخرف : آية (٢٤) .
(٢٧) محمد الغزالي : الدعوة الاسلامية تستقبل عامها الخامس عشر . بيروت . ذات السلاسل . ١٩٨٠ .

جميع البشر على اختلاف مجتمعاتهم وأجناسهم وأصنافهم وألوانهم ومكانتهم الاجتماعية أو المادية *

وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى :

« يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » (٢٨) *

« يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا » (٢٩) *

« يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم » (٣٠) *

« يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » (٣١) *

كما يوجهه القرآن الكريم خطابه الى الانسان فى أى موقع وأى عصر فيقول الله جل وعلا :

« يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك » (٣٢) *

« يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه » (٣٣) *

وهكذا يؤكد القرآن الكريم على عالمية دعوته وتوجهها للناس جميعا ، فهى رسالة مطلقة ونداء موجه الى الجميع غير مقيد بقيود زمانية أو مكانية مؤيدا كل ما جاءت قبله من كتب ورسل وفى ذلك يقول سبحانه :

« وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمننا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله » (٣٤) *

-
- (٢٨) سورة الأعراف : آية (١٥٨) .
 - (٢٩) سورة لقمان : آية (٣٣) .
 - (٣٠) سورة الحج : آية (١) .
 - (٣١) سورة البقرة : آية (٢١) .
 - (٣٢) سورة الأنفطار : آية (٦ ، ٧) .
 - (٣٣) سورة الانشقاق : آية (٦) .
 - (٣٤) سورة المائدة : آية (٤٨) .

وإذا لم تكن طاقة البشرية فيما مضى لا تمكثها من الاستجابة لتلك الدعوة العقلية الراقية فإن القرآن لم يرض لها واقعها بل أغراها بمثالية رفيعة تظل دائبة السعى نحوها أو التطلع اليها^(٣٥) .

يقول الأستاذ سيد قطب : ان محمدا (ﷺ) هو الرسول الذي أرسل الى البشر كافة من يوم مبعثه الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، والذي اعتمدت رسالته على الادراك البشرى الواعى ليتحقق بذلك عهد الرشد الانسانى ، ومن ثم كان هو خاتم الرسل ، وكانت رسالته خاتمة الرسالات ، وانقطع الوحي بعده ، وتمثلت للبشرية فى رسالته تلك الوحدة الكبرى ، وأعلن المنهج الواسع الشامل الذى يسع مع النشاط الانسانى المقبل فى حدود المنهج الربانى ، فليس الانسان بعدها فى حاجة الى رسالة الهية جديدة .

وقد علم الله أن هذه الرسالة الأخيرة ، وما ينبثق عنها من منهج شامل هو خير ما يكفل للحياة النمو والتجدد والانطلاق فأبما انسان يستطيع أن يزعم أنه أعلم من الله بمصلحة عباده ، أو يزعم أن هذا المنهج الربانى لم يعد يصلح للحياة المتجددة النامية فى الأرض ، ويزعم أنه يستطيع ابتداء منهج أمثل من المنهج الذى أراده الله ، أبما انسان يزعم واحدة من هذه الدعاوى أو يزعمها جميعا فقد اختار لنفسه ولل البشرية موقف العداء الصريح لله والعداء الصريح للبشرية^(٣٦) .

(٣٥) عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الانسان . بيروت . دار العلم للملايين . ١٩٨٢ . ص ٥٨ .
(٣٦) سيد قطب : فى ظلال القرآن . مج ١ . ج ١ - ٤ . بيروت . دار الشروق . ١٩٧٣ . ص ٢٨٣ .

الاعلام عن الاسلام بين الخطط العلمية والداعية الحثيئة

يعبد توافر الكوادر المتميزة والمهارات المتمكنة من رجال الاعلام ودعاة الاسلام من أهم العوامل التي تكفل النجاح لخطط الدعوة الاسلامية ، فهم الدعاة الرئيسية لهذه الخطط وجنود الدعوة المجاهدون بالكلمة ، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، وفي غياب عناصر مؤمنة برسالتها ، متفهمة لطبيعة عملها ، مهيطة على الوسائل والأدوات ، عارفة بلغة الحوار والنقاش مع الجماهير ، يتوافر لها من الذكاء والحدق والحنكة ، لديها الخلفية الثقافية والمقدرة العلمية ، والموهبة الفطرية ، والدراسة الاعلامية الشاملة المتعمقة والملكات الضرورية اللازمة لطبيعة هذا العمل كالصبر والموضوعية والتواضع . أقول في غيبة دعاة واعلاميين تتوافر فيهم هذه الصفات سالفة الذكر ، فان خطط الدعوة الاسلامية لن يكتب لها الفجاح حتى لو توافرت الوسائل الفنية والامكانات المادية ، وحتى لو كانت الرسالة تعالج قضايا حيوية وجذابة تشغل اهتمام هذه الجماهير وتعالج اهتماماتهم ، وتتناول موضوعات على درجة كبيرة من الأهمية (٣٧) .

واذا كانت أجهزة الاعلام العامة تضع شروطا صعبة ومواصفات للكوادر اللازمة لها فان الدعاة ورجال الاعلام الاسلامي لابد أن يتصفوا بمواصفات أخرى جوهرية يتفردون بها فهم المثل الأعلى وهم أصحاب رسالة لا يضيرهم الفناء من أجلها دون مأرب يستهوئهم أو عائد دنيوي عاجل يغريهم .

ان رجال الاعلام الاسلامي يجب أن يكون على مستوى المسؤولية التي يتصدي لها ، فعليه أن يعرف كيف يقرأ أو يسمع ويشاهد ما يدور حوله بعين ناقدة وفكر نافذ حتى يستطيع أن يؤدي دوره بكفاءة وفعالية ، ويجب أن يكتشف الطريقة الصحيحة للتعبير عن الفكرة التي لديه ، والتي يستطيع أن يؤثر عن طريقها في أكبر عدد ممكن من الناس ، والاعلام الناجح يشعر

(٣٧) محيي الدين عبد الحليم : الاعلام الاسلامي وتطبيقاته العملية .
المرجع السابق . ص ١٧٤ .

مستقبل الرسالة أن رجل الاعلام أو الداعية يتصدت إليه حديثا شخصيا
خاصا ، ولا يتأتى ذلك الا اذا كان قادرا على فهم عقلية جمهوره قريبا منهم *

وتأسيسا على ذلك فان الداعية أو رجل الاعلام الحصيف يجب أن يركز
اهتمامه في نقطتين أساسيتين هما (٣٨) :

- ١ - أن يعرف ماذا يريد بعملية الاتصال *
- ٢ - أن يعرف كيف يوجه رسالته بما يمنحها أكبر قوة تأثير ممكنة في
عقلية الجماهير ونفوسهم *

وهذا يتطلب تأهيلا علميا للدعاة ورجال الاعلام الاسلامي يمكنهم من الأداء
الفعال والتأثير القوي وعدم الخوض الا فيما هم به أدرى وأعلم تأكيدا
لقلوله تعالى ۞

« ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان
عنه مسئولا » (٣٩) *

والرسالة التي تتضمن مضمونا ضعيفا والتي تخاطب ملايين الناس بأسلوب
ضعيف - سوف يكون أثرها أقل بكثير من الرسالة المعدة اعدادا جيدا
والتي تخاطب عددا قليلا من الناس *

ومن هنا فان على رجل الاعلام الاسلامي أن يفهم دوره فهما جيدا ،
وأن يعرف طبيعة الوسيلة التي يستخدمها في نقل فكرته للجمهور ، ويدرس
الاهتمامات المتغيرة للناس ، والمستويات المختلفة للجماعات التي تشكل جمهور
المستقبلين لرسالته بوجه عام ، ثم يقوم بتكييف هذه الرسالة حسب متطلبات
كل وسيلة من الوسائل التي يستخدمها ، ثم يراعى القدرات المختلفة للجماهير
التي يحاول الوصول اليها ، وأن يستوعب كل شيء عن المشاكل والقضايا
المطروحة في مختلف مجالات الحياة *

Emery, Edwin; Ault, Philip and Agee warren : Introduction (٣٨)
to Mass Communication, 3rd. ed. New York, Dodd Medcl and
Company p. 6.

(٣٩) سورة الاسراء : آية (٣٦) .

ويعتبر القائم بالاتصال المتمثل هنا في رجال الاعلام أو دعاة الاسلام من أهم العناصر التي يتوقف عليها نجاح الرسالة الاعلامية ، فاذا كان المضمون قويا ، واذا كانت وسيلة الاعلام المستخدمة تتمتع بفاعلية كبيرة في قوة تأثيرها ثم تفتقد الخطط الاعلامية الى دعاة أو اعلاميين على المستوى المطلوب في نقل الرسالة وقدرة على أحداث الأثر المطلوب لدى الجمهور فان هذا سيقضى حتما على كل احتمالات نجاح العمل الاعلامي حتى لو كان الموضوع يعالج جوانب هامة ويتناول قضايا حيوية (٤٠) *

وتختلف القدرات المختلفة لرجال الاعلام والدعاة فقد لا يصلح أحد الدعاة الذين حققوا نجاحا باهرا في مجتمع محلي وبين جمهور مسلم للعمل في مجتمع دولي ومع جمهور غير مسلم ، ذلك أن هذه النوعية الأخيرة من الجماهير تتطلب دعاة من نوع خاص ، ذوى عقليات متميزة وملكات معينة وخلفية علمية وفكرية متميزة ، ومقدرة لغوية تتناسب مع طبيعة وأفهام هذه الجماهير ، وهي ضرورة لا مناص منها حتى تتوافر لهم أسباب الاقناع والتأثير ، وحتى لا يقولوا ما لا يعلمون فيخوضوا فيما لا يعرفون ويتكلموا فيما لا يفهمون ، ويدعوا الى الاسلام دون تبصر بأحكامه ، اكتفاء بالاعتماد على صدق المشاعر وتوهج العاطفة ، لأن هذه المشاعر قد تنأى بصاحبها عن كثير من حقائق الاسلام وأحكامه ، والعواطف والأحاسيس ما لم تلجم بلجام العلم وقواعده قد تتحول الى سلاح يهدم بدلا من أن يبني ويدمر بدلا من أن يعمر *

وعلى من يتصدون للدعوة والاعلام عن الاسلام بصفة خاصة أن يعرفوا ما وراء الألفاظ وأسرار الرموز التي تحمل مختلف المعاني حتى يتمكنوا من توجيه هذه الرموز وتوظيفها التوظيف الأمثل لتحقيق الأغراض المستهدفة ، ومواجهة آثارها المحتملة لأن هذه الرموز لا تستخدم فقط للشرح والتوضيح ، بل قد تستخدم للخداع والاثارة - والتعمية والتضليل واثارة الغرائز وأحداث الصراخ والخصومات والحض على القتال ، كما أنها قد لا تستخدم في خلق روح التعاون والمحبة والسلام كما هو الحال في الألفاظ التي حمات

(٤٠) محيي الدين عبد الحليم : المرجع السابق : ص ٢٧ *

رسالات السماء^(٤١) •

ومن أهم هذه الصفات التي يجب أن يختص بها الدعاة ورجال الاعلام الاسلامى — الاحترام والأمانة والصدق ، والتجرد والموضوعية والفهم الدقيق للرسالة والوسيلة الجماهير التي يتوجهون اليها ، وأن يكونوا متخصصين في مادتهم بالعلم والتجربة ذلك أنه مهما تكن عظمة الفكرة أو قدسيتها فإن رجال الاعلام لهم الأهمية الكبرى في توصيلها والاتقاع بها^(٤٢) •

وهنا يصبح على الدعاة ورجال الاعلام الاسلامى الالتزام الكامل بالمنهج الاسلامى فكرا وقولا وسلوكا ذلك أن أخلاق الداعية يجب أن تأتى في مقدمة العوامل اللازمة لنجاح خطط الدعوة فلا بد أن يكون الداعية قدوة حسنة في العقيدة والعبادة والمعاملة ، صادقا في رغبته مستغفرا لمن لا يستجيب له متخلقا بأخلاق الرسول في هذا الصدد حين قال « اللهم اغفر لقومى فأنيهم لا يعلمون » •

وأن يكون قلبه مفعما بالحب وتمنى الخير والهداية للجميع ، وألا يبغى الظن بأحد ظلما وشكا وأن يتجنب الاثارة والاهاجية وأن يعالج قضاياها في هدوء واتزان وروية. والا يدعو الى القنوط ويتعبد عن العنف والمشقة امثالا لقول الله تعالى :

« ولو كنت فظا غليظ القول لا نفضوا من حواك فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر »^(٤٣) •

كل هذا يؤكد على أهمية التدقيق في اختيار دعاة الاسلام وفقا لمجموعة من المقاييس أهمها^(٤٤) •

(٤١) Alan H. Monroe and Doglas : Principles of Speech.

Sixth ed. U.S.A. Scott forseman and Company. 1969, p. 37.

(٤٢) محمد عبد القادر حاتم : الاعلام والدعاية . نظريات وتجارب . القاهرة . مكتبة الأنجلو . ١٩٧٢ . ص ١٠٢ .

(٤٣) سورة آل عمران : آية (١٥٩) .

(٤٤) منير حجاب : نظريات الاعلام الاسلامى . القاهرة . الهيئة المصرية للكتاب . الاسكندرية . ١٩٨٢ . ص ١٥٩ .

واذا كانت النظم الاسلامية تدقق كثيرا في اختيار الكوادر الصالحة في كثير من المجالات مثل المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية ، وتبذل جهودها للارتقاء بهذه الكوادر ورفع مستواها العلمى والعملى ، فان الفحص والتدقيق يجب أن يكون مضاعفا في اختيار الكوادر الاعلامية الاسلامية وتأهيلها التأهيل العلمى والعملى الذى يتفق مع خطورة دورهم ودققة مهامهم وحساسيتهم أوضاعهم وقسوة تأثيرهم ،وهؤلاء هم الأمة الذين قال الله فيهم :

« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » (٤٦) *

ان الدعاة الى الله هم ممثلو الرسل ، وورثة الأنبياء ، والمعلوم أن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وانما ورثوا الحكمة والعلم وهم سفراء الأمة المؤمنة الى الناس يحملون أمانتها ويبلغون رسالتها ، والناس لهم تبع ، فلا بد أن يكونوا مؤمنين بالدعوة ، لأن الايمان هو الدافع المحرك للقوى الكامنة في نفس الانسان *

والداعية يكسب لدعوته بسلوكه أكثر ما يكسبه بخطبه ومواعظه ، ذلك لأن الناس ينظرون دائما الى الدعاة من حيث هم نماذج حية لما يدعون اليه ويتأثرون بسلوكهم العلمى أكثر مما يتأثرون بكلمات حلوة وخطب عصماء ، وندوات مثيرة ، لهذا يجب أن يكونوا مثلا للاستقامة والصلاح والتقوى وأن يتواغر لديهم القسوة على الصبر على الأذى لأن الناس أعداء لما جهلوا ، وتعتبر العقائد أمرا عسيرا على النفوس ، صعبا على القلوب ، كما يجب أن يكونوا مثلا للتواضع أى خفض الجناح والتودد ، ونموذجا للتجرد من ذاتيتهم والزهد في مطالب الدنيا ، والاخلاص في العمل * وعلى الداعية أن يكون مدركا لما يدور أمامه يقظا بكل ما حوله من شر أو خير فقر وغنى علم وجهل (٤٧) *

(٤٦) سورة آل عمران : آية (١٠٤) .

(٤٧) السيد محمد الوكيل : أسس الدعوة والدعاة . جدة . دار المجتمع

للفكر والتوزيع . ١٩٨٤ . ص ٩٠ .

الفصل الثاني

السمات المُميزة للأعلام الدّولى الإسلامي

مارست الدعوة الإسلامية دورها في عصورها الزاهية بدءاً من بعثة الرسول على أسس وقواعد معينة تقوم عليها وتستقي منهجها في ذلك من القرآن الكريم ومن سنة النبي محمد (ﷺ) *

ووفقاً لهذه الأسس والقواعد حقق الإعلام عن الإسلام إنجازات هائلة على الصعيد العالمي واستطاعت رسالة الإسلام الانتشار على مساحة واسعة من كوكب الأرض ، وتمكنت من التأثير في الجماهير التي تقطن هذه الأجزاء من العالم شرقاً وغرباً وبسطت الدعوة بالتالي نفوذها في الأماكن وبين الجماهير الذين دخلوا الإسلام لمجرد احتكاكهم برجاله وتعرضهم لمبادئه ومعرفتهم بأصوله كما هو الحال في أندونيسيا والباكستان وأفغانستان وبنجلاديش والهند وماليزيا وغيرها ، واعتناق الإسلام في هذه البلاد تم بالارادة الكاملة والرغبة الأكيدة والاختيار الحر دون قهر أو ضغط أو حرب ، يؤكد ذلك أنه حين ضعفت الدولة الإسلامية وانحسر المد الإسلامي وتحولت أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي الى مستعمرات ، واحتك الغزاة المنتصرون بالإسلام والمسلمين وعرفوا أسسه وتعاليمه تحولوا عن ديانتهم وعقائدهم الأصلية الى الإسلام كما هو الحال في حالة التتار والأتراك والأكراد وغيرهم *

وهذا يدل دلالة واضحة على القوة الذاتية الكامنة في هذا الدين الذي يستهوى كل من يفهمه ويفتح قلبه لمعرفته وفهم حقائقه كما أن الدعوة الإسلامية في حد ذاتها تعطي رجالها القدرة والمنعة وتهيب لهم المجد الذي يمكنهم من التأثير والاقناع اذا أدركوا الأصول التي تستند اليها والقواعد التي تقوم عليها كما أوردها القرآن الكريم وسنة رسول الإسلام وعرفوا المنهج الذي سار عليه دعاة الإسلام ، وتزودوا في الوقت ذاته بأحدث النظريات العلمية والتقنيات الحديثة التي تحكم العمل الاعلامي *

وقد كانت ولا تزال النظم والمذاهب والأيدولوجيات الأخرى تعطى الاعلام اهمية خاصة ، وتبذل له أقصى الجهود وتضع له الخطط العلمية ، وتمنحه الامكانات المادية والطاقت البشرية التي تمكنه من خدمة هذه النظم والمذاهب لكي يأخذ على عاتقه تقديم الصورة المحببة عن هذه المذاهب الى العالم ، وقد نجحت خططهم في أحايين كثيرة في كسب الرأي العام العالمى لصالح هذه الأيدولوجيات والنظم وتغيرت صورتها في أعين جماهير الرأي العام بعد أن كانت صورتها كريهة أو غامضة ، وأبرز مثال لذلك صورة الصهيونية العالمية والشيوعية والنظام الليبرالى الغربى .

والدعوة الاسلامية أحق وأقدر بالنجاح اذا تمكنت من وضع الخطط العلمية وبذل الجهود الصادقة لتحقيق أهدافها من خلال هذا النشاط الذى هو جزء من صلب هذه الدعوة ، عليه قامت وبه استمرت ، ولا يمكن أن تحقق التقدم والانتشار فى غيبتها وهو العمل الاعلامى ، وتاريخ الاسلام يشهد أنه فى الوقت الذى ينشط فيه الاعلام الاسلامى ويزدهر وتعطيه النظم والحكومات الاسلامية حقه من الاهتمام وتبذل له الجهود المخلصة فان هذه الدعوة تلقى القبول والرواج ، وتتغير صورة الاسلام الى الأفضل ، ويتم ذلك من خلال خطة علمية مخصصة تلاحق كل من يعمل على تشويه الاسلام ، وترد على كافة التساؤلات التى تثار ضده بالحجة الفاجحة والبرهان القوى دون أن ترتبط بتصرفات البعض ممن يحسبون على الاسلام ، والاسلام من سلوكهم وأفعالهم براء .

وقد وضع الاسلام أصولا وقواعد تقوم عليها دعوته وتستند اليها خطته لكي تنطلق منها لابلغ العالم بحقائق هذا الدين ، وهذه الأصول والقواعد لا تنفصل عن النبع الأصيل الذى حدها ، وهو القرآن الكريم وسنة رسول الاسلام ، وتقوم هذه الأسس على ما يلى :

أولا - الدعوة بالكلمة الطيبة والأسلوب الحسن :

تقوم الدعوة الاسلامية على أساس ثابت ومبدأ راسخ فى اعلام الجماهير بها ، وشرح لمضمونها ، ويعتمد هذا المبدأ على الكلمة الطيبة والحكمة البالغة

والدعوة بالحسنى من غير عصبية أو عنف ، فلا تنسئ لأحد مهما كان لأنها تتعامل مع الجميع على أساس من الوحدة الانسانية فلا التهديد طريقها ولا الوعيد هدفها كما يدعى البعض الذين يشخصون الاسلام كشبح مخيف لا يظهر منه الا النار التى تقطع أمام الانسان كل طريق للنجاة وكل أمل فى المغفرة ، اذ كيف يصح ذلك والقرآن الكريم يصرح بقول الله تعالى :

« قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا أنه هو الغفور الرحيم » (١) •

وتأسيسا على ذلك أمر الله نبيه بقوله :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » (٢) •

والحكمة تجعل الداعى الى الله يقدر الأمور حق قدرها فلا يزهو بهد فى الدنيا والناس فى حاجة الى العمل والنشاط ، ولا يدعو الى التبتل والانقطاع والمسلمون فى حاجة الى الدفاع عن بلادهم وعقائدهم ، ولا يعلم الناس أحكام البيع والشراء وهم فى ميسس الحاجة الى تعلم مبادئ دينهم ، أى أن الحكمة تجعله ينظر ببصيرة المؤمن ليرى حاجة الناس فيعالجها بحسب ما يقتضيه الحال ، وبذلك ينفذ الى قلوب الناس من أوسع الأبواب ، تشرح له صدورهم ويرون فيه المنقذ لهم الحريص على سعادتهم ورفاهيتهم وأمنهم ومستقبلهم •

والموعظة الحسنة هى الكلمة الطيبة تخرج من فم الداعية لتصل الى عقول الناس وقلوبهم فيجسدون فيها الخير والسعادة ، ويحسون من خلالها صدقه وحرصه على جلب الخير لهم ، ودفع الضرر عنهم ، كما أن الموعظة الحسنة هى التى تحمل للناس البشرى ، وتأخذ بأيديهم الى طريق الحق والصواب ،

(١) سورة الزمر : آية (٥٣) .

(٢) سورة النحل : آية (١٢٥) .

ولا تسيء الى أحد ، ولا تعنف أحداً وهى الكلمة الطيبة الرقيقة التى تلمس القلوب فتترق بها ، وتخالط النفوس فتتهش لها وتفرح بها وهى البلسم الشافى يداوى الجروح ويخفف الآلام ويشفى النفوس (٣) .

وقد أمر الله المسلمين جميعاً ألا يقولوا الا خيراً ولا ينطقوا الا حسناً حتى لا يقعوا فريسة لفساد الشيطان ووقيعته تحقيقاً لقول الله تعالى :

« وقيل لعبادى يقولوا التى هى أحسن أن الشيطان ينزغ بينهم » (٤) .

كما أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة فى قوله تعالى :

« وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين » (٥) .

وتبرز كل معانى الحكمة والكلمة الطيبة والموعظة الحسنة فى الحوار الذى دار بين أنبياء الله والمشركون ، وقد تمثل ذلك فى قصة ابراهيم مع النمرود حين ادعى أنه يحيى ويميت ، فلم يغضب ابراهيم أو يثر ، ولكن به خاطبه بالمنطق والحكمة والعقل قائلاً له :

« فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأنت بها من المغرب » (٦) .

وحين تجبر فرعون وظلم وطغى أرسل الله له موسى وهارون وقال لهما :

« اذهبا الى فرعون أنه طغى ، فقلولا له قلولاً لنا ، لهله يتذكر

أو يخشى » (٧) .

وقد نهج محمد (ﷺ) هذا النهج مجسداً كل معانيه فى أسلوبه سواء مع المؤمنين أم مع الطغاة والمتجبرين من قريش ، ومع أهل الكتاب ،

(٣) محمد على الصابونى : من كنوز السنة . الاسكندرية . دار الفتح الاسلامى . ١٩٧٠ . ص ١٢٩ .

(٤) سورة الاسراء : آية (٥٣) .

(٥) سورة الأنعام : آية (٤٨) .

(٦) سورة البقرة : آية (٢٥٨) .

(٧) سورة طه : آية (٤٣ ، ٤٤) .

وحتى مع المنافقين ملتزما في ذلك بأوامر الله جل وعلا الذي حثه على اللين والرفقة في معاملة الجميع حتى المشركين منهم •

« خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلین » (٨) •

« فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون » (٩) •

وهكذا تكشف الدعوة الاسلامية عن سمو في منهجها ، ورقى في خطتها ، ورفعة في أسلوبها ، وسماحة ودقة في اعلامها •

ثانياً - بساطة الدعوة ووضوحها شكلاً ومضموناً :

ان فهم العقيدة الاسلامية لا يحتاج الى مقدرة عقلية خاصة وملكات ذهنية كبيرة ، فالاسلام كما يقول المستشرق الانجليزى توماس أرنولد (١٠) يقوم على شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ، وقد جهر القرآن بمبدأ الوحيدانية منذ اللحظة الأولى في جلال وصفاء لا يعتريه شك أو اضطراب ، وهذه العقيدة البسيطة لا تتطلب خبرة طويلة أو تجربة عميقة ولا تنثير أية مصاعب عقلية للفهم والاستيعاب بل انها تخاطب أدنى المستويات العقلية والادراكية ، ونظراً لأن هذه العقيدة خالية من التداخلات والحيل النظرية أو اللاهوتية فان أى فرد يستطيع أن يستوعبها ويشرحها حتى أقل الناس خبرة بالأصول النظرية لهذا الدين ، بل ان بساطة تعاليم الاسلام ووضوحها تعد من أبرز العوامل الفعالة في مجال الاعلام والدعوة الاسلامية (١١) •

وقد تميزت دعوة رسول الاسلام بوضوح في اللفظ والمعنى ويسر في الدين ولهذا لم يعهد التاريخ مصلحاً أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قياسي كما فعل محمد •

(٨) سورة الأعراف : آية (١٩٩) •

(٩) سورة السجدة : آية (٣٠) •

(١٠) أرنولد توماس : الدعوة الى الاسلام ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرين

— القاهرة — مكتبة النهضة المصرية . ١٩٧١ . ص ٢٥٤ •

(١١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى

والاجتماعى . ج ١ . ط ٤ . مكتبة النهضة المصرية . ١٩٧٣ . ص ٢١٦ •

ويرجع ذلك الى أن هذا الدين يخاطب فطرة الانسان ويتعامل مع ظروفه ويلبى رغباته ، ويعالج قضاياها ، ويرد على تساؤلاته ، ذلك أن الاسلام يربط في تناسق وانسجام بين ما يتضمنه من حقائق وبين واقع الناس ، فمشكلات الناس وأهدافهم وطموحاتهم يجدها الانسان معروضة بصورة مبسطة وسهلة الفهم والاستيعاب في القرآن وفي سنة الرسول (ﷺ) .

والقرآن يتصدت عما في الكون من خلق الله حديثا سهلا وواضحا ، وهو يوجهنا الى غاية ما نستطيع معرفته من أمره ، فهو يتحدث عن الشمس والقمر ، والليل والنهار ، والسماء والكواكب ، والبحر والفلك ، والأشجار ، وعن كل ما في الكون من حقائق ومخلوقات ، من علم وفن ويدعو الى النظر في كل هذا والى دراسته والاستمتاع بآثاره وثمراته ، كل هذا بأسلوب سهل جذاب مقنع وممتع في نفس الوقت .

وهو بهذا يخاطب الانسان العالم والجاهل والمثقف ، الغنى والفقير لا يستشعر أحد في هذا الخطاب اسفا في القول أو تجاوزا للحقيقة ، أو تعاليا في العرض ، وصدق رسول الاسلام حين قال :

« أوتيت جوامع الكلم ، أنا أفصح العرب ، بيد أنى من قرئش » .

فالدعوة الاسلامية تتناول ما تجرى به الحياة من خير وشر ، وحلو ومر ، ومعروف ومنكر ، وهذا يجعلها أقرب الى قلوب الناس وأملك لزاما انتباههم وعواطفهم ، فالحياة هي التي تختار موضوعات الدعوة واختيارها أصدق اختيار ، لأنه الهام الله وصوت الحق ، وصدى ما يجرى به القلم في أم الكتاب والأمر ما نزل القرآن منجما على حسب الحوادث ومقتضيات الأحوال .

وتستهدف الدعوة من وراء ذلك احياء المشاعر الالهية وبث خواطر الخير والتقوى في القلوب ليحظى الناس في الدنيا والآخرة ثمر ما يبذلون من عمل صالح ، واعتناق المبادئ الفاضلة ، والصبر على مقاومة الفساد ، دون تطرف أو غلو في الشكل أو المضمون اتساقا مع طبيعة هذه الأمة الوسط « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » (١٢) بمعنى الاعتدال والقصد .

(١٢) سورة البقرة : آية (١٤٣) .

ثالثاً - دعوة عقلية تقوم على المنطق والبرهان :

بالتمعن في جوهر العقيدة الاسلامية يتبين أنها دعوة عقلية منطقية بكل معاني الكلمة ، وتدل كل الشواهد على أن الاسلام عقيدة تقوم على المنطق والعقل .

فالدعوة الاسلامية تحترم العقل الانساني ، وتقدر الفكر البشري ، وتضع الأسس العقلية والأساليب المنطقية على رأس طرق التفاهم والنقاش والجدل المفيد ، كما تجعل النظر فيما خلق الله أهم مداخل الايمان بالله والتصديق بما جاء به محمد (ﷺ) .

وقد ذكر القرآن الكريم العقل باسمه ومشتقاته في القرآن الكريم نحو خمسين مرة وذكر أولو الألباب - أي العقول - بضع عشرة مرة ، وذكر أولو النهى مرة ، وقد أمر الله بالمحافظة على العقل لعظم شأنه وضرورة الحاجة اليه لأن فقدته فقدت لشخصية الانسان ولأن الاخلال به يؤدي الى التخبط والضلال ، فحرم كل ما يؤثر عليه من المسكر والمفتر ، ووضع عقوبة لمن ينتهك حرمة ، وبلغ من تقدير الاسلام للعقل أن جعل معجزته - وهي القرآن الكريم - معجزة عقلية ترتبط بالعقل في كل مكان يعمل فيه .

وما أكثر الآيات القرآنية التي تطلب من الانسان أن يفكر وينتدبر ، ويطلق سراح عقله ليستنبط ويعتبر من خلال النظر الى ما حوله من ظواهر طبيعية وحقائق علمية ، وما أكثر هذه الآيات التي تتوجه الى أولى العقول ، وأولى الألباب ، وأولى البصائر ، يؤكد ذلك ما قاله الله تعالى في القرآن الكريم :

« فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتنبون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك أولو الألباب » (١٣) .

« كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون » (١٤) .

(١٣) سورة الزمر : آية (١٧ ، ١٨) .

(١٤) سورة الروم : آية (٢٨) .

« ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون » (١٥) *

ويعيب القرآن على هؤلاء الذين يهملون استعمال العقل فيقول في ذلك :

« ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » (١٦) *

« أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ، ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا » (١٧) *

وجعل الله اهمال استعمال العقل سبب عذاب الآخرة فقال على لسان من أهملوا عقولهم :

« وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير » (١٨) *

وقد قرر القرآن حيوية الجدل العقلي ، وقد ورد الفعل (جادل) في القرآن خمسا وعشرين مرة ، وجاء المصدر مرتين بصيغة (جادل) ، ومرتين بصيغة (جادل) ومرة بصيغة (مجادلة) ، أى أن هذا اللون من الجدل الذى يقوم على أسس منطقية وعقلية من الخصائص المميزة للإنسان عن الكائنات الأخرى غير البشرية ، وقد أدرك القرآن ذلك ومنحه هذا الحق احتراماً لفكره وعقله ۞

« ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل ، وكان الإنسان أكثر شئ جدلا » (١٩) *

والجدل العقلي تصعب ممارسته بمعزل عن حرية العقل واطلاق سراحه ، فلا يكون للإنسان أن يجادل فيما لا يقتنع به ، ولا أن يسأل فيما لا يطمئن اليه ، وقد قص علينا القرآن الكريم قصة ابراهيم الذى جادل ربه

(١٥) سورة البرعد : آية (٤) .

(١٦) سورة الأنفال : آية (٢٢) .

(١٧) سورة الفرقان : آية (٤٤) .

(١٨) سورة الملك : آية (١٠) .

(١٩) سورة الكهف : آية (٥٤) .

في امكانية احيائه للموتى ، واذا كان الله جل وعلا قد أعطى ابراهيم هذا الحق فلا أقل من أن يحصل الانسان عليه من البشر .

وان أبرز ما يميز دعوة الاسلام ويستند اليها اعلامه هو ربطها بالعقل واحترامها له ، وجعلها في متناول ذوى العقول ، واشترط الاسلام على من يتلقون عنه ويدينون به أن يتلقوه بعقولهم وأن يأخذوا أحكامه وتعاليمه بحسب بحث وتمحيص واقتناع ، ومن لم يقتنع بعد البحث وتقليب وجوه النظر فهو في حل من هذه الدعوة ، كما أن الاسلام ليس في حاجة اليه ، وبناء على ذلك تنطلق الدعوة الاسلامية لتخاطب العقول وتقوم على البرهان وتطرح الحقيقة . بل ان قيمة المرء في الاسلام ترتفع كلما ارتفعت اهتماماته العقلية ، وان من أهم الأهداف الاصلاحية للاسلام تحرير العقل البشرى من ريقه التقليد والخرافات ، وتوجيهه نحو الحجة والمنطق من خلال التفكير الحر ، وقد حارب الاسلام الوثنية لأنها انحطاط بالعقل وعمى في البصيرة .

وحين طلب بعض المرتابين في رسالة محمد المعجزات التى تثبت صحة هذه الرسالة ، كان رد الله عليهم أن ينظروا فيما احتوته آيات القرآن من دلائل عقلية وصور كونية تثبت بالدليل العقلى صحة ما تضمنته هذه الرسالة وصاتق حاملها ، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

« وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه ، قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين ، أو لم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب ينلى عليهم ، ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » (٢٠) .

وقد كتب الله في سننه أن يكون منطق العقل تاج هذه الحياة الانسانية يستطيع اكتناه غاية ما تستطيعه الانسانية من أسرار الكون ، وكذلك كتب الله في لوح هذا الوجود أن يقوم نبي الاسلام داعيا الى الحق هو ومن تبعه بمنطق العقل (٢١) .

(٢٠) سورة العنكبوت : آيات (٥٠) ، (٥١) .

(٢١) محمد حسين هيكل : حياة محمد . ط ٣ . القاهرة . دار الكتب المصرية

١٣٥٨ هـ . ص ٥٨٨ .

« قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » (٢٢) *

وهذا هو الفارق بين الدعوة الاسلامية والدعاية التبشيرية أو غيرها من الدعاوى لأن عظمة الاسلام وبساطته وأخذه بحكم العقل مما لا يجعل لأية دعاية أخرى قدرة على مواجهتها *

وقد جعل الاسلام العقل حكما في كل شيء ، وجعله حكما في الدين وفي الايمان نفسه ، يقول تعالى :

« مثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم يحكم عمى فهم لا يعقلون » (٢٣) *

غالراء لا يكون مؤمنا الا اذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى يقتنع به ، فمن ربي على التسليم بغير عقل والعمل ولو صالحا بغير فقه فهو غير مؤمن * فليس المقصد من الايمان أن يذلل الانسان للخير كما يذلل الحيوان ، بل المقصد منه أن يرتقى عقله وترتقى نفسه بالعلم فيعمل الخير لأنه يعرف أنه خير ويترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته ، وقد حرص الاسلام على أن يظل حكم العقل سليما لا يتسرب اليه ما يؤثر في حسن تصوره لذلك اعتبر الخمر والميسر رجسا من عمل الشيطان ، ومن ثم وجب اجتنابها (٢٤) *

رابعا - دعوة علم ورسالة حضارة :

تشير أول آية بل أول كلمة نزلت في القرآن الكريم الى الطبيعة الحضارية والعلمية التي ترتبط بهذه الرسالة منذ نزولها وكان ذلك أثناء رحلة التعبد الذي كان يقوم به الرسول في غار حراء حيث جاء صوت يناديه « اقبراً » فكانت الكلمة الأولى التي تحمل المعانى التي تعكس هذه الرسالة ، وكانت علامة لهذا الكتاب *

(٢٢) سورة يوسف . آية (١٠٨) .

(٢٣) سورة البقرة : آية (١٧١) .

(٢٤) محمد حسين هيكل : حياة محمد . المرجع السابق . ص ٥٢٠ .

والاسلام لم يحث فقط على طلب العلم والمعرفة ، ولكنه جعل من العلم أساسا لكل سلوك قويم حتى في الانتفاع بالقرآن الكريم ذلك أن القرآن لم ينزل للحفاظ فقط ولكن آياته جاءت تعالج مواقف دنيوية للمجتمع البشرى ليهتدى بها الناس الى الصراط المستقيم .

ويرشد القرآن الكريم الناس الى النظر والتدبر في ملكوت السموات والأرض ، وما خلق الله ويحثهم على طلب العلم والمعرفة عن طريق النظر والاستدلال لا عن طريق التقليد والمحاكاة ، وهو ثراء ومعين لا ينضب للباحثين في مختلف فروع العلم والمعرفة في مختلف مجالات الحياة ، يقول الله تعالى :

« ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والثلج التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » (٢٥) .

كما فتح الاسلام للناس باب البحث عن خواص الأجسام في الأرض والسماء والهواء والماء لينتفعوا بها في حياتهم ويستخدموها في مقاصد التعمير والانشاء .

ويشتمل القرآن الكريم على العلوم الكونية والتشريعية والقانونية والعسكرية والسياسية وغيرها مع أنه نزل على رجل أمي لم يقرأ ولم يكتب قط (٢٦) .

والقرآن الكريم هو المنبع الأصيل الذي خرجت منه نظريتنا المعرفة الاسلامية والمنهج العلمى التجريبي الذى استمد منه ابن الهيثم نظرية الضوء ،

(٢٥) سورة البقرة : آية (١٦٤) .

(٢٦) أبو بكر جابر الجزائري : منهاج المسلم . القاهرة . مكتبة الدعوة الاسلامية . ١٩٦٤ . ص ٣٢٠ .

كما استخدم ابن خلدون مفاهيمه في بناء المجتمعات ونموها وسقوطها ، وهو الذى هدى الخليل بن أحمد الى قوانين اللغة والموسيقى والشعر (٢٧) .

وقد تعرض القرآن لكثير من عوالم السماء والأرض واستعرضها كأثر من آثار الألوهية في طريق الاستدلال الى الله ، فالعلوم التى تبحث السموات والأرض والنجوم ، وتقلبات الليل والنهار من علوم القرآن ، وما يبحث عن الانسان ومبدأ تخليقه وأطوار حياته وعوامل التأثير فيه هداية وإصلاحا من علوم القرآن ، وقد تعرض القرآن لكل هذا كما تعرض لكثير مما يتصل بأبحاث الفلاسفة الأخلاقيين (٢٨) .

وقد فرض الاسلام التطور على أهله فرضا ، وذلك بالحض على العلم وتوجيه غايته اليه توجيها خاصا ، لأن الشخصية الانسانية لا يقومها ولا يرقىها شئ غير العلم ، وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في آيات عديدة منها قوله تعالى :

« هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر أولو الألباب » (٢٩) .

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (٣٠) .

« شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط » (٣١) .

ويطالب القرآن المسلمين بالسعى لطلب العلم ليهديهم الله الى الحقيقة العلوية والكونية فقال تعالى :

(٢٧) أنور الجندي : نوابغ الفكر الاسلامي . بيروت . دار الأثر العربى . ١٩٧٢ . ص ٧ .

(٢٨) على سرور الزنكلونى : الدعوة والدعاة . القاهرة . مكتبة وهبة . ١٩٧٩ . ص ٢٤٢ .

(٢٩) سورة الزمر : آية (٩) .

(٣٠) سورة المجادلة : آية (١١) .

(٣١) سورة آل عمران : آية (١٨) .

« وقل رب زدنى علما » (٣٢) •

- وقال رسول الاسلام (ﷺ) فى العلم وأهله (٣٣) •
- « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريق الجنة » •
- « فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم » •
- « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » •
- « من علم علما فله أجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل شيء » •
- « من جاء أجله وهو يطلب العلم لقي الله ولم يكن بينه وبين النبيين الا درجة النبوة » •

ولم يكتف الاسلام بهذا فى الدعوة الى العلم ، بل قرر أصولا تمنع الجهل والعقل ، وتحمى من التحجر الفكرى باعتباره ديننا يقوم على الحجة والبرهان يؤكد ذلك قوله تعالى :

« أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ، ومن يرزقكم من السماء والأرض ألمه مع الله ، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » (٣٤) •

ودين يستند الى اليقين ويرفض الظن وفى ذلك يقول الله :

« وما يتبع أكثرهم الا ظنا ، ان الظن لا يغنى من الحق شيئا » (٣٥) •

ودين لا يقبل التقليد الأعمى من غير دليل عقلى يؤيده ، فقال ينعى على هؤلاء المقلدين (٣٦) •

-
- (٣٢) سورة طه : آية (١١٤) •
 - (٣٣) الحافظ المنذرى : الترغيب والترهيب . تلخيص الحافظ بن حجر العسقلانى . القاهرة . دار الوحي . ١٩٧٩ . ص ١٧٨ •
 - (٣٤) سورة النمل : آية (٦٤) •
 - (٣٥) سورة يونس : آية (٣٦) •
 - (٣٦) سورة المائدة : آية (١٠٤) •

« وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول ، قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعطون شيئا ولا يهتدون » (٣٧) •

وهذا الثراء العلمى الذى احتوته رسالة الاسلام يجذب العالم المتحضر الى تمحيص هذه الرسالة والتمعن فيها والنظر فى مضامينها ومعانيها وبغريهم للتعرف على الحقائق العلمية التى تشتمل عليها ، ذلك ان هذه الرسالة وان كانت ترتبط ارتباطا وثيقا بالحضارة والثقافة الاسلامية الا أنها استطاعت أن تتعامل مع الحضارات البارزة التى احتكت بها على مدى التاريخ الانسانى أحدا وعطاء فالتنوعيتها واستطاعت أن تحتويها بطريقة أو بأخرى ، ولم تحاول اعتزالها أو عزلها أو القضاء عليها لتحل محلها وفى خلال ذلك أمد الاسلام هذه الحضارات بمعطياته حول الله والانسان والعالم المحيط به ، وقد استطاعت رسالة الاسلام فى غضون هذا تحقيق الوحدة الاسلامية بين دول كانت تضم لغات مختلفة وتاريخا مختلفا وأجناسا متعددة ، وهى وحدة روحية ودينية فى نفس الوقت ، وتؤكد حقائق التاريخ أن الوجود الإسلامى فى مختلف المراحل يعيش بجانب الثقافات الأخرى حتى العلمانية منها ، ولكنه غالبا يحتويها من خلال التواصل والتداخل مع هذه الثقافات أى أنه قادر على صياغة شكل صحيح للعلاقة بين الثقافات القائمة والأصول والقواعد الدينية الثابتة (٣٨) •

لقد كانت الشعوب الاسلامية الناطقة باللغة العربية فيما بين منتصف القرن الثامن وأوائل القرن الثالث عشر هى حملة شعلة الثقافة والحضارة والمدنية فى ربوع العالم أجمع ، بل ان علماء المسلمين غوق هذا هم الذين كشفوا ونقبوا عن الفلسفة والعلوم القديمة وأضافوا اليها فكرهم وثقافتهم ، ولقد أثرت الحضارة الاسلامية فى العالم الأوروبى بعلومها وفنونها وتراثها الزاخر (٣٨) •

(٣٧) سورة المائدة : آية (١٠٤) •

I. G. Von grunbsaum : The source of Islamic Civilization (٣٨)
in Islamic Society and Civilization. Vol 2, London
Cambridge University Press. 1970 p. 17.

ويعترف الغرب بفضل حضارة الاسلام ، فقال جوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) أن فلاسفة المسلمين هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين ، ويؤكد كلامه قائلا : أننا لا نرى أمة في التاريخ ذات تأثير علمي وفني ولغوي وديني بارز مثل أمة العرب فجميع الأمم التي كانت ذات صلة بالعرب اعتنقت حضارتهم ، وقال العلامة Sedillot في كتابه تاريخ العرب : ان المسلمين في القرون الوسطى كانوا متفردين في العلم والفلسفة والفنون ، وقد نشروها أينما حل رجالهم ، وتسربت عنهم الى أوروبا ، فكانوا هم سببا لنهضتها وارتقائها^(٤٠) .

« يقول لوبون » ان علماء المسلمين قد نشروا العلم بينما كانت أوروبا في ظلمة القرون الوسطى ، وفي الحقيقة أنه كلما يقف الانسان أمام النصوص والوثائق الدولية يكتشف أن ازدهار الحضارة الانسانية ونشرها والعمل على تقدم البشرية جاء بفعل اثر علماء المسلمين لميادين العلم والمعرفة ، ويؤكد أن الحضارة الاسلامية انما قامت على مبادئ خالدة ومتميزة لم يصل اليها العقل البشري من قبل » .

خامسا — فرضية الدعوة ووجوبها على المؤمنين جميعا :

ليست الدعوة في حقيقتها الا عبادة يؤدي بها المسلم حقيق في عباده ، ويتقرب بها الى مرضاته ، فلا يندفع اليها لهوى في نفسه ، أو لرغبة شخصية في العلو ، الانتصار على الآخرين ، بل ينقاد اليها أملا في الدخول فيمن وصفهم الله تعالى بقوله :

« ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا ، وقال أننى من المسلمين »^(٤١) .

-
- (٣٩) عبد الفتاح مقلد الغنيمى : الاسلام والثقافة العربية في أوروبا . القاهرة . عالم الكتب . ١٩٧٩ . ص ١٩٠ .
(٤٠) عفيف عبد الفتاح طيارة : روح الدين الاسلامى . ط ٦ . بيروت . دار العلم للملايين . ١٩٧٧ . ص ٢٧٨ .
(٤١) سورة فصلات : آية (٣٣) .

ورغبة في أن يدرك ذلك الأجر العظيم الذي ذكره رسول الله (ﷺ) بقوله :
 « الآن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس » .

وحين ينهض المسلمون جميعا بأعباء الدعوة الى الاسلام من منطلق هذه
 الأوامر الربانية ، فانهم بذلك يمارسون عبادة من أعظم العبادات ، أملا في
 رحمة ربهم ورضوانه فلا يقصدون بها الا وجهه باعتبارهم من الصادقين
 في عبادتهم له .

فالدعوة الى الله فرض عين على كل مسلم ومسلمة وهي مسئولية عامة
 أوجبها الله على الجميع وهذه المسئولية لا تقل أهمية عن سائر الفرائض
 الإسلامية الأخرى كالصلاة والزكاة والحج ، بل اننا لا نجد في القرآن الكريم
 من الحث على الصيام الذي هو ركن رئيسي من أركان الإسلام مثما نجد
 من الحث على الدعوة الى الله والتذكير والعظة والانذار بسوء العاقبة لمن
 يقعد عن القيام بهذا الواجب الذي من أجله بعث الله المرسل مبشرين ومنذرين .
 وهذا يدفع كل مسلم عاقل لكي يأخذ على عاتقه أداء هذه الفريضة
 التي كلفه الله بها وفضلته وميزه وقربه اليه اذا أداها على الوجه المرضي ، ويصبح
 لزاما على المسلمين جميعا الا يفرطوا فيها ، وألا يترددوا في تحمل هذه
 المسئولية حتى لا يفقدوا مكانتهم عند خالقهم .

ويؤكد القرآن على أهمية الدعوة الى الله وبناء على ذلك فقد وصف جميع
 الناس بالخسران الا المؤمنين الذين يعملون الصالحات والمتواصين
 بالحق والصبر .

« والعصر، ان الانسان لفي خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
 وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » (٤٢) .

وقد شدد النكير على هؤلاء الذين يتقاعسون عن تحمل مسئولية الدعوة
 الى الله ولا يؤدّون فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك في قوله تعالى :

(٤٢) سورة العصر : آية (١ - ٣) .

« لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » (٤٣) •

وقد ميز القرآن الأمة الاسلامية على سائر الأمم الأخرى بهذه الفريضة ، وجعل السمعة التي تسمو بها على غيرها من الأمم تكمن في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أى الدعوة الى الله :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (٤٤) •

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » (٤٥) •

أى أن الله لم يقصر الدعوة اليه على رسله فقط ، ولكنه أوجبها على كل مؤمن قادر عليها ، ولو تحمل كل واحد من المسلمين مسئوليته في هذا الصدد ولا سيما هؤلاء الذين لا يعيشون في ديار الاسلام لتغير وجه الحياة في هذا العالم المعاصر الذى يبحث له عن هوية دينية ويتحسس طريقه الى الهداية بعد أن فقد الأمل في كل ما يحيط به من مذاهب وأفكار •

(٤٣) سورة المائدة : آية (٧٨ — ٧٩) •

(٤٤) سورة آل عمران : آية (١١٠) •

(٤٥) سورة التوبة : آية (٤٥) •

الفصل الثالث

عالمية الإسلام وقومية الرسالات السماوية الأخرى

كان رسل الله — قبل محمد — يرسلون الى أقوامهم خاصة ، وكان كل رسول منهم ينادى قومه فقط ، كما قص علينا الله قصصهم في القرآن الكريم من نوح الى شعيب الى صالح قائلًا : (يا قوم) *

ولم يطلب من الرسل الذين بعثوا قبل محمد أن يعمموا رسالاتهم على الصعيد العالمى كما أن شرائعهم كانت مفصلة على طبيعة أقوامهم لا تصلح لغيرها من الأقوام لأنها دواء الأمراض وعلى سكنت فى كيان تلك الجماعة وأفسدت معالم الانسانية فيها ، وأنه أصبح من الصعب أن يصلح كل دواء لكل داء وكل علة *

وفى ذلك قال الله عز وجل عن نوح :

« أنا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيتهم عذاب اليم قال يا قوم انى لكم نذير مبين » (١) *

وقال : « ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون » (٢) *

وقال عن هود :

« والى عاد أخاهم هودا ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون » (٣) *

-
- (١) سورة نوح : آية (١ ، ٢) .
 - (٢) سورة العنكبوت : آية (١٤) .
 - (٣) سورة الأعراف : آية (٦٥) .

وعن صالح قال تعالى :

« والى ثمود أخاهم صالحا ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من
الله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم » (٤) *

وقال عن لوط :

« ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد
من العالمين » (٥) *

وقال عن شعيب :

« والى مدين أخاهم شعيبا ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الله
غيره ، قد جاءتكم بينة من ربكم » (٦) *

أما إبراهيم فقد أكدت آيات القرآن تحديد مجال انتشار دعوته
داخل دائرة أهله وقومه ، وفي ذلك يقول الله جل شأنه :

« ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ، اذ قال لأبيه
وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ، قالوا وجدنا آبائنا
لها عابدين ، قال لقد كنتم أنتم وأباؤكم في ضلال مبين » (٧) *

« وإبراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان
كنتم تعلمون » (٨) *

وقال عن لوط :

« ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد
من العالمين » (٩) *

(١) سورة الأعراف : آية (٧٣) .

(٥) سورة الأعراف : آية (٨٠) .

(٦) سورة الأعراف : آية (٨٥) .

(٧) سورة الأنبياء : آية (٥١ - ٥٤) .

(٨) سورة العنكبوت : آية (١٦) .

(٩) سورة العنكبوت : آية (٢٨) .

ويؤكد القرآن قومية الرسالات الأخرى قبل محمد حيث كان الرسل يبعثون الى مجتمعاتهم المحلية فقط وفي ذلك يقول تعالى :

« تلك القرى نقص عليك من أنبائها ، ولقد جاءتهم رسالهم بالبينات » (١٠) *

ثم قال عن موسى وفرعون وبنى اسرائيل :

« ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معى بنى اسرائيل » (١١) *

بل ان كل ما جاء فى التوراة من تشريع موجه الى بنى اسرائيل لا يراد به غيرهم ، وهذا التشريع مفصل على طبيعة هذه الجماعة لا يصلح الا لها ذلك ان هذه الشريعة بمثابة دواء للأمراض وعلل سكنت تلك الجماعة وأفسدت معالم الانسانية فيها (١٢) *

والمسيح عيسى ابن مريم هو رسول الله الى بنى اسرائيل يؤكد ذلك قول الله تعالى على لسان هذا النبي :

« واذ قال عيسى ابن مريم ، يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » (١٣) *

(١٠) سورة الاعراف : آية (١٠١) .

(١١) سورة الاعراف : آية (١٠٣ — ١٠٥) .

(١٢) عبد الكريم الخطيب : التعريف بالاسلام فى مواجهة العصر وتحدياته . القاهرة . مطابع دار الكتاب العربى . ١٩٦٥ . ص ١٥٤ .

(١٣) سورة الصف : آية (٦) .

ويقول الله سبحانه وتعالى :

« ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ، ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم بآية من ربكم » (١٤) .

وكان عيسى عليه السلام يقول :

« بهتت لخراف بنى اسرائيل الضالة » (١٥) .

وفى هذا يقول الله مؤكدا هذه الحقيقة :

« وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » (١٦) .

وكانت دعوات الأنبياء والرسل — قبل الاسلام — محدودة في زمانها ، محصورة في مكانها لم تتعد أقوامهم ، ولم تتجاوز حدود أوطانهم ، والرسالتان السماويتان اللتان شهدتا عصر الاسلام والتقتا به هما اليهودية والمسيحية ، فكانت دعوة موسى وعيسى موجهة الى بنى اسرائيل كما أكد ذلك القرآن الكريم ، وكما بين ذلك الانجيل والتوراة .

ومما جاء في التوراة :

كلم الرب موسى قائلا :

« كلم بنى اسرائيل ، وقل لهم أنا الرب الهكم » وقد جاء التشريع في التوراة موجها الى بنى اسرائيل لا يراد به غيرهم من الناس » (١٧) .

وهكذا باستعراض موكب الرسائل السماوية ، وموكب الرسائل منذ فجر الانسانية الأول ، ومنذ ولادة آدم أول رسول الى البشرية نرى في هذا الموكب المتواصل أن كل رسول قبل محمد انما أرسل لقومه ، ونرى كل

(١٤) سورة آل عمران : آية (٤٨ ، ٤٩) .

(١٥) سعيد حوى : الاسلام . ج ٢ . القاهرة . دار الاعتصام . ٥٥ ت .

ص ١٥٩ .

(١٦) سورة ابراهيم : آية (٤) .

(١٧) عبيد الكريم الخطيب : المرجع السابق . ص ١٥٤ .

رسالة قبل رسالة محمد انما جاءت لمرحلة معينة من الزمان ، رسالة خاصة لمجموعة خاصة في بيئة خاصة ، ومن ثم كانت كل تلك الرسائل محكومة بظروفها متكيفة مع هذه الظروف ، تدعو الى الله واحد ، ولكل منها شريعة تناسب حالة الجماعة وحالة البيئة وحالة الزمان والظروف ، فالرسالات السماوية السابقة على رسالة محمد قد نزلت على أقوام بعينهم لم تتعددهم ، ولم يطلب من الرسل الذين حملوا هذه الرسائل سوى تبليغ أقوامهم بما حملوه ، كما لم يطلب من أقوامهم سوى طاعة هؤلاء الرسل ، وفي ذلك يقول الله عز وجل :

« وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ، ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا » (١٨) .

وكان الوحي الالهى يتخير بقاعا من الأرض لينزل بها كما ينزل الخيث في مكان دون آخر .

حتى اذا أراد الله أن يختم رسالاته الى البشر أرسل الى الناس كافة رسولا خاتما لا لمجموعة معينة من الناس تعيش في بيئة معينة أو في زمان معين وفي ظروف خاصة ، يحمل رسالة تخاطب الانسان من وراء الظروف والبيئات والأزمنة لأنها تخاطب خطرة هذا الانسان التي لا تتبدل ولا تتحور ولا ينالها التغيير وفصل في هذه الرسالة شريعة تتناول حياة الانسان من جميع أطرافها وفي كل جوانب نشاطها ، وتضع لها المبادئ الكلية ، والقواعد الأساسية التي تتجدد وتتطور بتغيير الزمان ، والمكان ، كما تضع لها الأحكام التفصيلية والقوانين الجزئية (١٩) .

ويأتى ذلك انطلاقا من أن شريعة الاسلام هي شريعة كل زمان وكل مكان لا لجماعة من بنى الانسان في جيل من الأجيال وفي مكان من الأمكنة كما كانت تجيء الرسل والرسالات السابقة عليها .

(١٨) سورة النساء : آية (٦٤) .

(١٩) سيد قطب : في ظلال القرآن . مج ٢ . ج ٥ - ٧ . بيروت . دار الشروق . ١٩٧٣ . ص ٨٤٢ .

ذلك أن بعثة محمد كانت نقلة جديدة بالعالم كله وتحولا في حركة
الوحي الالهي على ظهر الأرض * اذ جاءت الرسالة الخاتمة لكل بشر يعقل
ويسمع ، ثم هي قد صحت الزمان في مسيرته ، فاذا انتهى جيل من الناس
فان الجيل الذي يليه مخاطب بها مكلف أن يمشى في سناها (٢٠) .

أى أنه اذن دين البشرية كلها فلم يخص أمة دون غيرها شأن الأديان
التي سبقته ، ودوره قائم الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فهو خاتم
الأديان جاء بعد أن بلغت البشرية رشدها وأصبحت قادرة على اعتناق
دين جامع شامل .

وببعثة محمد (ﷺ) انتقلت الدعوة الاسلامية من الاطار القومى
الى الاطار الدولى ، وبهذا ألزم الله الانسانية كلها باتباع رسول واحد
فلا يكون رسول بعده ، ولا يقبل اتباع رسول قبله ولكن « رسول الله
وخاتم النبيين » (٢١) .

فاذا جاء القرآن بالنص صحيحا بأن الاسلام هو الدين الذى بعث به
الأنبياء وأنه دين ابراهيم وموسى وعيسى :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام
دينا » (٢٢) .

وهو ما يفيد معنى كمال الرسالة ، كما يعنى بالتالى ختام النبوة
ليكون البلاغ بعد ذلك الى الناس أجمعين حتى تعلو كلمة الله باكمال شريعته
وليس فى تسمية اليهودية والمسيحية ما ينكر ذلك أو يجفوه ،
فاليهودية نسبة الى يهودا حاضرة اليهود ، وكان الفرس أول من دعاهم بها ،

(٢٠) محمد الغزالي : الدعوة الاسلامية تستقبل عامها الخامس عشر .
المرجع السابق . ١٩٨٠ .

(٢١) سورة الأحزاب : آية (٤٠) .

(٢٢) سورة المائدة : آية (٣) .

والمسيحية نسبة الى المسيح وهو المسمى الشائع في الغرب ، والنصرانية نسبة الى الناصرة حيث ولد المسيح ، أما قبلى وأقباط فلا تطلق الا على مسيحي مصر (٢٣) *

وهنا يكمن الفرق الجوهرى بين رسالة محمد والرسالات السماوية الأخرى التى نزلت لتحقيق غرض معين فى فترة زمنية معينة تنقضى بعدها فاعلية هذه الرسالة ولا تصبح سارية المفعول لأنها لا تستطيع أن تواكب المتغيرات المختلفة للعصور التى جاءت بعد عصر محمد لاختلاف الظروف واختلاف المعطيات التى يأتى بها كل عصر من هذه العصور ، وهنا تكمن الخاصية التى تنفرد بها هذه الرسالة التى لم يمسهما أى تغيير أو تبديل :

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (٢٤) *

وفى هذا يقول محمد (ﷺ) « لا نبى بعدى » ويقول أيضا « لو كان موسى حيا ما وسعه الا أن يتبعنى » ، ويقول أيضا : « مثلى ومثل الأنبياء كمثلى رجل بنى دار فأكملها وأحسنها الا موضع لبنة ، فكاين من دخلها ينظر اليها قال :

« ما أحسنها الا موضع هذه اللبنة ، فانا موضع اللبنة ، ختم بى الأنبياء » *

ولذلك فان مقارنة النبى محمد بمن سبقه من الرسل مقارنة مع الفارق ، فهو خاتم الأنبياء والمرسلين وهو مع ذلك أول رسول يعثه الله للناس كالفئة ولم يبعثه الى قومه وحدهم *

(٢٣) حسين فوزى النجار : الدولة والحكم فى الاسلام . القاهرة . دار الحرية . كتاب الحرية . العدد الرابع . ١٩٨٥ . ص ٦٦٢ .
(٢٤) سورة الحجر : آية (٩) .

دعوة عالمية +٠٠٠ واعلام دولي (حقائق وبراهين)

تنفى كافة الأدلة والبراهين أى اتهام يوجه الى الاسلام على أنه دين قومي نزل على العرب وحدهم بعد أن حملهم اليهم رجل عربى بلسان عربى ، ذلك أن القرآن نفسه يؤكد وحدة الرسالة وعالميتها قبل أن يدور بخلد العرب أى شىء يتعلق بحياة الفتح والغزو بزمان طويل ، وحين نزل الوحي الالهى على محمد اصطفاه ربه ليكون نبيه ويحمل رسالته لا للعرب وحدهم ، ولكن للبشرية جمعاء ♦

وهذا يفرض على الحكومات والمنظمات والهيئات الاسلامية بذل الجهود المنظمة والمخلصة والجادة لوضع الخطط العلمية التى تستهدف ابلاغ الرسالة للناس جميعا وتعميمها وتعريف العالم بأصولها وفجوها ، وتصحيح الأخطاء التى تنشأ عنها والرد على الهجمات الشرسة التى تعمل على تشويه صورة الاسلام فى أذهان العالم مستخدمة تكتيك الدعاية الدولية التى تعمل على تحميل الاسلام كل أو معظم السلبيات والمصائب والأمراض الاجتماعية التى تلحق البشرية كالارهاب والتخلف الاجتماعى والفقر والكسل والتردى وتضخم عدد الجوعى فى العالم نتيجة تعدد الزوجات وكثرة الانجاب والتواكل ، لا سيما أن العالم الاسلامى الآن يعانى من التصدع فى كثير من أجزائه ، كما يحمل هذا التكتيك الدعائى الاسلامى سلبيات بعض المسلمين فى الخارج الذين يرسخون بتصرفاتهم غير المسئولة ما يردده المغرضون من أن دعوة الاسلام غير جديرة بأن تعم العالم حتى لا يصابوا بما أصيب به المسلمون من آفات وما حملوه من سلبيات ، ولن يجهد الداعية المسلم أو رجل الاعلام الاسلامى أقوى من الحجج المنطقية والأدلة الموضوعية التى تؤكد عالمية الرسالة الاسلامية ، وترد على أى اتهام ينفى عن هذه الدعوة صفة « العالمية » التى ترتبط بها وتلازمها لزوم المساء للحياة وتشكل جزءا من كيانها العضوى وقوامها الطبيعى وليس

أمامنا إلا أن نسوق الأدلة والبراهين التي تؤكد هذه الحقيقة وتدفع الاتهامات التي تنفي عن هذه الدعوة هذه الصفة سواء من واقع القرآن الكريم أم الممارسات العملية لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه التي تؤكد جميعها أن الاسلام خطاب الى البشر كافة .

ويمكن أن نجمال هذه الأدلة والبراهين فيما يلي :

أولا - القرآن الكريم وعالية الدعوة الاسلامية :

تؤكد النصوص القطعية والآيات الصريحة التي وردت في القرآن الكريم دستور المسلمين وكتابهم المقدس - أن دعوة الاسلام ما جاءت إلا لتخاطب كل القاطنين على هذا الكوكب .

وفي هذه الآيات الواضحة ما يدمغ أي رأي يخالف هذه الحقيقة ، ويرد على أية وجهة نظر وأي اجتهد في هذا الصدد ، ويجيب على كل التساؤلات التي تثار سواء استهدفت العلم والمعرفة ، أم تحجيم الدعوة وحصر الخطط الاعلامية الاسلامية في دائرة ضيقة .

ومن هذه الآيات ما قاله الله تعالى مخاطباً نبيه :

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (٢٥) .

ويقول أيضاً مخاطباً الجماهير المستقبلية للدعوة الاسلامية :

« فأين تذهبون ، أن هو إلا ذكر للعالمين ، لمن شاء منكم أن يستقيم ، وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين » (٢٦) .

« فالحكم لله واحد فله أسلموا وبشر المختلين » (٢٧) .

(٢٥) سورة الأنبياء : آية (١٠٧) .

(٢٦) سورة التكوين : آية (٢٦ ، ٢٩) .

(٢٧) سورة الحج : آية (٣٤) .

« وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى
ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به ، وهم على صلاتهم
يحافظون » (٢٨) •

« كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى
للمؤمنين » (٢٩) •

ويقول مقررا هذه الحقيقة :

« ان هو الا ذكر للعالمين ، ولنعامن نبأه بعد حين » (٣٠) •

« وأوحى الى هذا القرآن لأنذرکم به ومن بلغ » (٣١) •

ويقول على لسان نبيه :

« قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات
والأرض لا اله الا هو يحيى ويميت » (٣٢) •

ويؤكد هذا الواقع ما قاله الله للناس كافة بأن الحساب والعقاب
لا يتم الا بعد البلاغ لجميع الخلق •

« وما كنا مهذبين حتى نبعث رسولا » (٣٣) •

وباستعراض ما ورد في القرآن الكريم من آيات ذكرت الله باسم « رب
العالمين » نجد أنها بلغت أربعين آية في مختلف المواضع ، مما يشير الى
أن هذا الخطاب تم توجيهه لكل الناس الذين خلقهم الله وليس موجها الى
شعب بعينه ، وبالتالي فان دعوة الاسلام قد تم توجيهها الى العالمين كلهم •
وقد يدعى البعض أن عالمية الدعوة لم تقرر الا بعد أن هاجر الرسول

(٢٨) سورة الأنعام : آية (٩٢) •

(٢٩) سورة الأعراف : آية (٢) •

(٣٠) سورة ص : آية (٨٧ ، ٨٨) •

(٣١) سورة الأنعام : آية (١٩) •

(٣٢) سورة الفرقان : آية (١٥٨) •

(٣٣) سورة الاسراء : آية (١٥) •

الى المدينة وأقام دولته واستجمع قـبـواه وأسس قـبـواته الغازية وأصبح يتطلع بعـذ ذلك الى الأمم المجاورة لـيـسـط عليها نفـوذـه ويـسـيـطـر عليها بدعـوتـه ، وهـذه الدعاوى تدحضها الآيات المكية الـتى نزلت على النبى قبل هـجـرتـه من مكة الى المدينة والـتى من أبرزها قـولـه تعالى :

« وما هو الا ذكر للمالين » (٣٤) •

« وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٣٥) •

« تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » (٣٦) •

« وما تسألهم عليه من أجر ان هو الا ذكر للعالمين » (٣٧) •

« قل لا أسألكم عليه أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين » (٣٨) •

أى أن هذه الآيات المكية تدحض غـرية بعض المستشرقين الذين زعموا أن محمدا بدأ عربى الرسالة معنيا بقـبـوـمه وحـدهم • فلما نجح فى اخضاعهم أغراه النجاح بتوسيع دائرة الدعوة ، وأنه بعـد ما هاجر الى المدينة لم يعد ذلك النذير المبين ولكنه تحول الى غاز استجمع كل قبـواه لتحقيق التوسع والانتشار ذلك أن عالمية الرسالة تم النصريح بها فى أول ما نزل من وحى على رسول الله •

وهذه النصوص القطعية والصريحة تؤكد أن الاسلام خطاب الى البشر كافة وأن توجيهه بلسان عربى لا يعنى تحويله الى وقف عربى ، كما تؤكد أن العرب مبلغون وليسوا محتكرين أو نظاراً للوقف •

(٣٤) سورة القلم : آية (٥٢) •

(٣٥) سورة سبأ : آية (٢٨) •

(٣٦) سورة الفرقان : آية (١) •

(٣٧) سورة يوسف : آية (١٠٤) •

(٣٨) سورة الأنعام : آية (٩٠) •

وقد حدث القرآن في آياته المكية الأولى أهل مكة عن حرب الروم والفرس ، وتنبأ للروم بالنصر على الفرس بعد هزيمتهم في بضعة سنين ، كما ورد في مفتح سورة الروم :

« ألم غلبت الروم في أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيفلبون ، في بضعة سنين » (٣٩) .

وبذلك نقل الله تبارك وتعالى الدعوة الإسلامية من دائرة الجزيرة العربية الى الآفاق العالمية في مختلف أرجاء هذا الكوكب ، وهذا يدحض ادعاءات البعض من المستشرقين الذين قالوا أن النبي لم يكن يقصد في أول الأمر نشر رسالته وتعميمها على الصعيد العالمي .

ثانياً — الممارسات الاعلامية الدولية لرسول الاسلام :

— الاتصال الدولي مع زعماء وملوك العالم :

في السنة السادسة للهجرة ، الموافق عام ٦٨٨ ميلادية ، وبعد عودة الرسول من صلح الحديبية ، وكانت الدعوة الإسلامية لا تزال في مراحلها الأولى ، وكانت تتحسس طريقها داخل الجزيرة العربية ، وكانت مكة لا تزال مغلقة دون الرسول والمسلمين ولم يكن يخطر ببال أحد آنذاك فكرة نشر الاسلام وتعميمه للناس كافة ، في ذلك الوقت أرسى الرسول مبدأ عالمية الدعوة ووضع منهاجاً لمخاطبة العالم شرقه وغربه ، ملوكه ، وشعوبه ، أبيضهم وأسودهم متجاوزاً كل الحدود السياسية والعوائق الطبيعية والفواصل الصناعية فكتب الى ملوك العالم ، وزعمائه يدعواهم للاسلام .

فتوجه النبي (ﷺ) الى الملوك والحكام — اعتقاداً منه — أنه بمخاطبة هؤلاء القادة لو تمت هدايتهم فإن ذلك سوف يترتب عليه استجابة تلقائية من الجماهير التابعة لهم لنداء الاسلام دون خوف من بطش يعصف بهم ، أو خشيّة ظلم يلحقهم ، أو قهر يحيق بهم ، أو عسف يصيبهم من هؤلاء الحكام ، وقد رأينا

(٣٩) سورة الروم : آية (١ — ٤) .

كيف كان لصدود فرعون ورفضه قبول دعوة موسى الأثر الكبير في خسوف المصريين آنذاك وترددهم في قبول دعوة موسى بعد أن هددهم بالقتل والصلب « فكذب وعصى ، ثم أدبر يسعى ، فحشر غنادى ، فقال أنا ربكم الأعلى » (٤٠) *

كما تؤكد حقائق التاريخ أثر القادة ودورهم الحاسم في تحقيق النجاح أو الفشل لأي دعوة من الدعوات ، وقد عرفنا مواقف الملأ أى القادة من دعوات الرسل كما عرضها لنا القرآن الكريم :

« قال الملأ الذين كفروا من قومه أنا لنراك في سفاهة ، وأنا لنظنك من الكاذبين » (٤١) *

« فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا » (٤٢) *

ومن هذا المنطلق رأى رسول الله بشاقب نظره ، وسعة أفقهه ، وقوة ادراكه ، أن يتوجه لهؤلاء الملوك والزعماء في كل أنحاء العالم يدعواهم الى الاسلام مطبقا بذلك ما أمره الله به في العديد من الآيات القرآنية :

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » (٤٣) *

وقد حمل كل واحد من هؤلاء الزعماء والحكام في خطاباتاته اليهم مسئولية هداية الجماهير الخاضعة لسلطانه ، ففى رسالته الى امبراطور الروم التى نقلها اليه دحية الكلبي قال له :

« أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وأن تتول فان اثم الأريسين عليك » (٤٤) *

(٤٠) سورة النازعات : آية (٢١ - ٢٤) .

(٤١) سورة الأعراف : آية (٦٦) .

(٤٢) سورة هود : آية (٢٧) .

(٤٣) سورة المائدة : آية (٦٧) .

(٤٤) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى . المرجع السابق . ص ١٥٨ .

وفي خطابه الى امبراطور الفرس الذى حمله عبد الله بن حذيفة
السهمى فقال فيه :

« أدعوك بدعاية الله عز وجل ، فانى رسول الله الى الناس كافة ،
ولأنذر من كان حيا ، ويحق القول على الكافرين ، وأسلم تسلم ، فان
توليت فان اثم المجوس عليك » (٤٥) *

وقال فى رسالته التى حملها حاطب بن أبى بلتعة الى المقوقس عامل هرقل
فى مصر :

« فانى أدعوك بدعاية الاسلام ، فأسلم تسلم يؤتلك الله أجرك مرتين
يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا
نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا
أشهدوا بأننا مسلمون » (٤٦) *

كما أرسل عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى امبراطور الحبشة يحمل
نفس المعنى الذى حمله الى حكام البلاد المسيحية أو أهل الكتاب كما يسميهم
القرآن *

ولم تقتصر دعوة الرسول على القادة والأباطرة العالمين فحسب ، ولكنه
توجه الى الحكام فى شبه الجزيرة العربية فبعث سليط بن عمرو العامرى الى
هؤذه بن على الحنفى أمير اليمامة ، وشجاع بن وهب الى الحارث بن أبى
شمر الغسانى ، والعلاء بن الحضرمى الى المنذر بن سناوى صاحب البحرين ،
وأرسل عمرو بن العاص الى جيفر وعباد ابن الجندى وقد أحصى المؤرخون
للسول أكثر من ثلاثمائة رسالة وجهها الى الحكام والأباطرة والملوك والأمراء
المعروفين فى العالم آنذاك (٤٧) *

(٤٥) المرجع السابق : ص ١٦٧ .

(٤٦) جلال الدين عبد الرحمن السيوطى حسن المحاضرة فى تاريخ مصر
والقاهرة . ج ١ . القاهرة . مكتبة ومطبعة البابى الحلبي بمصر . د . ت . ص ٩٨ .
(٤٧) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى
والاجتماعى . المرجع السابق . ص ١٥٧ .

وتدل هذه الممارسات الاعلامية لرسول الاسلام على ما يلي :

١ - ان الدولة الاسلامية في المدينة كانت في مراحل حياتها الأولى ، وكان أعداء الاسلام يتربصون به في كل مكان بل أن سلطان الدعوة لم يمتد بعد ليعطى حتى مسقط رأسه ، بل انه منع من دخولها وعقد صلحا اعتبره المسلمون ماسا بكبريائهم أى أن محمدا على الرغم من أنه لم يتمكن من بسط دعوته بعد في أحب الأماكن الى نفسه ، وأقربها الى قلبه الا أنه لم ينس الهدف الاسمي الذي بعث من أجله وهو التوجه الى العالم وإبلاغهم بالأمانة التي حملة الله اياها وطلب منه تعميمها لكل الناس *

٢ - أن محمدا كان يدرك أن قوته العسكرية والمادية أضعف بكثير من قوة هؤلاء الملوك والأباطرة ، وان هذه الرسائل يمكن أن تجر عليه مشاكل وتسبب له عثرات وتدفع هؤلاء الملوك الى ازالة هذا الرجل الذي جاء يشكك في عقائدهم ويزلزل من كيانهم ، الا أن هذه القوة المتواضعة لرسول الاسلام لم تمنعه من اعلام هؤلاء الجبابرة بالحقيقة الخالدة التي يؤمن بها لكي ينفذ أمر ربه في هذا الصدد غير مبال بما يمكن أن يحدث له من جراء ذلك *

٣ - أن احتمال دخول هؤلاء الجبابرة دين الاسلام كان ضعيفا ، والشواهد كلها تدل على ذلك * اذ كيف يقبل ملك يتربع على عرش امبراطورية ضخمة أو مملكة كبيرة أن يسلم بسهولة بدين جديد ويترك العقيدة التي يحكم بها وقام عليها نظام حكمه حتى يزلزل هذا البنيان ، ويفقد الأسس التي يقوم عليها ، حتى لو اقتنع هؤلاء الملوك والأباطرة بسلامة الفكرة وصحة العقيدة التي جاء بها دين الاسلام *

ثالثا - شمولية الاسلام وكمال دعوته :

باستعراض موضوعي لهذا الدين الخاتم يتبين لنا أن الاسلام منهج حياة وأنه نظام جامع يقوم على أساس صحيح من العلاقة بين الله والانسان والمجتمع ، وأنه يرسم للفرد أسلوبا كريما للتعامل مع المجتمع في مختلف المجالات بما يحفظ هذا المجتمع من الانهيار والتمزق ، ويحفظ

الانسان من الغربة والتملل ، وبقدر ما يحقق له طموحاته ، فانه يضع له
الضوابط والحدود الواقية دون ما ظلم وفساد أو انحراف .

أى أن الدين الاسلامى يتناول الحياة كلها ويتولى شئون البشرية كبرها
وصغيرها ويعالج قضايا الانسان لا فى الحياة وحدها ، ولكن كذلك فى الدار
الآخرة ، ولا فى عالم الشهادة وحده ، ولكن كذلك فى عالم الغيب المكنون
عنها ، ولا فى المعاملات الظاهرة المادية فقط ، ولكن فى أعماق الضمير ودنيا
السرائر والنوايا ، فهو مؤسسة هائلة ضخمة شاسعة مترامية . وفى ذلك
يقول الله تعالى :

« ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى
للمسلمين » (٤٨) .

« وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، ولا أصغر
من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين » (٤٩) .

« ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر
شيء جدلا » (٥٠) .

واذا أدركت البشرية أن القرآن الكريم هو الدستور الجامع لكل القوانين
التي يدار بها الوجود كله ، فكل شيء عند الله بمقدار ، وكل أمر يجرى على
سنة وقانون ، فهو كلام الله وخزانة معانيه ، وجامع علومه ومعارفه ، وبالتالي
فانها لن تحتاج الى فلسفات أو مذاهب تهدر فيها الوقت والجهد ثم سرعان
ما تكتشف فشل هذه الفلسفات والمذاهب بعد فوات الأوان واهدار وقت
الشعوب والأمم .

ولم يقف الاسلام حائرا أمام مشكلة من مشكلات الحياة فى أى عصر

-
- (٤٨) سورة النحل : آية (٨٩) .
 - (٤٩) سورة يونس : آية (٦١) .
 - (٥٠) سورة الكهف : آية (٥٤) .

من العصور أو بيئة من البيئات ، بل وجد الحلول العادلة لكل ما وجد
ويجد على سطح الأرض •

وهذا ما دفع المستشرقين المنصفين الذين اقتربوا من الاسلام وعرفوه
عن قرب الى القول بأن محمدا كان عالما في العديد من العلوم والمعارف ،
فكان ضليعا في علم البيان ، والحساب ، والمنطق ، والهندسة ، والرياضيات ،
وكان عالما في اللغويات ولولا هذا ما اضطر علماء الغرب الى اللجوء
الى تراث محمد يأخذون منه ما أثري الفكر الغربى ، وما جعل هؤلاء
العلماء يقدرون العلوم الاسلامية حق قدرها (٥١) •

ويؤكد المستشرق الشهير هاملتون جيب ان القرآن الكريم يرد على كافة
التساؤلات التى تثور فى الأذهان ، ويضع أصولا لكافة النظم الأساسية
فى المجتمع كنظام الزواج والموارث والنشاط الاقتصادى والسياسى والعسكرى
وغير ذلك حيث ان الآيات القرآنية تتناول جميع مشاكل الحياة ، وتعالج كل
القضايا التى تظهر فى المجتمع الانسانى ، كما أن سنة النبى تعطى مزيدا من
التفاصيل للحقائق التى تضمنها القرآن (٥٢) •

ورسالة الاسلام لم تقتصر على معالجة قضايا معينة أو تعالج مشكلات
خاصة فى حياة الانسان ، فلم تحصر نفسها فى الأمور الروحية مثلا وقضايا
العبادات والشعائر وتضع أصول المناسك وتترك الجوانب الأخرى المادية
التي تكتنف حياة الانسان فى معترك الحياة ، ولم تكشف الأبحاث العلمية
الصحيحة أى خلل فى النظام الاقتصادى أو الاجتماعى أو السياسى الذى أتى
به الاسلام ، ولم يثبت أحد من العلماء أو الباحثين فى أى مجال من مجالات
الحياة مجرد شك فى أى معلومة أتى بها القرآن . ولكن حقائق التاريخ وواقع
الحياة تؤكدان أن مسيرة الفكر الاسلامى سارت فى صدق وثبات على مدى
أربعة عشر قرنا مضت وستظل هكذا حتى يرث الله الأرض ومن عليها •

Norman Daniel : The Arabs and mediaeval Europe. (٥١)

Second ed. London, Longman group Limited. 1979, p. 237.

Hamilton A. R. gib. Studies in the civilization of Islam. (٥٢)

New Jersey. Princeton University Press, 1962 p. 197.

وهذا بخلاف الرسالات السماوية الأخرى التى انحصرت فى مسائل وقضايا لم تتعدها ، فالمسيحية على سبيل المثال عيّنت بالآداب والأخلاق ، ولم تكن كثيرا بالمعاملات ونظام الحكم والقضايا الاقتصادية والفكرية الأخرى ، ولذلك غلب عليها الجانب الروحى فى محاولة السمو بالإنسان وانتشاله من المستنقع الذى وضع نفسه فيه آنذاك وكذلك اليهودية وغيرها من الأديان حتى جاء الاسلام فشمّلها جميعا وصاغ قضايا الانسان فى كل مناحى حياته •

رابعاً - معجزة محمد باقية وخالدة :

تتميز معجزة محمد (ﷺ) عن معجزات الرسل الذين سبقوه بالخلود والاستمرارية مدى الدهر لأنها معجزة انسانية لا يحدها أو يعنقها بقاءها أو يقلل من قدرها غائق زمانى أو مكاني وهى « القرآن الكريم » ويستطيع أى باحث أن يتناولها ، وأى طالب للحقيقة أن يلمسها دوماً ، بينما معجزات الأنبياء والرسل الذين سبقوا محمداً كانت وقائع انقضت وآثارها الذين عاصروا الأنبياء ولم يرها الذين جاءوا بعدهم ، وانما وصلت سماعاً ورواية ، وذلك مما يضعف من تأثيرها لمن لم يشاهدها أو يعايشوها وخصوصاً فى الزمن الذى كثرت فيه الشبهات على الأديان ، فكيف تقنع ملحد اليوم بحقيقة عصا موسى وطب عيسى ونار ابراهيم اذا لم يكن مؤمناً بها أصلاً ، مدركاً لأبعادها ، متفهماً لمضمونها •

لهذا كان موقف الاسلام من المعجزات الحسية هو صرف الناس عن طلبها وردهم الى التأمل والتفكير فى آيات الله ، وما تضمنته من الهداية المتمثلة فى القرآن •

ولو لم تكن الرسالة عامة لكان الناس ممن سيأتون من أجيال وأمم حجة على الله فبنقطعت هذه الحجة بالرسالة العامة لكل الناس فى كل الأحقاب التى تلت بعثة محمد ، لأن انكار أن هناك رسالة بعد أنبياء بنى اسرائيل أو بعد عيسى لا يتفق مع عدل الله فى أن يأخذ الناس بالعقاب بعد البلاغ ، ولم يسبق أن كانت هناك رسالة عامة ، لذا كان لابد من هذه الرسالة العامة رحمة بالعباد وعدلاً من الله :

« لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » (٥٣) •

وقد أراد الله أن تكون معجزة محمد معجزة انسانية عقلية دائمة خالدة على مدى الدهر كله لا يستطيع الانس والجن الاتيان بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، هذه المعجزة هي القرآن ، وهو أكبر المعجزات التي اذن الله بها •

واختصاص الانسان بالبيان في سورة الرحمن يرتبط بهذه المعجزة التي توافق الدين فيها مع تطور البشرية ، فحيث كانت معجزة موسى مناسبة لعصر السحر الذي غشا بين قومه ، وكانت معجزة المسيح الخارقة للعادة بين قومه هي دليل نبوته في عصر الأبطال الذي افتقرت فيه البطولة بالخوارق ، فانه حين بزغ عصر الانسان كانت معجزة خاتم الأنبياء هذا البيان الذي يخاطب الحس المرهف والضمير الحي والبصيرة الواعية ، ويرقى بالبشرية كلها الى المستوى الذي يرجى لها فيه أن تؤمن بهذه المعجزة البيانية والانسانية بصفة عامة نظرا لهذه الميزة التي ينفرد بها الانسان عن سائر الكائنات الأخرى فالانسان حيوان ناطق وهو تعريف جامع لكل أفراد الجنس البشرى مانع لغيره من الحيوان الأعجم (٥٤) •

وهو بهذا يوجب على شعوب البشر كلهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم في أوروبا أو آسيا أو الأمريكتين أو استراليا أو غيرها ان تتبع رسولا واحدا وتقتدى به وتسلم بدينه وشريعته لأن الاسلام نزل لكل الناس بعد ما اختلفت الديانات التي سبقته كلها بقوم كل رسول ، فلم يكن بد من تبليغ عام في ختام الرسالات ، وتبليغ الى الناس كافة بجميع أجناسهم ولغاتهم وسواء عاصروا الرسول وقت حياته ، أم جاءوا بعد انتقاله الى جوار ربه •

(٥٣) سورة النساء : آية (١٦٥) •

(٥٤) عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الانسان . ط ٥ . المرجع السابق .
دار العلم للملايين . ١٩٨٢ . ص ٥٩ •

ذلك أن رسالة الاسلام جاءت بدين للبشرية كلها ، ليكون شريعة للناس جميعا ويكون هو المرجع النهائي ، ولتقديم منهج الله لحياة الانسان حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، فهو المنهج الذى تقوم عليه الحياة فى ثنتى مناحيها ونشاطها ، والشريعة التى تعيش الحياة فى اطارها وتدور حول محورها ، وتستمد منه تصورها الاعتقادى ونظامها الاجتماعى وآداب سلوكها الفردى والجماعى ، وقد جاءت كذلك ليحكم بها (٥٥) .

خامسا - دعوة محمد اختتم الله بها سائر الدعوات السماوية :

من الأمور البديهية فى العقيدة الاسلامية أن رسالة الاسلام هى آخر الرسالات السماوية ، وأن محمدا (ﷺ) هو خاتم النبيين الى كافة البشر ، وأن الناس على اختلاف مللهم وأديانهم واعتقاداتهم وأجناسهم وأوطانهم مدعوون الى الايمان بما جاء به فى عمومته وفى تفصيلاته ، وأن من لا يؤمن به رسولا ، أو لا يؤمن بما جاء به اجمالا وتفصيلا فهو ضال لا يقبل منه ما كان عليه من دين قبل هذا الدين (٥٦) .

وقد قرر القرآن الكريم ان الرسالات الالهية كلها غدت اختتمت برسالة محمد ، التى لا تزال وستظل صالحة لأن تقوم بدورها اذا وجدت آذانا صاغية ، وقلوبا متفتحة للحق والخير والجمال .

يقول الله على لسان نبيه :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأنتم على نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » (٥٧) .

(٥٥) سيد قطب : فى ظلال القرآن . مج ٢ . ج ٥ - ٧ . المرجع السابق .
 ص (٩٠١ - ٩٠٢) .
 (٥٦) سيد قطب : المرجع السابق . ص ٩٤٢ .
 (٥٧) سورة المائدة : آية (٣) .

وخين أعلن محمد أنه خاتم الأنبياء والرسل جميعا ، قالها بثقة واحتمنان لأنه لم يأت نبي بعده يشكك فيما قال ويثبت صحة ادعائه ، أو يأتي بمعجزة أكثر ثباتا واستمرارا من معجزة رسول الاسلام وذلك منذ أربعة عشر قرنا الى الآن ، وفي هذا برهان قووى ودليل ناصع على :

١ — أن ما جاء به محمد من قرآن وما قاله من حديث حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

٢ — أن رسالة الاسلام هي الرسالة الخاتمة للبشر كلهم أجمعين حتى قيام الساعة .

٣ — أن القرآن الكريم — معجزة الاسلام الكبرى — هو بعينه القرآن الذى تلاه محمد على المسلمين أثناء حياته ، لم يحرف ولم يبدل ، يقر بذلك أكثر المستشرقين^(٥٨) . . . كما يقرر الله فى هذا الكتاب المبين :

« انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون »^(٥٩) .

وقد علم الله — سبحانه — أن هذه الرسالة الأخيرة ، وما ينبثق عنها من منهج شامل للحياة هي خير ما يكفل للحياة النمو والتجدد والانطلاق الى أن تقوم الساعة ، فايما انسان يمكن أن يزعم لنفسه أنه أعلم من الله بمصلحة العباد ، أو يزعم أنه يملك ابتداء من منهج أمثل من المنهج الذى أراد الله أيما انسان يزعم واحدة من هذه الدعاوى أو يزعمها جميعا فقد كفر كفرا صريحا لا مراء فيه ، وأراد لنفسه ولل البشرية شرما يريده انسان بنفسه وبالناس جميعا ، واختار موقف العبداء الصريح لله والعبداء الصريح للبشرية التى رحمها الله بهذه الرسالة ذلك أن محمدا رسول الله الى البشرية جمعاء — اعتمدت رسالته الخاتمة على الادراك الواعى ، ليعلن عهد الرشد الانسانى ، ومن ثم كان هو خاتم الرسل ، وكانت رسالته خاتمة الرسالات .

(٥٨) سيد قطب المرجع السابق . ص ٢٨٣ .

(٥٩) سورة الحجر : آية (٩) .

ومن ثم انقطع الوحي بعده ، وارتسفت للبشرية في رسالته تلك الوحدة الكبرى ، وأعلن المنهج الواسع الشامل الذى يسع النشاط الانسانى المقبل في اطاره ، ولم تعد الا التفصيلات والتفسيرات التى يستقل بها العقل البشرى في حدود المنهج الربانى ، ولا تستدعى رسالة الهية جديدة .

سادسا - رسول عربى ودين عالمى :

ومن الأدلة العملية والبراهين المنطقية التى تؤيد دعوى عموم الرسالة ما كان يقوم به النبي من ترحيبه ومساعدته لكل من يشهر اسلامه من العجم . يدل على ذلك ما قاله في أول الأمر متنبئا بعالميتها :

« ان بلالا أول ثمار الحبشة ، وأن صهيبا أول ثمار الروم » .

وكان ذلك ما قاله أيضا عن سلمان أول من أسلم من الفرس ، وكان عبدا نصرانيا بالمدينة اعتنق الاسلام في السنة الأولى من الهجرة .

وقد صرح محمد (ﷺ) في وضوح وجلاء أن الاسلام ليس مقصورا على الجنس العربى . وكان ذلك قبل أن يدور بخلد العرب أى شىء يتعلق بحياة الفتح والغزو بزمان طويل . أى أن عالمية الاسلام قد تقررت منذ بدء الوحي ، وفي الأوقات التى كانت فيه الدعوة تعاني الأمرين ، وفي الوقت الذى كان فيه أهل مكة يستكثرون أن يكون محمد رسولا لهم .

وكانت الآيات المكية تنزل على الرسول مؤكدة أن دعوة الاسلام موجهة الى العالم كله ، ويؤكد ذلك قوله تعالى :

« فإين تذهبون ، ان هو الا ذكر للعالمين ، ان شاء منكم أن يستقيم ، وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين » (٦٠) .

(٦٠) سورة التكوين : آية (٢٦ — ٢٩) .

وفي هذا يقول أربري Arberry لقد كانت الكلمة الأولى في النداء الذي حمل الوحي الى رسول الله أثناء قيامه بوحدة من رحلات التعبد التي كان يقوم بها في أحد الكهوف خارج مكة (اقرأ) *

ولم يتوجه هذا النداء الى العرب فقط ولم يستهدفهم وحدهم ولكنه نداء الى البشرية كلها حاملا رسالة الله الى الانسان في كل مكان ، وهو علامة بارزة على أن هذا الكتاب الذي يحمل معنى القراءة والعلم يخاطب كل الناس^(٦١) *

وكون الاسلام نزل على العرب وحمله نبي عربي بلسان عربي لا يعني أبدا أنه خص أمة العرب وحدها لأنه ليس من غير المعقول أن ينزل القرآن بكل اللغات التي يتحدث بها العالم آنذاك ، وهذا لا يجوز مع الرسالة الخاتمة التي جاءت لكي تستمر حتى آخر الزمان حيث ان الأقوام تختلف والأجناس تتداخل ، وتحدث تحولات بشرية وسياسية واجتماعية في مختلف الأحقاب ومختلف الأزمنة نتيجة للهجرات البشرية والتغيرات الأيكولوجية واللغوية التي تفرضها هذه التطورات وبالتالي فإنه كان لابد من نزول الوحي على نبي واحد ، يحمله للعالم أجمع ، ويكون لرسالته طابع الديمومة والاستمرار حتى لا تتوقف دعوته عند قوم معينين أو زمن معين ، وهذا يدحض الاتهامات التي يوجهها البعض الى الاسلام بأنه دين عربي أو أن هذا الدين مرتبط بالعرب ، ويعالج القضايا العربية فقط ، واستندوا في ذلك الى أن الله لا يجوز له أن يضع لغير العرب شريعة باللسان العربي ، كما أنه لا يجوز أن يحاسب الناس على أساس من شريعة لم تنزل بلغاتهم المختلفة ولم يفهموا ما جاء فيها ، أي أن الرسالة ليست موجهة لغير العرب * ولو صح هذا الكلام لما حقق الاسلام أعظم أمجاده على يد رجال لا ينتمون الى الأمة العربية ، فالامام البخاري من أكبر رواة الحديث في العصر الاسلامي الأول من بخاري ، وصالح الدين الأيوبي الرجل الذي حقق أعظم الانتصارات الاسلامية على الصليبيين كان رجلا كرديا * * وجمال الدين الأفغانى رائد النهضة الفكرية في القرن التاسع عشر من أفغانستان ، كما أن نجاح الاسلام وشريعته في أندونيسيا وباكستان ، ونيجيريا وتركيا وغيرها يؤكد عالميته ويدحض ما دون ذلك من الادعاءات والدعوى *

الفصل الرابع

الدعوة الإسلامية والطبقة البشرية

تتوجه الدعوة الاسلامية - كما كشفت الدراسة - الى الناس جميعهم في كل مكان وفي كل زمان ، وتقوم في ذلك على مجموعة من الأسس متجاوزة في ذلك كل الحواجز الطبيعية والسياسية والصناعية لتخاطب الانسان في كل صوب وحسب ، وهذه الأسس والركائز تتيح لها أوسع الفرص للنشاط والحركة والتفاعل مع كل المطالب الانسانية وذلك من خلال المساحة المشتركة مع جميع الشرائح البشرية أيا كانت أفكارهم أو عقائدهم أو اهتماماتهم أو أعمالهم أو أنواعهم ومذاهبهم •

وقد اشتمل الاسلام على الواقع العقائدى والتاريخى والدينى لجميع الأقوام ويعالج احتياجات الانسان ومطالبه : آماله وآلامه وحبائنه وموته ، حبه وكراهيته ، غناه وفقره ، علمه وجهله •

وهذا يمكن للخطط الاعلامية من أن تتطرق لمخاطبة كافة الطوائف والفئات والشرائح البشرية وتمارس نشاطها بفاعلية في هذه المساحة المشتركة •

واذا استثنينا النواحي العقائدية والجوانب الفكرية التى يختلف فيها الاسلام مع أصحاب العقائد والمذاهب الأخرى ، فسنجد أن هناك العديد من النقاط المشتركة ونواحي الاتفاق بين الاسلام وغيره من العقائد والمذاهب المعاصرة يمكن أن تعد أساسا صالحا لخطة اعلامية تستثمر هذه النقاط لمخاطبة الجماهير التى تعتنق الأفكار والأيدولوجيات الأخرى وتشكل بداية انطلاق للمرحلة الأولى من مراحل الدعوة ، وهذه المساحة المشتركة بين الاسلام وغيره من العقائد والمذاهب المعاصرة يمكن أن تقام عليها عبادة واحدة تلتقى فيها الدعوة الاسلامية مع غيرها من الدعوات ، تحقق لدعوة الاسلام قبولا ورواجا لدى أصحاب المذاهب والأفكار الأخرى ، وتمكنها في مرحلة أخرى من التأثير وتعديل الاتجاهات لأن التأثير وتعديل الاتجاهات لن يأتى قبل التعرض للرسالة الاعلامية ، والتعرض لن يتم الا اذا حدث

Selective Exposcure

بشكل انتقائى ولن يحدث التعرض الانتقائى
الا اذا وجد الجمهور المستهدف فى الرسالة ما يشده اليها ويجذبه الى
محتوياتها من قضايا وأمور تخاطب اهتماماته ، فإلهم اذن هو أن نمكن لهذه
الجماهير من أن تتعرض للرسالة التى يتناولها الداعية عن طريق السماع أو
القراءة أو المشاهدة •

وقد أكدت الدراسات العلمية أن الناس يعرضون أنفسهم للرسالة
الاعلامية بشكل انتقائى ويختارون ما يتفق مع اتجاهاتهم السابقة ، ويتجنبون
التعرض للرسائل التى لا تتفق مع وجهات نظرهم وإذا ما تعرض الناس
لوجهات نظر مخالفة فكريا ما يدركون معناها بشكل محرف ليجعلوها تتفق مع
وجهات نظرهم وهذا ما يسمى بالادراك الانتقائى ، والناس يميلون الى ادراك
ما يرغبون فى ادراكه فعلا ، كما أنهم يكونون أكثر استجابة الى الأمور
والواقف التى يثيرون لها ويدافعون عنها والناس اقتنعوا بها من قبل (١) •

وفى الاسلام نقاط التقاء وجوانب اتفاق كثيرة مع الانسان مهما تانت
العقيدة التى يؤمن بها أو المذهب الذى يعتنقه ، وهذا يشكل أساسا صالحا لحوار
متبادل وتفاهم مشترك بين المسلمين وغيرهم ، وتكمن هذه الجوانب والنقاط
فيما يلي :

١ - الاخوة الانسانية :

تقوم دعوة الاسلام على مبدأ أساسى قوامه الاخوة بين بنى البشر
بغض النظر عن ألوانهم وأجناسهم وأصولهم ومذاهبهم ، فالجميع تجمعهم
الوحدة الانسانية •

والاسلام بهذا هو الدعوة العالمية التى بعث بها الله محمدا (ﷺ) لتكون
نظام الانسانية الكامل فى حياتها الروحية والمادية ، كما وضع أصولا دائمة
لإصلاح جميع نواحي النشاط الانسانى ، ولم يضع للمعرفة الانسانية حدا ،

(١) Wells, Herman and Willis Benjamin : Mass Communication
and education. Washington Education Polices Commission
1958, p. 52.

وطالب بترك التقليد الأعمى ، والايمان الذى يقوم على غير دليل ، ودعا الى أخوة بشرية عامة لا تفاضل فيها لأحد على أحد الا بالتقوى والعمل الصالح ، كما دعا الى الحرية والشورى والاخاء والمساواة ونشر الأمن والرفاهية والوثام والسلام بين بنى البشر جميعهم ، ويسعى الى تحقيق الوحدة بين الأجناس والعناصر والألوان ، لأنه يقيم مبادئه على سمو الغاية (٢) .

وقد قرر الاسلام أن يعامل الناس جميعاً على قدم المساواة بدون التفرقة بين صعلوك وأمير ، ولا بين شريف ووضيع ، ولا بين غنى وفقير ، ولا بين محبوب ومكروه ، ولا بين قريب وبعيد ، فالعدالة الاسلامية لها ميزان واحد وبذلك سوى بين الناس فى الحقوق المدنية وشئون المسؤولية والجزاء ، كما سوى بينهم فى حق التعليم والثقافة وحق العمل سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين ، ذكورا أم اناثا — أغنياء أم فقراء — أقوياء أم ضعفاء — عربا أم عجماء . فقرر الاسلام أن الناس سواسية بحسب خلقهم الأول وعناصر تكوينهم الأولى فليس ثمة تفاضل بينهم .

وقد أقام هذا الدين العلاقة بين الأفراد ، وبين الجماعات ، وبين الدول على مبادئ تقوم على السلام والأمان والاخاء والحب وتقضى على روح الاستعلاء بالعنصر أو الدم أو الاقليم أو القوم ، وتفتح الطريق لأسلوب جديد من التعامل يقوم على أساس وحدة العقيدة والفكرة والمفاهيم المشتركة لأن الناس كلهم أخوة وأصلهم واحد .

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » (٣) .

وانطلاقا من هذه الحقيقة وضح الاسلام أساسا للعلاقة بين كل أفراد الجنس البشرى يقوم على المودة والاحترام ومساعدة الضعيف واناذا المهوف

(٢) البهى الخولى : تذكرة الدعاة . القاهرة . مطبعة دار الكتاب العربى . ١٩٥١ . ص ١٤ .
(٣) سورة الحجرات : آية (١٣) .

والفرق بالانسان أيا كان دينه أو مذهبه أو أصله فليس لعربي فضل على أعجمي الا بالتقوى ، والقرآن الكريم يحصى العديد من الآيات والمواقف التي تحث على عمل الخير وتقديم المعروف للناس جميعا حتى في حالة الغضب .

« ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » (٤) .

وكان هذا شأن الرسول حتى مع المناقضين والحاقدين والكارهين لدعوته ، فكان يترك الى الله سرائرهم ، ويعاملهم بما يبدو من ظواهرهم ، وكان يشفق عليهم من اثم ما يصنعون ويكتفى بأن يشعرهم باثم ما يجرمون ولا يوقع بهم أى أذى ، دون أن يعرض للأشخاصهم بشيء على الرغم من تحريفهم للكتاب وانكارهم لما فيه ، وتشكيكهم في كل ما يقول واستهزائهم بشعائره وآياته .

واذا كان هذا هو الحال مع أناس حكم عليهم القرآن بأنهم في الدرك الأسفل من النار ، فانه من باب أولى أن يتعامل الداعية المسلم مع غيرهم باعتبارهم أخوة في الانسانية فينفذ ما قاله نبي الاسلام حين قال :

« اتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

وهنا يجد غير المسلمين في دعوة الاسلام ما يحقق أغراضهم ويلبى احتياجاتهم ويحقق طموحاتهم في حياة حرة كريمة تسودها المحبة والمساواة بين بنى الانسان .

٢ - احترام الانسان من حيث هو انسان :

ركز الاسلام على احترام الانسان من حيث هو انسان وتكريمه ومن مظاهر هذا التكريم والاحترام ما يلي :

(١) أن الله الذى خلق الانسان ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، سخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا ، ووجهه

(٤) سورة المائدة : آية (٨) .

القنوى العقلية والروحية التي تمكنه من أن ينسود هذا الكوكب ويعمره ، وجعله خليفة عنه في إقامة الحق والعدل ، وفي ذلك يقول تعالى :

« هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا » (٥) •

(ب) يحافظ الاسلام على حقوق الناس جميعا ، فالجميع لهم حق الحياة ، وحق التملك ، وحق الحرية ، وحق الانطلاق الى الآفاق الواسعة ليبلغوا الكمال ، ويحصلوا على الرقى المقدر سواء أكان ماديا أم أدبيا (٦) •

(ج) يؤكد على أن الأصل الانسانى واحد مهما اختلفت الألوان والأجناس ، والقوميات •

« سبحانه الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » (٧) •

(د) عدم الاعتداء على أى انسان بسبب الأصل أو الجنس أو اللون أو المال لأن الانسان هو خليفة الله على هذه الأرض ولذا وجب تكريمه كما كرمه الله فى القرآن الكريم بقوله :

« ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (٨) •
« لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » (٩) •

-
- (٥) سورة البقرة : آية (٢٩) •
(٦) السيد سابق : عناصر القوة فى الاسلام . بيروت . دار الكتاب العربى . ١٩٨٦ . ص ٢٠٩ •
(٧) سورة يس : آية (٣٦) •
(٨) سورة الاسراء : آية (٧٠) •
(٩) سورة التين : آية (٤) •

« ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأَسْبَغَ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » (١٠) *

ومن أبرز معالم احترام الإنسان في دعوة الاسلام ما حث عليه القرآن من أسلوب معاملة غير المسلمين ، فقال عن أهل الكتاب :

« وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ الْبَالِغِينَ هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ، وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُم ، وَالْهَذَا وَالْهَؤُلَاءِ وَاحِدٌ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » (١١) *

« وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ أَسْلَمْتُمْ ، فَإِنْ أَصْلَحُوا فَقَدْ اهْتَدَوْا ، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ » (١٢) *

كما كرم الاسلام المرأة ورفع قدرها وحفظ لها كرامتها ، وكرم الطفل والشيخ والعبد ، ووضع دستوراً للعلاقة المثلى بين الناس جميعاً حتى لا يجور قوى على ضعيف ، أو غنى على فقير ، أو رجل على امرأة ، ويعرف كل ذي حقه في مواجهة الآخرين . والشريعة الاسلامية تتضمن أسساً راسخة لأصول العلاقة الخاصة والعامة بين الناس بعضهم وبعض ، ولا يتسع المقام هنا لذكر تفاصيل هذه العلاقات ومدلولاتها .

وقد أعطى النبي مثلاً أعلى لمعاملة أهل الكتاب ، فقد روى أنه كان يحضر ولائهم ويشيع جنازتهم ، ويعود مرضاهم ويزورهم ويكرمهم ، وكان يقترض منهم نقوداً ويرهنهم أمتعة ، وكان يفعل ذلك لا عجزاً ولا ضعفاً ولكن تعليماً وارشاداً لأمتهم ، وليعطى المثل الأعلى للمسلمين للسير على منهاجه ، ومعايشة غيرهم من أهل الملك والنحل الأخرى في ضفاء ووئام ، فكان المسيحي واليهودي يجاوران المسلم فيتزاوران ويتهاديان لا يفصلهم إلا المسجد

-
- (١٠) سورة لقمان : آية (٢٠) .
 - (١١) سورة العنكبوت : آية (٤٦) .
 - (١٢) سورة آل عمران : آية (٢٠) .

والكنيسة والبيعة ، ومعنى هذا أن الاسلام لا يفرق في مكارم الأخلاق وحقوق الاجتماع بين مسلم وغيره (١٣) .

بل ان الاسلام حث المسلمين على اغاثة المهوفين من غير المسلمين حتى المشركين منهم :

« وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » (١٤) .

والاسلام لا يعادى غير المسلم لأنه مخالف له في عقيدته ، به انه يأمر بمودة هؤلاء الا اذا ناصبوا المسلمين العداء ، لأنه في هذه الحالة وجب على المسلمين رد العدوان بالمثل :

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » (١٥) .

« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وانقسوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » (١٦) .

وقد دل تاريخ المسلمين على ان تشريعهم يسمح لغير المسلم أن يقاضى أرشع انسان من المسلمين وينتصف منه ، وقد نشأ المسلمون نشأتهم الأولى والدين أقوى حاكم على شعورهم ، ولما انتشر العلم فيهم ونبت منهم المؤلفون والباحثون لم تصب هذه النزعة فيهم أدنى انحراف بل زادوها رونقا بما قاموا به من حماية علماء الملل الأخرى ومكافأتهم (١٧) .

-
- (١٢) عفيف عبد الفتاح طيارة : روح الدين الاسلامى . ط ١٦ . بيروت .
 دار العلم للملايين . ١٩٧٧ . ص ٢٨٥ .
 (١٤) سورة التوبة : آية (٦) .
 (١٥) سورة البقرة : آية (١٩٠) .
 (١٦) سورة البقرة : آية (١٩٤) .
 (١٧) المرجع السابق : ص ٢٨٦ .

وهكذا فان الاسلام حرص كل الحرص على احترام الانسان والحفاظ على حقوقه ودرء الخطر عنه لا لشيء الا لكونه انسانا كرمه الله ورفع قدره على سائر المخلوقات . وهذه من أهم الايجابيات التي تسمح بلغة مشتركة وتشكل ركيزة أساسية للالتقاء بين الدعوة الاسلامية والجنس البشرى كله حتى وان كانوا ملاحدة أو مشركين .

— دعوة حق ورسالة عدل :

يقول المستشرق الأنجليزى الشهير السير توماس أرنولد ان الاسلام هو دين رسالة ، يستهدف نشر الحق ، وهداية الكفار الى واجب مقدس حمله مؤسس هذه الرسالة وخلفاؤه من بعده . وروح الحق لا تستقر فى قلوب المؤمنين حتى تتجلى فى الفكر والقول والعمل ولا تقنع حتى تؤدى رسالتها نحو الانسانية لكي تعترف الجماعة الانسانية بهذا الحق والعدل ، وهذا هو ما دفع المسلمين الى أن يحملوا رسالة الاسلام ويتوجهوا بها الى شعوب العالم من حولهم ، مستهدفين من وراء ذلك نشر دينهم ليحتل مكانته ، وقد أثمرت جهودهم ألف مليون مسلم ينتشرون فى هذه المساحة الشاسعة على كوكب الأرض^(١٨) .

ودعوة الحق هذه مكنتهم من أن يتبوءوا مكانتهم كسادة على امبراطورية أعظم من امبراطورية روما فى أوج عظمتها ، ويكفى أنه بعد انقضاء مائة عام على وفاة الرسول حمل أتباعه دعوته وانطلقوا بها غربا حتى أسبانيا وشرقا بعد نهر السند ، ومع أن هذه الامبراطورية العظمى قد تصدعت أركانها فيما بعد ، وتضعفت فيها قوة الاسلام السياسية فان غزواته الروحية ظلت مستمرة دون انقطاع .

والاسلام يوجب العدل ويحرم الظلم ، وتتجه تعاليمه السامية وقيمته الرفيعة الى المودة والرحمة والتعاون والايثار والتضحية وانكار الذات وغير

(١٨) أرنولد ، سير توماس : الدعوة الى الاسلام . المرجع السابق .
ص ٢٥ .

ذلك مما يعطى للإنسانية معنى ساميا ، ويرتقى بها أرفع الدرجات وأجلها .

والاسلام حريص كل الحرص على المحافظة على حقوق الناس ، ودمائهم وأعراضهم وأموالهم ، كما يعنى بصيانة حرياتهم وكرامتهم ، ويتخذ لذلك جميع الوسائل التى تحفظ هذه الحقوق وتضونها جميعا ، وتمنع الظلم بجميع أشكاله ، وفى ذلك يقول تعالى :

« لقد أرسلنا رسلا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » (١٩) .

« والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا فى الميزان » (٢٠) .
ويقف فى وجهه الظلم بكافة أشكاله :

« وما الله يريد ظلما للعباد » (٢١) .

« ولقد آهلكننا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين » (٢٢) .

« ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار » (٢٣) .

« ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا » (٢٤) .

« يوم لا ينفع الظالمون معذرتهم ، ولهم اللعنة ولهم سوء الدار » (٢٥) .

(١٩) سورة الحديد : آية (٢٥) .

(٢٠) سورة الرحمن : آية (٧ ، ٨) .

(٢١) سورة غافر : آية (٣١) .

(٢٢) سورة يونس : آية (١٣) .

(٢٣) سورة ابراهيم : آية (٤٢) .

(٢٤) سورة الفرقان : آية (٢٧) .

(٢٥) سورة غافر : آية (٥٢) .

وأكد القرآن على ضرورة العدل مع الجميع :
« وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » (٢٦)

ومع أهل الكتاب :

« فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم » (٢٧) *

والتطلع الى الحق والرغبة في العدل مطلب لكل الناس ، فلا يوجد دين سماوى أو مذهب وضعى يريد ظلما أو قهرا للبعض على حساب البعض رغم اختلاف الطرق والأساليب التى يختارها كل نظام أو عقيدة *

— دعوة أساسها التسامح والرحمة والسلام :

تقرر الدعوة الاسلامية ابتداء انه لا اكراه في الدين ، وبالتالي فهى تؤكد على مبدأ حرية التدين *

وقد قرر الاسلام في معاملة غير المسلمين حقوقا تضمن لهم الحرية في ديانتهم والمجال الفسيح في اجراء أحكامها بينهم ، واقامة شعائرها بارادة مستقلة ، فلا سبيل لأولى الأمر لتعطيل شعيرة من شعائهم ، ولا مجال للسلطة القضائية في ديار الاسلام في قهر ارادتهم ، بل يبقون على شرائعهم * وفى ذلك يقول الله تعالى :

« لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعك في الأمر ، وادع الى ربك ، انك لعلى هدى مستقيم ، وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون » (٢٨) *

« يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلام كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان »

-
- (٢٦) سورة الأنعام : آية (١٥٢) .
 - (٢٧) سورة الشورى : آية (١٥) .
 - (٢٨) سورة الحج : آية (٦٧ ، ٦٨) .

انه لكم عدو مبين ، فان زلتم من بعد ما جاءكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم «(٢٩)» *

وامعانا في التسامح والرفق والرحمة والصبر حث الاسلام على التحلى بحسن الخلق واللين حتى مع الجهلاء والاعراض عن اللغو في الحديث والتجاوز في القول ، وفي ذلك يقول تعالى :

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » «(٣٠)» *

« واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين » «(٣١)» *

« قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون » «(٣٢)» *

« لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس » «(٣٣)» *

وحت على الكلمة الطيبة والأداء الحسن :

« وقولوا للناس حسنا ، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » «(٣٤)» *

« وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ، ان الشيطان ينزغ بينهم ، ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا » «(٣٥)» *

(٢٩) سورة البقرة : آية (٢٠٨ ، ٢٠٩) .

(٣٠) سورة الفرقان : آية (٦٣) .

(٣١) سورة القصص : آية (٥٥) .

(٣٢) سورة المؤمنون : آية (١ — ٣) .

(٣٣) سورة النساء : آية (١١٤) .

(٣٤) سورة البقرة : آية (٨٣) .

(٣٥) سورة الاسراء : آية (٥٣) .

« قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها آذى ، والله غنى حليم » (٣٦) .

ويدل ذلك توماس أرنولد (٣٧) على التسامح كقيمة ومبدأ تلتزم به الدعوة الإسلامية قائلًا أنه على الرغم من أن صفحات التاريخ قد تلوثت بدماء كثير من الاضطهادات القاسية ، فقد ظل الملاحة ينعمون في ظل الحكم الإسلامي بدرجة من التسامح ليس لها مثيل في أوروبا حتى في عصور حديثة جدا .

ويؤكد أن العقيدة الإسلامية تلتزم بالتسامح مع جميع اتباع الديانات الأخرى حيث ان التحول الى الاسلام قهرا وكرها محرم طبقا لتعاليم الاسلام .

وقد جاء في الأخبار النصرانية شهادة تؤيد مدى التسامح الاسلامي ، وهي شهادة « عيشويابة » الذي تولى كرسى البطريركية من سنة ٦٤٧ هـ — اذ كتب يقول :

« ان العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون ، انهم ليسوا بأعداء للنصرانية بل يمتدحون ملتنا ويوقرون قسيسينا وقديسينا ويمدون يد المعونة الى كنائسنا وأديرتنا » (٣٨) .

وقد اقتلع الاسلام من قلوب المسلمين جذور الحقد الديني بالنسبة لاتباع الديانات السماوية الأخرى وأقر بوجود زمالة عالمية بين أفراد النوع البشري ، ولم يمانع أن تتعايش الأديان جنبا الى جنب ، لأن العقائد أمر لصيق بالنفسوس يصعب على المرء تغييرها دون تفكير وتدبر ، والكل في الانسانية وفي حق الحياة سواء (٣٩) .

(٣٦) سورة البقرة : آية (٢٦٣) .

(٣٧) أرنولد توماس : المرجع اسبق . ص ٤٦١ .

(٣٨) Thomas of marge : Eooks of Gaverners. Vol. 2 p. 156. (٣٨)

(٣٩) يوسف محمود عبد المقصود وآخرين : العلاقات العامة والخاصة في الاسلام . القاهرة . دار الكتاب الجامعى . د.ت . ص ٤٢ .

وهذا هو منهج الاسلام الذى وضعه الله ليلتزم به المسلمون مع
غير المسلمين .

« قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما
بما كانوا يكسبون » (٤٠) .

ويأتى ذلك انطلاقاً من التفاعل والانفتاح بين الاسلام والأمم الأخرى
ليعطى مجالا مشتركا للتفاهم والمعايشة بعيداً عن الانغلاق والتعصب .

كما دحض الاسلام الظنون والأوهام التى رانت على عقول أهل
الاديان الأخرى ونشأ عنها التعصب العنصرى الذميم وذلك حين ادعوا أنهم
أبناء الله وشعبه المختار ، وأن الجنة خاصة بهم دون غيرهم .

« وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم
بذنوبكم ، بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، والله ملك
السموات والأرض وما بينهما واليه المصير » (٤١) .

« وقالوا إن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ، تلك أمانيتهم
قل هاتوا برهانكم أن كنتم صادقين ، بل من أسلم وجهه لله وهو محسن
فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٤٢) .

فليس ثمة شعب الله المختار فى الاسلام ، بل الانسانية كلها جسد
بالتكريم فى هذه الأرض بمقتضى الارادة الالهية .

وهكذا نرى أن سماحة الاسلام ورحمته تمتد لتشمل بنى البشر جميعهم ،
وهو الطريق الذى قرره القرآن الكريم حتى يشعر الجميع أنهم فى ظلال
الاسلام فى أمان لا خوف عليهم ولا افتئات على حقوقهم ولا جور على
حقوق الآخرين .

(٤٠) سورة الجاثية : آية (١٤) .

(٤١) سورة المائدة : آية (١٨) .

(٤٢) سورة البقرة : آية (١١١ ، ١١٢) .

ويعتد هذا المبدأ الاسلامي مدخلا هاما لايجاد تفاهم مشترك وحوار موضوعي بين المسلمين وغير المسلمين يسمح لهم بان يعرضوا أنفسهم للرسالة التي يوجهها دعاة الاسلام في أول الأمر كمدخل للخوض بعد ذلك فيما تضمنه هذا الدين من حقائق ومفاهيم .

— دعوة تلزم تابعتها باحترام اليهود والالتزام بالمواثيق :

وهو واجب اسلامي لماله من أثر طيب ودور كبير في المحافظة على القيم والمثل العليا وأهمية كبرى في غرض المنازعات وحل المشاكل وتنسوية الخلافات ، وفي ذلك يقول الله تعالى :

- « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » (٤٣)
- « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » (٤٤)
- « وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا » (٤٥)

« وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تعملون ، ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون أمة هي اربى من أمة انما يبيلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون » (٤٦) .

• « ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى أهلها » (٤٧) .

وشدد النكير على كل من ينقضون العهد ولا يلتزمون بالعقود والمواثيق فقال فيهم :

« ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ، فهم لا يؤمنون ، الذى عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا ينقضون » (٤٨) .

-
- (٤٣) سورة المائدة : آية (١) .
 - (٤٤) سورة المؤمنون : آية (٧) .
 - (٤٥) سورة الاسراء : آية (٣٤) .
 - (٤٦) سورة النحل : آية (٩١ — ٩٢) .
 - (٤٧) سورة النساء : آية (٥٨) .
 - (٤٨) سورة الأنفال : آية ١٥٥ ، ١٥٦ .

وقال سبحانه وتعالى :

« ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن وانكسرون من الصالحين ، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون » (٤٩) •

ويؤكد رسول الاسلام على ذلك بقوله :

« لا ايمان لمن لا امانة له » (٥٠) •

« ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا ثم أكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجره » •

وحث المؤمنين على احترام الكلمة والالتزام بالقول والعمل معا درءا لغضب الله ونقمته :

« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » (٥١) •

« يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا آماناتكم وأنتم تعلمون » (٥٢) •

ويأتى ذلك تحقيقا للأهداف التى يعمل الاسلام على تحقيقها والتى من أهمها أن يعيش العالم كله فى سلام ومحبة وتعاون — أممه وجماعاته وأفراده — ولذلك فهو يحرص على الوفاء بالعهود والمواثيق التى يبرمها المسلمون مع غيرهم حتى لو كانوا فى حالة عداوة أو حرب ، وحتى لو كان نقض العهد

(٤٩) سورة التوبة : آية (٧٥ ، ٧٦) .

(٥٠) محمد أحمد العدوى : المرجع السابق . ص ٢٧٦ .

(٥١) سورة الصف : آية (٢ ، ٣) .

(٥٢) سورة الأنفال : آية (٢٧) .

في مصلحة المسلمين ، وهذا يجعل الوفاء بالعهد يأتى في مقدمة العوامل التى تقوم عليها العلاقات الدولية بين المسلمين وغير المسلمين(٥٣) .

فحتى المشركين يجب أن يفى المسلمون بما يكون عليهم من عهود لهم ما داموا لم ينقضوا شيئاً منها ، وبذلك يبلغ المسلمون في حسن المعاملة وكريم الخلق الذروة التى لاتدانيها أمة أخرى من الأمم في هذا الصدد .

« الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين »(٥٤) .

وضرب مثلاً ناصحاً في الالتزام بالعهد والمواثيق مع نبي الله اسماعيل فقال تعالى :

« واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا »(٥٥) .

وهذه قيمة اسلامية يلتقى عندها البشر — كل البشر — مهما اختلفت مشاربهم وعقائدهم وأصولهم ومذاهبهم .

— الاسلام امتداد لكل الأديان واحتواء لها :

أرسل الله — قبل محمد — عدداً من الأنبياء والرسول لحمل رسالته وتبليغها الى أقوامهم بدءاً بآدم وانتهاءً بمحمد ، فبعث لكل قوم رسولا على مدى الأحقاب الزمنية المختلفة، وهذه الرسائل تعاقبت على الانسان أمة بعد أمة وجيلاً بعد جيل ، وكلها ترمى الى تحقيق هدف واحد وهو توجيه الانسان الى طريق الكمال ، ذلك أن أصل هذه الرسائل والعقائد واحد لا اختلاف بينها ، وكما طلب الاسلام الايمان بالملائكة طرفاً أعنى في

(٥٣) محمد يوسف ، وسى : الاسلام وحاجة الانسانية اليه . القاهرة . دار الفكر العربى . ١٩٦١ . ص ٢٧٢ .

(٥٤) سورة التوبة : آية (٤) .

(٥٥) سورة مريم : آية (٥٤) .

طريق وصول الهداية العليا للإنسان ، فقد طلب الايمان بالرسول طرزا
متصلا بالانسان (٥٦) وفي ذلك يقول الله في القرآن الكريم :

« آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » (٥٧) .

« قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك باذن الله مصدقا
لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » (٥٨) .

« وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان
كنتم لا تعلمون » (٥٩) .

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك ، وما
وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (٦٠) .

« انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا الى
ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون
وسليمان ، وآتيناه داود زبوراً ، ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ،
ورسلاً لم نقصصهم عليك » (٦١) .

ويقول الله على لسان نبيه :

« قل ما كنت بدعا من الرسل ، وما أدري ما يفعل بى ولا بكم ، ان
أتبع الا ما يوحى الى ، وما أنا الا نذير مبين » (٦٢) .

-
- (٥٦) عفيف عبد الفتاح طبازة : روح الدين الاسلامى . ط ١٦ . بيروت .
دار العلم للملايين . ١٩٧٧ . ص ١٤٨ ، ١٤٩ .
(٥٧) سورة البقرة : آية (٢٨٥) .
(٥٨) سورة البقرة : آية (٩٧) .
(٥٩) سورة الانبياء : آية (٧) .
(٦٠) سورة الشورى : آية (١٣) .
(٦١) سورة النساء : آية (١٦٣ ، ١٦٤) .
(٦٢) سورة الاحقاف : آية (٩) .

« وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه
فأحكم بينهم بما أنزل الله » (٦٣) *

« نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة
والإنجيل » (٦٤) *

« والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه أن
الله بعباده لخبر بصير » (٦٥) *

« قل آمنا بالله ، وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق
ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين
أحد منهم ونحن له مسلمون » (٦٦) *

ويقول أيضا مؤكدا أن الأصل يكمن في وحدة الرسالة ووحدة البشر :
« وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ، ولولا كلمة سبقت من ربك
لقضى بينهم » (٦٧) *

« كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل
معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه » (٦٨) *

والرسل جميعهم كما وصفهم النبي محمد في حديث له ببناء بيت واحد
يؤسس سابقهم للاحقهم ، ويشيد لاحقهم على أساس سابقهم ، وأخذ الله
عليهم ، في ذلك ، العهد والميثاق :

-
- (٦٣) سورة المائدة : آية (٤٨)
 - (٦٤) سورة آل عمران : آية (٣)
 - (٦٥) سورة فاطر : آية (٣١)
 - (٦٦) سورة آل عمران : آية (٨٤)
 - (٦٧) سورة يونس : آية (١٩)
 - (٦٨) سورة البقرة : آية (٢١٣)

« واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلك اصرى ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » (٦٩) •

وتؤكد كل الحقائق والشواهد العلمية أن الاسلام هو الدين المكمل لكل الديانات التي سبقتة والمرتبطة بدين ابراهيم ، وابراهيم هو أبو الأنبياء اسحق جد اليهود ، واسماعيل جد العرب والمسلمين •

والعقيدة الاسلامية تؤكد على الايمان بكل الرسل الذين بعث بهم الله لا تفرق بينهم ، ولذلك طلب الله الايمان بجميع الرسل ، وبما أنزل اليهم :

« والذين يؤمنون بما أنزل اليك ، وما أنزل من قبلك ، وبالأخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » (٧٠)

« قـولوا آمنا بالله ، وما أنزل إلينا ، وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم لا تفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكم الله وهو السميع العليم » (٧١) •

« ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ، واتبع ملة ابراهيم حنيفاً ، واتخذ الله ابراهيم خليلاً » (٧٢) •

« يا أيها الذين آمنوا اركعوا وأسجدوا وأعبدوا ربكم ، وأنفعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم ، وما جعل عليكم في الدين من حرج ، ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل » (٧٣) •

(٦٩) سورة آل عمران : آية (٨١ ، ٨٢) .

(٧٠) سورة البقرة : آية (٤ - ٥) .

(٧١) سورة البقرة : آية (١٣٦ ، ١٣٧) .

(٧٢) سورة النساء : آية (١٢٥) .

(٧٣) سورة الحج : آية (٧٧ ، ٧٨) .

« قل اننى هدى ربي الى صراط مستقيم ، دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » (٧٤) *

« ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين » (٧٥) *

« انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور » (٧٦) *

« وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور » (٧٧) *

بل ويعتبر الاسلام أن الايمان ببعض الرسل دون البعض الآخر خروج عن دين الله وهديه ، وفي ذلك يقول :

« ان الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا ، وأعدنا للكافرين عذابا مهينا ، والذين آمنوا بالله ورسله ، ولم يفرقوا بين أحد منهم ، أولئك سوف يؤتيهم أجورهم ، وكان الله غفورا رحيمًا » (٧٨) *

ويحث أهل الكتاب (اليهود والنصارى) على اتباع دين الله الواحد الذى يصدق لما معهم من الكتاب :

« يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم » (٧٩) *

ولم يأت الدين فى القرآن الكريم بصيغة الجمع (أديان) على الاطلاق ،

(٧٤) سورة الأنعام : آية (١٦١) .

(٧٥) سورة النحل : آية (١٢٠) .

(٧٦) سورة المائدة : آية (٤٤) .

(٧٧) سورة المائدة : آية (٤٦) .

(٧٨) سورة النساء : آية (١٥٠ - ١٥٢) .

(٧٩) سورة النساء : آية (٤٧) .

وانما هو دين واحد على الرغم من تعدد الرسائل والرسل لأن ما تلقاه النبي محمد هو في جوهره ما تلقته الرسل الذين بعثوا قبل محمد .

« ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك » (٨٠) .

ثم بين القرآن بعد ذلك منهاج الدعوة الى وجوب الوحدة الجامعة في العقيدة والدين :

« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله » (٨١) .

ولقد ألزم القرآن المسلمين أن يقرؤا بنبوة كل الرسل ديننا وعقيدة لا لمجرد التسامح أو المسالمة ولكن لأن الاسلام ما جاء الا امتدادا لكل الديانات السماوية واحتواء لها .

وبمثل ذلك الاصرار أكد كتاب الله أن الحقيقة في الدين واحدة ، يمكن أن يلتقي عندها المتدينون جميعا فوق أحقاد التعصب وغواصل الخلاف ، ولم يشرع القتال الا دفاعا عن حرية العقيدة وحماية لثبوت العبادة على اختلافها .
خشية أن تهددها الوثنية الكافرة .

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله » (٨٢) .
« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين » (٨٣) .

وهكذا نرى أن الاسلام دون سائر الرسائل التي سبقته .أوجب على متبعيه الايمان والاحترام لكل الرسل والأنبياء ، ذلك أن الاعتقاد ببعثة الرسل

(٨٠) سورة فصلت : آية (٤٣) .

(٨١) سورة آل عمران : آية (٦٤) .

(٨٢) سورة الحج : آية (٣٩ ، ٤٠) .

(٨٣) سورة المتحنة : آية (٨) .

يعد ركناً من أركان الإيمان بالله الذي أرسل رسلاً من البشر مبشرين ومنذرين بعقابه قاموا بتبليغ أممهم ما أمروا بتبليغه *
[The text is partially obscured by a stamp]

فأهل الديانات الأخرى يجدون في القرآن الكريم احتراماً لرسولهم بينما يجدون في عقائد وأيديولوجيات أخرى انتقاصاً من رسولهم وأديانهم ، والناقد البصير يرى أن اتجاه الإسلام لتوحيد الأديان حول رسالة محمد - هو خير المذاهب ، فبعد أن قرر أن الأديان كلها وحى الهى عاد وقرر أن طول الزمن أدى إلى انحراف الناس عن حقيقة تلك الديانات ، وبعد هذا أخذ الإسلام يدعو إلى الناس كافة إلى العمل بالقرآن الذي يجمع كل فضائل الكتب الالهية السابقة عليه ، ويزيد عليها ما اقتضاه تطور الأمم وحاجاتها (٨٤) *

وفي هذا يقول كارل بروكلمان Brockelman أنه حين أرسل الله عيسى قبل محمد فقد أرسل رسلاً قبل عيسى ، وحين تنبأ عيسى بمحمد ، تنبأ موسى بعيسى ، ورسالة محمد كنبى خاتم أرسله إلى العالم أجمع ، وليس إلى العرب وحدهم ليصحح مسيرة الرسالات التى سبقتها ، ويبلغ الناس بالرسالة الصحيحة التى حملها إبراهيم من قبل ، وشوهتها الأحداث والأشخاص ، وتأسيسها على ذلك فقد حمل الله أمانة الرسالة إلى هذا النبي الخاتم ليلبغها إلى البشرية جمعاء ، وقد استشعر محمد هذه المسئولية وحمل هذا النداء وبلغه لكل الناس (٨٥) *

ويبدو هذا واضحاً في حديث حاطب بن أبى بلتعة مبعوث الرسول إلى المقوقس حاكم مصر القبطى قائلاً له :

« ان لك لدينا لن تدعه الا لما هو خير منه ، وهو الاسلام الكافى

(٨٤) عفيف عبد الفتاح طيارة : روح الدين الاسلامى - المرجع السابق .

١٤٨ - ١٤٩ *

Karl Brockelmann : History of the Islamic People, (٨٥)

Translated by Joel Carmicbaeel and Mosbe Perlmann

London, Henley Lowe and Brydone Printes Ltd. 1980, p. 37

به الله فقد ما سواء وما بشاره موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد : وما دعاؤها اياك الى القرآن الا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح .. ولكننا نأمرك به « (٨٦) » .

وتضمنت رسالة الرسول الى كل الملوك الذين يدينون بدين سماوى كلمات تحمل معنى الود وتهدف الى التقارب وتعمل على ابراز روح الأخوة فى الله :

« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا باننا مسلمون » (٨٧) .

(٨٦) جلال الدين عبد الرحمن السيوطى : حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة . ج ١ . القاهرة . المرجع السابق . ص ٩٨ .
(٨٧) سورة آل عمران : آية (٦٤) .

الفصل الخامس فضائل الإسلام ومُثله العليا

يؤكد ديفيز Darvis أن دعوة محمد تنحصر في كونه نبيا أوحى إليه ربه بحمل الرسالة الالهية شأنه في ذلك شأن الأنبياء والرسل الذين سبقوه ، والذين أقر لهم محمد بالنبوة الكاملة ، وهنا يصبح من التجنى عليه اطلاق اسم المحمدية Mohammadanism على رسالته ، لأن الاسم الصحيح لها هو « الاسلام » أى التسليم لارادة الله ، كما يسمى الذين يتبعونه المسلمون أى الذين يسلمون لارادة الله والمعنى العربى لكلمة God هو الله ، وهو الاله الذى يعبده اليهود والنصارى والذين يسميهم المسلمون « أهل الكتاب » (١) .

هذه الحقائق تهيء مناخا صحيا يتم فيه اقامة جسور مشتركة وعلاقات طيبة بين الاسلام وأهل الديانات السماوية الأخرى ، وتمكن لدعاة الاسلام من اجراء حوار وجدل منطقي يتنوده الصفاء الذهنى والنقاء القلبى لا سيما اذا كانت نقط الاتفاق ترجح نقط الاختلاف ، لأن النقطة التى تأسس الودى والموضوعى سيبدأ بالضرورة من حيث يلتقى الاسلام مع أهل الكتاب ثم يعرج الى نواحي الاختلاف حيث لابد أن يسود أصحاب الحجة الأقوى والدليل الأنصع ، ولكن هذا يتطلب دعاء واعلاميين على المستوى الفكرى الذى يمكنهم من فهم طبيعة الجماهير التى تتعامل معهم من خلال تكوينهم السيكولوجى والذهنى واستمالتهم وجذبهم ثم اقناعهم بالحقيقة الخالدة .

وقد أرسى الاسلام مجموعة من المبادئ والفضائل الانسانية التى يرى فيها البشر جميعا صيانة لحاضرهم وأمانا لمستقبلهم ، وحفاظا على كرامتهم ، وضمنا لحقوقهم والتزاما بواجباتهم ، والقرآن الكريم قد عالج هذه المسائل وخصلتها السنة النبوية تفصيلا .

R. H . C. Davis : A Histoy of Medieval Europe, New York. (١)
Longman group Limited 1970. p. 90 .

ولسنا هنا في مجال ذكر ما اشتملت عليه رسالة الاسلام من أوامر وتعاليم وارشادات تهبيء مناخا صحيا لمولاد الأخلاق السامية ، فهو الذي منع الكذب وحذر من النفاق ، وحرم القتل والسرقة وتطفيف الكيل ، وحث على العدل والمساواة ، وكرم الانسان ، وحرر المرأة ، وكرم المجاهدين ورفع شأنهم ، ومنع أكل أموال الناس بالباطل ، ورسخ معاني الصدق والأمانة والمعروف والعفو والمغفرة والتسامح والاحسان(٢) *

كما حث الاسلام على المروءة والحياء والحلم والتواضع والعفو والتسامح * ومن هذه المبادئ أيضا المساواة بين البشر جميعهم في الحقوق والواجبات والتعاون في السراء والضراء ، ومحاربة الفساد بكل أشكاله والردائل الاجتماعية بكل ألوانها ، ومساعدة كل محتاج ، وتحقيق السلام والأمن لكل الناس ، وتوفير حق العمل والحياة للجميع ، وتحرير الارقاء والمستضعفين ، واحترام المرأة والحفاظ على حقوقها الاجتماعية والمالية والمعنوية ، والانتصار لكل ضعيف ومظلوم وتشجيع العلماء ، وتعميم المعرفة واثراء الحياة بكل جديد ومبتكر ، وتحقيق العدالة والتكافل الاجتماعي والقضاء على الامتيازات الفردية والاجتماعية ، وتعمير الأرض ، واستثمار قوى الكون ، والانتفاع بما في الطبيعة ، والقمسك بالمثل العليا والخلق الكريم والسلوك النظيف ، وبث معاني الفضيلة والشرف والنزاهة ، والاستعلاء على الشهوة والهوى ، والتفاعل مع معطيات الحياة بعيدا عن نقائص المادة وشوائب الروح ، وتحقيق الخير للجماعة الاجتماعية ممثلا في الايثار والتضحية والمودة والصدق والاخلاص والأمانة والوفاء والتسامح وسلامة النفس وصدق السريرة وحسن الخلق وفي هذا يقول الرسول :

« انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » *

ويقول صلوات الله وسلامه عليه(٣) :

(٢) محيى الدين عبد الحليم : دور القرآن الكريم في تشكيل اتجاهات الرأي العام المسلم . القاهرة . الكتاب السنوى لعلم الاجتماع . العدد السادس . القاهرة . دار المعارف . ١٩٨٤ . ص ٢٧٦ .

(٣) زين الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلى البغدادي . جامع العلوم والحكم . ط ٥ . القاهرة . مكتبة الدعوة الاسلامية . ١٩٨٠ . ص ٢٠٣ .

« اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تناغسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا » •

« ان أحبك الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا » •
« أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا » •

« البر حسن الخلق ، والائتم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس » •

فهى رسالة انسانية تحقق الغاية التى خلق الله من أجلها الانسان فى خلافة الأرض وهو دين يبشر بقيم انسانية رفيعة ، فلم يقل أبدا وفى أخرج الأزمات أن الغاية تبرر الوسيلة ولم يزعم أنه وصى على البشر ، وأنه مستعمر فى الأرض ، بل وقف دائما الى جانب المضطهدين والضعفاء والذين حالت ظروفهم دون متابعة مسيرة الحياة ، ونادى بالحرية لكل الناس ولكل الشعوب ، ودعا الى القضاء على جميع العصبية وطالب بإبطالها وأسهم فى حل جميع المشكلات بكل أنواعها ، وحارب الحقد والحسد والكراهية والائثار ، وأحل محلها حب الخير والتعاون والرحمة ، وحب الوثام والسلام والبر والشفقة ، وهذب العواطف والمشاعر الانسانية وطهرها وسما بها ، وجعل الحياة أمام الناس وجعلها تعاونا ومشاركة وتبادلا للمنافع والخيرات ومد فى آفاق الأمل بما دعا اليه من السعى فى منابها ومن الصبر على ملماتها ومن النعمة برحمة الله وفضله وفرجه ، وحمل الى العالم رسالة التقدم والحضارة ، رسالة الحرية والعدالة ، رسالة المحبة والسلام والاخاء والشورى بين الناس جميعا •

وهكذا نرى أن الاسلام يرمى الى بناء مجتمع فاضل أو مجتمع نموذجى كامل ، ويتمثل ذلك فيما يلى :

١ - مجموعة التعاليم التى سنّها القرآن للفرد ليحمله عضوا سليما نافعا فى هذا المجتمع •

٢ - مجموعة المبادئ الاجتماعية والاعتبارات العاطفية التي قررهما القرآن للجماعات لتحقيق التعاون على البر والتقوى *

٣ - مجموعة القواعد التي شرعها الاسلام لنظام الدولة العام لتنشأ في ظلالها خير أمة أخرجت للناس *

ففي ارساء قواعد الحق يقول تعالى :

« قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب » (٤) *

« قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد » (٥) *

« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق » (٦) *

وفي الاستقامة واصلاح النفس قال تعالى :

« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٧) *

« فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه ، ان الله غفور رحيم » (٨) *

وفي الاحسان قال عز من قائل :

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » (٩) *

« من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » (١٠) *

(٤) سورة سبأ : آية (٤٨) *

(٥) سورة سبأ : آية (٤٩) *

(٦) سورة الانبياء : آية (١٨) *

(٧) سورة الأحقاف : آية (١٣) *

(٨) سورة المائدة : آية (٣٩) *

(٩) سورة النحل : آية (٩٠) *

(١٠) سورة الأنعام : آية (١٦٠) *

وفي العدل والتقوى والاستقامة ومقاومة هوى النفس يقول الله تعالى :

« ولا يجزى منكم شئآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » (١١) •

« فما استقاموا لكم ، فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين » (١٢) •

« وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فان الجنة هي المأوى » (١٣) •

وفي العفو والمغفرة والتسامح وعدم الكبرياء يقول الله :

« وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم » (١٤) •

« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » (١٥) •

« سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق » (١٦) •

وفي الصدق والأمانة يقول تبارك وتعالى :

« يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » (١٧) •

« ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » (١٨) •

وفي الإصلاح بين الناس يقول جل جلاله :

« لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » (١٩) •

-
- (١١) سورة المائدة : آية (٨) .
 - (١٢) سورة التوبة : آية (٧) .
 - (١٣) سورة النازعات : آية (٤٠ ، ٤١) .
 - (١٤) سورة التغابن : آية (١٤) .
 - (١٥) سورة فصلت : آية (٣٤) .
 - (١٦) سورة الأعراف : آية (١٤٦) .
 - (١٧) سورة التوبة : آية (١١٩) .
 - (١٨) سورة النساء : آية (٥٨) .
 - (١٩) سورة النساء : آية (١١٤) .

وفي التعاون والايثار يقول :

- « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » (٢٠) *
- « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » (٢١) *

وفي معايشرة الاخيار يقول تعالى :

- « وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وأتبع هواه وكان أمره فرطا » (٢٢) *
- وفي التحية والاستئذان قال تعالى :

- « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » (٢٣) *
- « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » (٢٤) *

وفي محاربة الكذب والخيانة وشهادة الزور والنميمة والبهتان يقول سبحانه :

- « ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب » (٢٥) *
- « ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما » (٢٦) *
- « فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور » (٢٧) *

-
- (٢٠) سورة المائدة : آية (٢) .
 - (٢١) سورة الحشر : آية (٩) .
 - (٢٢) سورة الكهف : آية (٢٨) .
 - (٢٣) سورة النساء : آية (٨٦) .
 - (٢٤) سورة النور : آية (٢٧) .
 - (٢٥) سورة غافر : آية (٢٨) .
 - (٢٦) سورة النساء : آية (١٠٧) .
 - (٢٧) سورة الحج : آية (٣٠) .

« ولا تطع كل حلاف مهين ، هـماز مشاء بنميم » (٢٨) •

« يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنياً فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة
فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » (٢٩) •

وفي القول الطيب قال تعالى :

« قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم » (٣٠) •
« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك
وبينه عداوة كأنه ولي حميم » (٣١) •

وفي الكسب الحلال قال :

« يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » (٣٢) •
وفي ترسيخ دعائم الصبر :

« والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا
وأولئك هم المتقون » (٣٣) •
« ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » (٣٤) •
« يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم
تفلحون » (٣٥) •

وفي احترام الغير قال عز وجل :

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً
منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا

-
- (٢٨) سورة القلم : آية (١٠ ، ١١) .
 - (٢٩) سورة الحجرات : آية (٦) .
 - (٣٠) سورة البقرة : آية (٢٦٣) .
 - (٣١) سورة فصلت : آية (٣٤) .
 - (٣٢) سورة النساء : آية (٢٩) .
 - (٣٣) سورة البقرة : آية (١٧٧) .
 - (٣٤) سورة النحل : آية (١٢٦) .
 - (٣٥) سورة آل عمران : (٢٠٠) .

تتأبزون بالآلقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون» (٣٦) •

ودراء للظن السبيء والتجسس والغيبة قال سبحانه :

« يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم» (٣٧) •

وفي منع رذيلة الزنا قال :

« ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا» (٣٨) •

وفي درء الغضب ، ومنع الحسد ، والمغو ، والاسراف قال سبحانه وتعالى :

« والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين» (٣٩) •

« ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض» (٤٠) •

« قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن

اللفو معرضون» (٤١) •

« وكلوا وأشربوا ، ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين» (٤٢) •

وفي احترام المرأة والحفاظ عليها وتكريمها كما كرم الرجل سواء بسواء ،

ووعده المؤمنات منهن بالمغفرة والأجر العظيم قال تعالى :

« ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقائنتين والقائنات

والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات

(٣٦) سورة الحجرات : آية (١١) •

(٣٧) سورة الحجرات : آية (١٢) •

(٣٨) سورة الاسراء : آية (٣٢) •

(٣٩) سورة آل عمران : آية (١٣٤) •

(٤٠) سورة النساء : آية (٣٢) •

(٤١) سورة المؤمنون : آية (١ - ٣) •

(٤٢) سورة الأعراف : آية (٣١) •

والمصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم
والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا
عظيما» (٤٣) .

وقد تعهد الاسلام المرأة بالعناية ووضع لها المبادئ السليمة
وأفزلها المنزلة الكفيلة بالاحترام والتقدير ، فأشركها في الحروب ، وسمح
لها بتعلم العلم ، وأعطاها ذمة مالية كاملة للتصرف في مالها وممتلكاتها ،
واعتنى بها وحماها من ظلم الجاهلية فأوجب الاحسان اليها والعناية بها وهي
أم وجعل الجنة تحت أقدامها ، ونظم حياتها وهي زوجة فبين مكانتها في
عش الزوجية (٤٤) .

وبهذه الفضائل دخل كثير من الناس الاسلام حين لمسوا الخير في
اتباعه ، رأوا حسن سيرة المسلمين فيهم وتمسكهم بتعاليم دينهم التي تأمر
بالعدل والاحسان وتنتهي عن المنكر والظلم والعدوان ، وقد عظم هذا
المسد الاسلامي في القرون الماضية حتى تحولت كل هذه المساحة من كوكب
الأرض الى بلاد اسلامية بغض النظر عن أصولها وجذورها .

وبالتالى فان هذه الفضائل والمثل العليا الاسلامية تشكل أساسا صالحا
لاقامة جسور مشتركة مع غير المسلمين ، فلا يوجد من ينكر سموها وعظمتها
من غير المسلمين ، حيث يمكن من خلالها عقد لقاءات مشتركة ثم اجراء نقاش
بعد ذلك حول القضايا الخلافية والمسائل الجدلية ، بعد تهيئة المناخ
الصحيح الذى ينطلق منه الدعاة لرحلة الاقناع والتوجيه بعد مرحلتى الجذب
والاستمالة .

— لا كهنوت ولا رهبانية في دعوة الاسلام ، ولكنها رسالة حياة ودعوة عمل :
تتميز الدعوة الاسلامية بأنها دعوة واقعية ، ودين عملى يخاطب الطبيعة
البشرية ، ويستجيب لفطرة الانسان .

(٤٣) سورة الأحزاب : آية (٣٥) .

(٤٤) عبد القادر العلوى : الدعوة الاسلامية في مواجهة خصومها .
الدار البيضاء . مطبعة النجاح الجديدة . ١٩٨١ . ص ١٥٥ .

وفي العقيدة الاسلامية تحرير للانسان من كل أنواع العبودية ، لأن العبودية لله وحده ، والاسلام بذلك يبطل سلطة الكهنوتية التي تتسلط على العقيدة الدينية بالقيصر والتحكم ، بما أخذت من صفة الوساطة بين العبد وخالقه ، وما ادعت من سلطة الهيبة تمنح بها صكوك الغفران ، أو تصدر قرارات التكفير والحرمان .

فالاسلام هنا لم يأذن لأحد أن يتوسط بين العبد وربّه (٤٥) ومحمد الرسول البشر لم يدع الألوهية ولم يعلن عن نفسه الهيا ، ولم يطلب من المسلمين لذين اتبعوه أن يعبدوه (٤٦) .

يقول الله تعالى في ذلك :

- « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان » (٤٧) .
- « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات » (٤٨) .
- « وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ، ثم اهتدى » (٤٩) .

كما أنه ليس لأحد الحق في أن يوزع بطاقات دخول الجنة أو النار ، أو يحدد لمخلوق مكانه في الدار الآخرة فهذا شأن من شئون الله وحده يؤكد ذلك ما قاله مؤكدا في آيات ثلاث :

- « أن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين » (٥٠) .
- « أن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بمن اهتدى » (٥١) .

(٤٥) عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الانسان . بيروت . دار العلم للملايين . ١٩٨٢ . ص ١٠٩ .

(٤٦) R.R. C. Davis. A History of Medieval Europe. op. cit., p. 90.

(٤٧) سورة البقرة : آية (١٨٦) .
 (٤٨) سورة الشورى : آية (٢٥) .
 (٤٩) سورة طه : آية (٨٢) .
 (٥٠) سورة القلم : آية (٧) .
 (٥١) سورة النجم : آية (٣٠) .

وتدل الشواهد كلها على أن حركة الإصلاح الديني التي قادها مارتن لوتر في إنجلترا بصفة خاصة وفي العالم الغربي بصفة عامة قد تأثرت بمبادئ الاسلام في أمور كثيرة من أهمها أبطال الكهنوتية ، وتحريم صكوك الغفران *** فإلهه وحده هو الذى يرفع ويخفض ، ويمنع ، ويعز ويذل ، كما قال في كتابه :

« ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يـصـنـب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير » (٥٢) *

ويربط الاسلام مسألة المغفرة والتعذيب بمشيئة الله وحده كما ذكر ذلك في آيات بينات مثل قوله :

« ان الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (٥٣) *

« قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم » (٥٤) *

فكتاب الاسلام قد رغب عن الانسان اصر تلك الكهنوتية ، تقرير الحرية عقيدته ، وضميره وعقله ولعل عداء بعض المذاهب المحدثه للدين ، انما نشأ أصلا بسبب ما انتحله رجال الدين من سلطة كهنوتية آزرت — باسم الدين — البغض والاستغلال ، وهادنت الرجعية والفساد والطغيان ، واستنزفت أموال المذنبين الكادحين ثمنا للمغفرة ، أو غدية من غضب الله (٥٥) *

ويمضى الاسلام في رفض الكهنوتية الى المدى الذى لا يغنى فيه استغفار الرسول (ﷺ) للمشركين والمنافقين من قسومه ، كما لا يغنى استغفار نبي الله ابراهيم الخليل لأبيه :

(٥٢) سورة المائدة : آية (٤٠) .

(٥٣) سورة النساء : آية (٤٨) .

(٥٤) سورة الزمر : آية (٥٣) .

(٥٥) عائشة عبد الرحمن : المرجع السابق . ص ١٠٩ .

« استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فان يغفر الله لهم ، ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله ، والله لا يهدي القوم الفاسقين » (٥٦) .

« ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ، وما كان استغفار إبراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان إبراهيم لأواه حليم » (٥٧) .

« قل أدعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ، ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له » (٥٨) .

« قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع الخائضين ، وكنا نكذب بيوم الدين ، حتى أتانا اليقين ، فما تنفعهم شفاعة الشافعين » (٥٩) .

« ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون » (٦٠) .

« يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ، ولا شفاعة » (٦١) .

« قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون » (٦٣)

والاسلام دعوة الى العمل والحركة والنشاط لأنه دين قوة يجب المسلم القوى ويشجعه ، ويكره الكسل والضعف والخمول ، لأنه يجب لأهله أن

(٥٦) سورة التوبة : آية (٨٠) .

(٥٧) سورة التوبة : آية (١١٣ ، ١١٤) .

(٥٨) سورة سبأ : آية (٢٢) .

(٥٩) سورة المدثر : آية (٤٣ — ٤٨) .

(٦٠) سورة السجدة : آية (٤) .

(٦١) سورة البقرة : آية (٢٥٤) .

(٦٢) سورة الزمر : آية (٤٤) .

يجيوا أقوياء ، وأن يكون لهم اسهام فى كافة مجالات الحياة ، وغاية الحياة فى نظر الاسلام هى انتقان العمل واظهار المواهب ، وابرار القسوى الكامنة فى الانسان ، وهذه الدعوة تتنافى مع الكهنوتية والرهبانية وتتفق مع القوة والمنعة ، وفى ذلك يقول الله :

« انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ، وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جزا » (٦٣) •

« تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » (٦٤) •

« والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » (٦٥) •

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (٦٦) •

ولهذا فان تاريخ الاسلام قد خلا تماما من النزاع بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية ، كما حدث بين الكنيسة والدولة فى أوروبا فى العصور الوسطى ، ذلك النزاع الذى ترك آثاره العميقة فى العلاقة بين السلطتين وأدى الى حدوث انفصام بينهما ، وليس لأحد من المسلمين ، ولو كان خليفة ، أن يفرض أمرا على الناس باسم الدين ، وأن يزعم أنه قادر على الغفران أو العقاب ، وليس لأحد من المسلمين ، ولو كان خليفة ، أن يفرض على الناس غير ما فرضه الله فى كتابه ، بل ان المسلمين أمام الله سواسية لا فضل لأحد منهم على أحد الا بالتقوى ، وليس لولى الأمر على مسلم طاعة فى معصية الحق ، ولا فيما لم يأمر الله به •

• (٦٣) سورة الكهف : آية (٧ ، ٨) •

• (٦٤) سورة الملك : آية (١ ، ٢) •

• (٦٥) سورة العصر : آية (١ — ٣) •

• (٦٦) سورة الزلزلة : آية (٧ ، ٨) •

— دعوة مرنة غير جامدة ومعتدلة :

ترك الاسلام للانسان حرية التصرف فيما يراه نافعا له ولمجتمعه ، وتبعا لحسن استخدام عقله الذي خلقه الله له ليدرك عظمة الخالق في خلقه ، ويتابع به حركة الحياة في الدنيا ، ويبعد عنه الجمود الذي يؤدي الى ضعف نشاطه الفكري ، ليتمكن من تغيير ما بنفسه حتى يساعد الله على ما فيه خيره مصداقا لقوله تعالى :

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » (٦٧) •

وبالتالى فان تغيير المجتمع والانسان والأمة واجب اسلامي •

والاسلام يقوم على الايمان بوجود الدنيا ووجود الآخرة ، ولكل وجود شأنه المستقل ، فالدنيا وجود يعمل فيه الانسان كأنه يعيش أبدا ، والآخرة وجود يعمل له الانسان كأنه يموت غدا ، ولا ظغيان لأحدهما على الآخر الى حد الالفناء والالغاء •

وقد جمع الاسلام بين الدين والدنيا ، أى بين شئون الروح ودواعي الجسد ، أى أن الاتصال بالله والصلاة والصيام والاعتكاف ونحو ذلك من شئون الروح ، لا ينفى الاتصال بالمرأة والمأكل والملبس والمشرى ونحو ذلك من ضرورات الجسد ، وهذا الجمع هو ما يميز طبيعة الانسان الذي يتغذى روحيا بغذاء نوراني ، وجسديا ، بغذاء مادي ، ولهذا كانت فطرة الانسان هي جوهر الاسلام في توازنه وتعادلته (٦٨) •

وقد وقف الاسلام في مواجهة كل الدعوات التي تقيد حرية الانسان ، وتقف عقبة كئودا في طريق تطوره وتقدمه وتمنعه من أن يأخذ بكل أسباب التحضر والمدنية •

(٦٧) سورة الرعد : آية (١١) •

(٦٨) توفيق الحكيم : التعادلة في الاسلام . المرجع السابق . ص ١٧٣ •

وليس صحيحاً ما تدعيه بعض المذاهب أن الدين مخدر للشعوب والأمم ، ومثبط لهممها ، وأنه يقف حجر عثرة في طريق تطور الأمم ورفق الشعوب ، كما أن الإسلام براء ممن يربطون بينه وبين مظاهر التخلف التي تسود الدول الإسلامية في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية أو السياسية أو الفكرية على اعتبار أن أكثر شعوب العالم تخلفاً وجهاً وفقراً هي الشعوب الإسلامية •

والواقع يؤكد أن الإسلام ليس له علاقة بكل هذه المظاهر ، والربط بين الإسلام وبينها يعد ظلماً واغتياباً على الدين وعلى الحقيقة ، بل إن حقائق التاريخ تؤكد أن سبب تخلف المسلمين هو بعدهم عن الإسلام ، وتحول كثير من أنظمة الحكم لديهم إلى أنظمة لا تستند إلى أسس إسلامية ، ولكن يغلب عليها الدكتاتورية ، وينظم الحياة فيها بعض المغامرين والجهلاء لاشباع رغباتهم في التسلط ، ويحقق فيها الانتهازيون أهـدافهم ويستنزفون شعوبهم ويهدرون طاقاتهم البشرية والاقتصادية ، ويفسرون الدين على هواهم ، ويلوون بذلك ذراع الحقيقة وليس أدل على ذلك من أنه حين سادت المبادئ والقيم الإسلامية وغمرت قلوب المسلمين بالآيمان علت دولتهم وكانوا القوة الأولى في العالم ، وحققوا من خلالها أرقى درجات التقدم في مختلف مجالات الحياة وأثروا العالم بفكرهم وعلمهم •

وقد استعرضنا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحض على طلب العلم ومخالطة العلماء ، وتبرز مكانة العقل ، وأهمية التأمل والتفكير والاستنباط والأخذ بكل أسباب التقدم والاستفادة بمعطيات كل عصر •

— الحرية الانسانية وركائز الدعوة الإسلامية :

الإسلام دين الفطرة ، يتعامل مع الطبيعة البشرية ويخاطب الخلق الإنساني بمعناه الأصيل ، ومن أهم العوامل التي تعطى للإنسان مكانته وسط المخلوقات الأخرى هي حريته في اختيار نمط الحياة التي يحياها بمفهومها الشمـامل •

وهي حق طبيعي للإنسان وضرورة حيوية لاستمرارية حياته وسط البشر •

وقد أكد الاسلام على احترام الشخصية الانسانية ، والشخصية الانسانية لا تكتمل في غيبة حرية الاقامة ، وحرية الانتقال ، وحرية التدين ، وحرية الفكر والرأى ، وحرية التعبير . ولذلك كان الاسلام والتحكم نقيضين لا يجتمعان ، فليس لانسان أن يتحكم في غيره ، وليس للدولة أن تتحكم في الناس ولكن لها أن تحكم عليهم اذا اشتطوا أو تجاوزوا حدودهم ، وحتى العقوبات في الاسلام لا تتجه الى تقييد الحرية ، لأن التقييد يعنى منزع الحركة ، والحركة هي الحياة ، والاسلام دين الحياة^(٦٩) .

والحرية هي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وبالتالي فهي حق طبيعي من حقوقهم وهي منهج حياة وبرنامج عمل لأنظمة الحكم الليبرالية ، وتقوم عليها سيادة الأفراد وسيادة الأمة .

وبقدر ما تصون الحكومات هذا الحق بقدر ما يكون لها من منزلة في نفوس الشعب ، فان الدعوة الاسلامية جاءت قبل أن ترى هذه الأنظمة النور لتطلق حرية الانسان وتحافظ عليها من العبث سواء كانت حرية دينية أم سياسية أم فكرية ، أم حرية العمل والتصرف وحرية التعبير والاعتقاد ، وغير ذلك من الحريات التي تشكل عنصرا أساسيا من عناصر الشخصية الانسانية^(٧٠) .

وقد جعل الاسلام الحرية الفردية دعامة لجميع ما سنه الله للناس من عقائد ونظم وتشريع ، وتوسع في اقرارها ، فلم يقيّد حرية الفرد الا في الحدود التي يقتضيها الصالح العام أو يدعو اليها احترام حرية الآخرين ، وعارض كل نظام يتعارض مع هذه المبادئ ، ولفظه ، وقصد حرص الاسلام على تطبيق مبدأ الحرية في هذه الحدود التي أقرها في مختلف شؤون الحياة ، وأخذ به في جميع النواحي التي تقتضى كرامة الفرد أن يأخذ به في مختلف شؤونه وهي النواحي المدنية ، والدينية ، والتفكير ، والتعبير ،

(٦٩) محمد أبو زهرة : المجتمع الانساني في ظل الاسلام . ط ٢ . جدة .

الدار السعودية للنشر والتوزيع . ١٩٨١ . ص ٢٥٧ .

(٧٠) عائشة عبد الرحمن : المرجع السابق . ص ١٣٧ .

والنواحي السياسية والحكم ، ووصل به في كل هذه الأمور الى شأو رفيع لم
تصل الى مثله شريعة أخرى من شرائع العالم قديمة وحديثه (٧١) *

والنظام الاسلامي هنا يلتقى مع النظم السياسية التي تحفل بالحریات
الانسانية وتضعها على رأس اهتماماتها وتنص عليها كأحد الأصول السياسية
في دساتيرها ونظمها لتقيم به سيادة أفرادها ، وبالتالي فإن الدعوة الاسلامية
هنا ستجد أن هناك عالماً من التفاهم المشترك يمكن أن يتم بينها وبين هذه
النظم لاقامة حوار مشترك في مختلف المنابر وعبر وسائل الاتصال المختلفة
سواء أكانت وسائل اتصال جمعی أم جماهیری (ندوات أم مناظرات أم
أحاديث أم مقالات ... الخ) *

ويتم فيه تقديم المفهوم الاسلامي للحرية بأبعادها المختلفة ، والنصوص
القرآنية وسنة محمد رسول الاسلام وسيرة خلفائه يمكن أن تشكل رصيدها
طبيعياً يثرى الفكر الغربي في هذا المجال ، ويزوده بالرؤية الاسلامية السليمة ،
ويمحج الصورة المشوهة عنه لدى الكثيرين منهم ، ويقدم الحقيقة لمن
يجعلها من خلال خطة اعلامية منظمة تأخذ في اعتبارها مختلف متغيرات
الحياة في المجتمع الذي تتوجه اليه . *

فلا مجال هنا لاعطاء حرية دينية دون الحرية السياسية ، أو حرية التفكير
دون حرية الاعتقاد ، فالحرية كل لا يتجزأ ، وأى مساس بجانب منها هو عدوان
على كرامة الانسان ، وشرفه ، وتعطيل لمسئوليته في الحياة واجهاض لدوره على
هذا الكوكب . *

والحرية العامة مناقضة للرق ، ذلك أن حق الحرية ينتقرر أصلاً انطلاقاً
من أن جوهر الدين كله هو عبادة الله وحده لا شريك له . *

وبهذا يمكن القول ان « حقوق الانسان » كما تطلق الآن في المحافل
والمنظمات الدولية لا تأتي في القرآن بصفة حقوق ، وإنما هي فروض ملزمة

(٧١) على عبد الواحد وافي : حقوق الانسان في الاسلام . القاهرة . دار
نهضة مصر للطبع والنشر . ١٩٧٩ . ص ١٩٦ .

وتكاليف واجبة ، والفرق بين أن تكون حقوقا ، وأن تكون فروضا هو أن الانسان يملك أن يتنازل عما هو من حقه ، وأن يفرط فيه ، على حين لا يحل له أن يتخلى عما كلف به وفرض عليه ، فالانسان في الاسلام ليس مخولا أن يفرط في حريته بالعبودية لغير خالقه وحده ، وليس من حقه أن يتخلى عن أمانة الكلمة وفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا أن يعطى حرية عقله وفكره ، تحت أى ضغط من ارهاب أو اغراء ، كما ليس له أن يقبل الاكراه في الدين ، وهذه الحرية لا تتناقض بشكل أو بآخر مع ارادة الله فحكم الله لا يلغى ارادة الانسان ، ولا يعفيه من تبعة اختياره الحر لعقيدته وعمله ، بل ان الحكم الالهي يكمن في الزامنا تبعة اختيارنا الحر الزاما جبريا لا مفر منه .

الا أن الاسلام يرفض الحرية التي لا ضوابط لها والتي تؤدي الى الفوضى وعدم المبالاة وقلة الاكتراث ، فالحرية بهذا المفهوم هي عين الهمجية ، وهي تسوق المجتمع الى الدمار وتعرض مؤسساته ومقدساته للخراب ، ومن أجل تماسك المجتمع والحفاظ على أمن وحياة وحرية الآخرين وضع الاسلام للحرية مفهوما يدعم الروابط بين الناس ، ويؤكد احترام مصالح الآخرين ومشاعرهم ، فلا حرية لأي انسان في عمل يضر غيره ، أو يعرضه هو للفساد أو الهلاك والخطر (٧٢) .

وقد أرسى الاسلام أسسا ثابتة للحرية الانسانية ، وهي أسس يمكن أن تشكل مجالا مشتركا للنقاش والحوار مع غير المسلمين وذلك من خلال المنطلقات الآتية :

(١) حرية التفكير والتعبير :

حرية التفكير والتعبير يقصد بها منح الانسان الحق الكامل في أن يفكر تفكيرا مستقلا في جميع ما يكتنفه من شئون وما يقنع تحت ادراكه من ظواهر ، وأن يأخذ بما يهديه اليه فهمه ، ويعبر عنه بمختلف وسائل التعبير .

(٧٢) محمد السيد الوكيل : أسس الدعوة وأدب الدعاة . جدة . دار المجتمع للنشر والتوزيع . ١٩٨٤ . ص ٣٤ .

فدعا الاسلام الى التفكير والنظر في ملكوت السموات والأرض . اذ أن التفكير هو وظيفة العقل وبالعقل يتميز الانسان عن غيره من الكائنات ، فاذا تخلى العقل عن وظيفته ، فقد تخلى الانسان عن أخص خصائصه ولم يعد له دور في تقدم البشرية ورقى الحياة ، ولقد أجمع العقلاء على أن التفكير هو سر تقدم البشر ، وأن الجمود والتقليد هما سبب انطفاء جذوة العقل ، وانتكاس الانسان في الضلال وهبوطه الى مستوى التأخر والانحطاط ، ولهذا جاءت دعوة الاسلام لتطلق العقل من اساره ، وتضع عنه الأغلال التي عطلته زمناً طويلاً (٧٣) .

والاسلام منح الناس حرية التفكير العلمي ليكون لكل فرد الحق في تقرير ما يراه حول ظواهر الفلك والطبيعة والحيوان والنبات والانسان والأخذ بما يهديه اليه تفكيره ، وما يقتنع بصحته من نظريات ، والاسلام لم يحاول مطلقاً أن يفرض نظرية علمية معينة تخص أية ظاهرة من هذه الظواهر ، ولم يعرض القرآن ولا السنة لتفاصيل هذه الأمور ، وكل ما فعله في هذا الصدد أنه استحث العقول على النظر في ظواهر الكون ، وحفز الناس على التأمل في هذه الشؤون ، واستنباط قوانينها العامة ، وأثار في نفوسهم حب الاستطلاع والرغبة في المعرفة (٧٤) .

« قل انظروا ماذا في السموات والأرض » (٧٥) .

« أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » (٧٦) .

« ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين ، ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغائكم من فضله ، ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون » (٧٧) .

-
- (٧٣) السيد سابق : عناصر القوة في الاسلام . المرجع السابق . ص ١٣٩ .
 (٧٤) على عبد الواحد وافي : حقوق الانسان في الاسلام . القاهرة . دار نهضة مصر للطبع والنشر . ١٩٧٩ . ص ٢٣٠ .
 (٧٥) سورة يونس : آية (١٠١) .
 (٧٦) سورة الأعراف : آية (١٨٥) .
 (٧٧) سورة الروم : آية (٢٢ ، ٢٣) .

ولم تضع الدعوة الإسلامية حدوداً تحد من نشاط العقل وتفكيره
فقال القرآن في ذلك :

« كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » (٧٨) *

فالعقيدة الإسلامية أساسها التفكير والنظر ، ولا بد أن يكون الإيمان
بها عن يقين واقتناع لا عن تقليد واتباع ، ولذلك كان إيمان المقلد مشكوكاً
فيه ، وحرية التفكير تتناول حرية التعبير ، سواء أكان التعبير باللسان أم
بالقلم ، كما تتناول حرية الرأي والجهر بالحق *

وقد أخذ محمد على أصحابه العهد أن يلتزموا الصدق في القول
ولو كان مرا ، وألا يخافوا في الحق لومة لائم *

وفي ذلك يقول نبي الإسلام « الساكت عن الحق شيطان أخرس » *

ويدخل في حرية التفكير والتعبير حرية الصحافة والخطابة ، واعتقاد ما يراه
الإنسان من ظواهر الفلك والطبيعة والحيوان والإنسان ، ذلك أن الإسلام
لم يفرض نظرية عقيدة خاصة أو يوجب قانوناً علمياً على العقل ، فكل إنسان له
الحق في النظر في الخلق من حوله واستعمال الأدوات التي توصله إلى السنن
والقوانين التي تخضع لها الظواهر الكونية (٧٩) *

ولقد كان من آثار حرية التفكير والتعبير في الإسلام ، هذه الذخائر
التي تضمها المكتبة الإسلامية في الفلسفة والمنطق والتوحيد والأصول والفقه
والتصوف ، وعلم الطب والكيمياء والطبيعة والهندسة والرياضة وغير ذلك ،
مما كان سبباً مباشراً في إقامة النهضة الأوروبية المعاصرة ، والتي أثرت الحياة
هناك في شتى مناحيها *

والدعوة الإسلامية بهذا لا تصطدم مع الدعوات الأخرى التي تدافع

(٧٨) سورة البقرة : آية (٢١٩) .

(٧٩) المرجع السابق : ص ١٤١ .

عن حرية التفكير والتعبير وتلتقى مع فطرة الانسان في هذا الصدد ورغبته في الحياة الكريمة في مناخ صحى يحقق فيه ذاته ويعبر عن نفسه ويشعر بقيمته بين سائر المخلوقات .

(ب) حرية العقيدة ورفض العنف والاكراه في تبليغ الدعوة والاعلام بالرسالة :

تعد قضية الصراع الدينى والخصومة المذهبية قضية قديمة موهلة في أعماق الزمن ، بعد أن تضخم ميراثها من الضحايا والأحقاد والدماء ، ويشهد التاريخ أن البشرية لم تروع بمثل ما روعت به من آثار التعصب الدينى والخلاف المذهبى الذى غرق أصحاب الديانات والمذاهب المختلفة ، بل فرق أصحاب الدين الواحد طوائف وشيعا ، وأوقد نار العداوة والبغضاء .

وتلقى عصرنا هذه التركة المثقلة بالمآسى المشحونة بالفواجع والمآسى وسيفك الدماء ، فكان أمل الانسانية في التسامح والتقارب بين مختلف الأديان تقريرا لحرية العقيدة وانقذا للضحايا والأبرياء ، وهو أمل استشرف له الانسان حتى جاءت رسالة الاسلام تعلن الحرية الدينية لكل الناس ، وتلزم معتقيها باحترام حرية الاعتقاد تكليفا كمبدأ أساسى تقوم عليه الدعوة الاسلامية ، وليس لمجرد التسامح والمسالمة ، وقد أخذ محمد بهذا المبدأ اتقاء لما قد يدفعه الايمان من أخذ الناس قسرا ، وفرض الاسلام عليهم فرضا ، وهو ما يأباه هذا الدين نصا وروحا ، ذلك أن العقيدة لا تصح الا اذا صدرت عن اعتقاد ، والايمان لا يصدق الا اذا نبع من القلب والضمير عن رضا وطوعية وطمأنينة صادقة فلا خير في كلمة ينطق بها اللسان زورا ويكفر بها القلب فذلك هو النفاق الذى يغده الاسلام شرا من الكفر الصريح (٨٠) .

فالاسلام يريد أن يكون اعتناقه عن ايمان واقتناع لا عن اكراه وتقليد ، ولذلك فهو لا يكره أحدا على الدخول فيه لأن طبيعة الايمان تتناقض مع

(٥٧) عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الانسان . المرجع السابق .
ص ٩٥ .

الاكراه فلا ايمان مع الاكراه ، وغاية الاسلام أن يختار الانسان مصيره ويتحمل مسئوليته ، ولذلك فان الله يعين في القرآن الكريم أن الاسلام يرغب فيمن يدخله عن صدق ويتقبله عن يقين ، فلا حسرة ولا أسف ولا اكراه ولا اجبار ولا تعزير ولا تضليل ولكن حرية مطلقة في الاختيار (٨١) .

« فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، وما أنا عليكم بوكيل ، وأتبع ما يوحي اليك وأصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين » (٨٢) .

وقد صرح القرآن بذلك في العهد المكي قبل وقوع الصدام المسلح مع المشركين دفاعا عن الاسلام واقارارا لحق معتنقيه .

« ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » (٨٣) .

وحرية الاعتقاد بدورها تثقى على المرء تبعه اختياره وتحمله مسئولية حريته ، ولذا أكد القرآن على أن مهمة الرسول مهمة اعلام وابلاغ فقط تأكيدا وترسيخا لمبدأ الحرية :

« فان أسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ » (٨٤) .

« فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين » (٨٥) .

« وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء ، كذلك فعل الذين من قبلهم ، فهل على الرسل الا البلاغ المبين » (٨٦) .

(٨١) عبد القادر العلوي : المرجع السابق . ص ٢٧ .

(٨٢) سورة يونس : آية (١٠٨ ، ١٠٩) .

(٨٣) سورة يونس : آية (٩٩) .

(٨٤) سورة آل عمران : آية (٢٠) .

(٨٥) سورة المائدة : آية (٩٢) .

(٨٦) سورة النحل : آية (٣٥) .

ويؤكد القرآن أكثر من عشر مرات أن مهمة الرسول تنحصر في الاعلام أو البلاغ وقد حدد دوره وموقعه من المكذبين به والحاقدين عليه والكارهين لدينه بما يؤكد تأصيل المبدأ الاسلامي في حرية الاعتقاد مهما بلغت مشقة الأخذ بهذا المبدأ وصعوبة تحمل آثاره ، وفي ذلك يقول :

« فان عرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ، ان عليك الا البلاغ » (٨٧) .

« ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون » (٨٨) .

« ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ، فسبح بحمد ربك ولكن من الساجدين » (٨٩) .

« فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين » (٩٠) .

وهكذا فان الدعوة الاسلامية دعوة بلاغ واعلام ، وان مهمة رسول الاسلام هي مهمة اعلامية بالدرجة الأولى ، تقوم على الاقناع وليس على الاكراه ، تعتمد على الكلمة الطيبة والدعوة بالحسنى ، وما أكثر الآيات التي تحت الرسول ودعاة الاسلام على البعد عن الاكراه واستبعاد العنف ، لأن الاسلام ليس بحاجة الى هؤلاء الذين يدخلون هذا الدين دون اقتناع ورضا (٩١) .

لأن منهج الدعوة الاسلامية يقوم على ما قرره الحق تبارك وتعالى في قوله :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هي أحسن » (٩٢) .

(٨٧) سورة الشورى : آية (٤٨) .

(٨٨) سورة النحل : آية (١٢٧) .

(٨٩) سورة الحجر : آية (٨٧ ، ٩٨) .

(٩٠) سورة النمل : آية (٩٢) .

(٩١) محيى الدين عبد الحليم : الاعلام الاسلامى وتطبيقاته العملية .

المرجع السابق . ص ١٥١ .

(٩٢) سورة النحل : آية (١٢٥) .

« وقولوا للناس حسنا » (٩٣) *

وحمل كل امرئ مسئولية قبول أو رفض هذه الرسالة بعد أن ترك
لـه حرية قبولها أو رفضها *

« انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضل
فانما يضل عليها ، وما أنت عليهم بوكيل » (٩٤) *

« فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ، ان عليك الا البلاغ » (٩٥) *
« والذين اتخذوا من دونه أولياء ، الله حفيظ عليهم ، وما أنت عليهم
بوكيل » (٩٦) *

« قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ، ومن عمى فعليها ، وما
أنا عليكم بحفيظ » (٩٧) *

« ولو شاء الله ما أشركوا ، وما جعلناك عليهم حفيظا ، وما أنت عليهم
بوكيل » (٩٨) *

وهكذا نرى أن الاسلام جاء بمنهج رباني يدعو الى حرية العقيدة ، والى
الود والسلام وحسن التعامل بين المسلمين وغيرهم *

وقد أطلق الاسلام حرية المناقشات الدينية مع التزام جادة المصواب
في المناقشة مع أهل الديانات الأخرى من خلال الدليل والبرهان والحجة
والمنطق *

-
- (٩٣) سورة البقرة : آية (٨٣)
 - (٩٤) سورة الزمر : آية (٤١)
 - (٩٥) سورة الشورى : آية (٤٨)
 - (٩٦) سورة الشورى : آية (٦)
 - (٩٧) سورة الانعام : آية (١٠٤)
 - (٩٨) سورة الانعام : آية (١٠٧)

(ج) الحرية السياسية :

تقوم الحرية السياسية على أساس المشاركة في الحكم بالترشيح أو التصويت أو غير ذلك من الصور التي تحقق هذا الهدف سواء تم ذلك في انتخابات أم استفتاءات كما تقوم على أساس مراقبة أعمال الحكام وأولى الأمر وتقويمها وإبداء الرأي فيها .

وقد أقر الاسلام هذه الحقوق ، فالمشاركة في الحكم بالترشيح أو التصويت حق مباح لكل مسلم ، فمن حق أى فرد أن يرشح نفسه للمشاركة في الحكم والاسهام في اصدار القرار ، كما أن من حقه أن يعطى صوته لمن يرى أنه أصح لحمل هذه الأمانة ، والاسلام يوجب اختيار الحاكم عن طريق البيعة سواء تم ذلك بواسطة أهل الحل والعقد أم الصفوة الممثلة للأمة ، أم بواسطة اجراء الانتخابات العامة (٩٩) .

ولا يحق للحاكم بعد اختياره أن يبرم أمرا الا اذا رجع فيه للأمة وأخذ رأيها فيه ، وأخذ موافقتها عليه لأنه وكيل عن هذه الأمة مترجم لأمالها وطموحاتها .

وبالتالى فان تصرف هذا الوكيل يجب أن يأتى تعبيرا عن ارادة الموكل واذا تصرف تصرفا لا يعبر عن الارادة الصادقة لأفراد هذه الأمة ، فان هذا التصرف يصبح باطلا ، بل ولا يلزم أحدا به ، وقد كان نبي الاسلام نفسه مثالا ونموذجا لهذه الحقيقة ، وفي ذلك يقول القرآن عنه :

- « إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » (١٠٠) .
- « وما أنت عليهم بجبار » (١٠١) .
- « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الى إنما الهك واحد » (١٠٢) .

(٩٩) السيد سابق : عناصر القوة في الاسلام . المرجع السابق . ص ١٤٢ .
 (١٠٠) سورة الغاشية : آية (٢١ ، ٢٢) .
 (١٠١) سورة ق : آية (٤٥) .
 (١٠٢) سورة الكهف : آية (١١٠) .

وحق ابداء الرأى ، وحرية النقد ، ومراقبة أعمال الحكام وأولى الأمر أمر قرره الاسلام وأعطاه لكل فرد من أفراد الأمة .

وقد كفل الاسلام لكل مسلم أن يقول رأيه بصراحة ويبدى وجهة نظره دون تردد أو خوف ، فليس في الاسلام قيد على الحرية ولا كبت للرأى ولا اجبار على السكوت . . . ولكل مسلم أن يتحدث بما شاء سواء أخذ برأيه أم لم يؤخذ به ، وسواء أكان رأيه خطأ أم صوابا .

وحرية الرأى في الاسلام جعلت بعض المسلمين يجاهرون بالرأى لرسول الله بالرغم من اجلالهم له اجلالا لا يقف عند حد ، ذلك أن هذا الدين لم يقهر ارادة الآخرين في تبني ما يشاءون من آراء وأفكار حتى وان كان يرفضها الاسلام (١٠٣) .

وتتمثل الحرية السياسية في الاسلام في حق كل المسلمين جميعا في اختيار قادتهم وزعمائهم بارادتهم الحرة ، ورضائهم الكامل ، دون قهر أو تسلط فلا يجوز أن يسوسهم أحد رغما عنهم ، ويفرض ولايته عليهم ، ولا يجب أن يتم حكم المسلمين الا برضاهم وعن قناعة كاملة منهم ، لأن هذا الأمر يقوم وفق نظام البيعة أى عن رضا الجماهير وموافقتها .

والاسلام لم يعط المسلمين الحق في اختيار الحكام فقط ، ولكنه يعطيهم الحق في مراقبتهم ومحاسبتهم ، ولم يطلق لهؤلاء الحكام العنان ليصوغوا ما يشاءون دون رقيب أو حسيب ، أو يصوغوا ما يتفق مع أغراضهم وأهدافهم في حاضر الجماهير ومستقبلهم .

واذا كان الاسلام قد أعطى المسلمين حريتهم الكاملة في اختيار حكامهم ومحاسبتهم فإنه أعطاهم أيضا حق عزل هؤلاء الحكام لأن من يملك حق التعيين يملك حق العزل منعاً للأذاه وحفظاً لكيان الأمة (١٠٤) .

(١٠٣) محيى الدين عبد الحليم : الرأى العام في الاسلام . القاهرة . مكتبة الخاتجي . ١٩٨٢ . ص ١٨ .
(١٠٤) المرجع السابق . ص ١٥٧ .

— حرية التملك والتمتع بطبيات الحياة والحرية الشخصية :

كفل الاسلام حرية التملك والتمتع بطبيات الحياة ووضح لذلك الشرائع التي تكفل للانسان هذا الحق في الأطر الشرعية التي تكفل للانسان ممارسة هذه الحرية بما يحقق توازنا دقيقا بين غريزة حب التملك وبين حقوق الآخرين ، وحق المجتمع وسلامة بنيانه ، وقد تعرضت كثير من آيات القرآن الكريم لهذا الموضوع وعالجته معالجة شاملة ومن هذه الآيات على سبيل المثال .

« يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طبيات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » (١٠٥) .

« يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » (١٠٦) .

« قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » (١٠٧) .

وكفل الاسلام للانسان حق الحياة ، وحق التصرف ، وأحاط حياته بالاحترام فلا يتعدى أحد على حق ليس له ، ولا يتجاوز شخص الحدود المسموح له بها ، كما حرم قتال النفس الا بالحق .

« ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق » (١٠٨) .

بل وجعل جناية الانسان على حياة فرد كجنايته على المجتمع كله :

« من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا » (١٠٩) .

-
- (١٠٥) سورة المائدة : آية (٨٧) .
 - (١٠٦) سورة البقرة : آية (١٦٨) .
 - (١٠٧) سورة الأعراف : آية (٣٢) .
 - (١٠٨) سورة الاسراء : آية (٣٣) .
 - (١٠٩) سورة المائدة : آية (٣٢) .

وحرية التصرف حق طبيعي ، فليس هناك سلطة تحجر على حرية الانسان في التصرف ما دام أهلا لذلك حتى لا يترتب على اطلاق هذه الحرية ضرر من أى نوع ، لذلك حارب الاسلام الرق وحاصره وحجمه وجعله في أخسب الحدود •

وهكذا يحترم الاسلام الملكية الفردية ، شريطة أن يحمى المجتمع والأفراد من تجاوزاتها فيحافظ على أموال الأفراد كما يحافظ على أموال الأمة ، في الوقت الذي دعا فيه أصحاب رؤوس الأموال الى الاسهام في أعمال الخير والبر بالفقراء والمساكين وذوى القربى والحاجات •

فلا توجد شريعة من الشرائع التي تنقر الملكية الفردية تمنح المالك حق التملك بصورة مطلقة ، وتعفيه من الواجبات ، بل ان كل الشرائع تتناول ذلك واحد من هذه الحقوق فتقيده في سبيل المصالح العام حماية لحقوق الآخرين واتقاء للضرر والضرار ، وتفرض على المالك عدة واجبات يؤديها للدولة وللمجتمع في مقابل ما تمنحه له من حقوق (١١) •

وقد أقر الاسلام حماية الملكية الخاصة سواء من الأفراد أم الحكومات وفي ذلك يقول الله تعالى •

« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » (١١) •

واذا كانت النظم الليبرالية الغربية تباهى الأمم الأخرى بحرية أفرادها في الملكية الفردية فإن الاسلام سبق وأطلق هذه الملكية ما دامت قد جاءت من مصادر مشروعة سواء كان عملا ذهنيا أو يدويا في مجال الزراعة أو الصناعة أو التجارة أو التأليف والترجمة والنشر أو الميراث ، وما دامت هذه الملكية لا تصطدم مع حرية الآخرين في الحياة والعمل والاستمتاع •

(١١٠) على عبد الواحد وافي : المرجع السابق . ص ٥١ .

(١١١) سورة البقرة : آية (١٨٨) .

والاسلام يرفض الاستيلاء على حقوق الآخرين أو الاعتداء على الملكية الشخصية أو الحجر على حق الغير في التصرف في ممتلكاته الا اذا كان ذلك لضرورة شرعية يقتضيها الصالح العام ، وأعطى لكل شخص عاقل بالغ صحيح ذمة مالية مستقلة ، رجلا كان أم امرأة ، شيخا أم شابا ، عالما أم جاهلا ، عربيا أم أعجميا ، الا اذا أساء التصرف في هذا المال ووجهه للنشر أو التدمير •

الفصل السادس

بيئة الاتصال في المجتمعات الليبرالية والمسؤولية
الإعلامية لمؤسسات الدعوة

أولا — الحرية الدينية وحرية الرأي

تؤكد المشواهد العلمية والحقائق العملية على أن الواقع الحالى الذى تحياه المجتمعات الغربية التى تعيش فى ظل أنظمة ليبرالية حرة تهيبء مناخا صالحا وتربة خصبة تتيح أوسع الفرص للدعوة الاسلامية لكى تمارس نشاطها بفاعلية وتضطلع بدورها بسلامة دون عوائق أو معوقات تحول بينها وبين قيامها بهذا النشاط بصورة لم تتح لها من قبل سواء فى العصور القديمة أم فى العصور الوسطى والحديثة ، كما لم تتح لها فى ظل أنظمة الحكم الاستبدادية والشمولية المعاصرة .

ويرجع ذلك لتوافر الأسباب والعوامل التى تمكن لخطط الدعوة — اذا أحسن اعدادها وتوجيهها — من أن تحقق أهدافها وتصل الى جماهيرها وتؤثر فيهم وتفتحهم وذلك اذا استطاعت هذه الخطط أن تعمل وفق استراتيجية علمية سليمة تمكنها من فهم طبيعة الرأي العام العالمى ومتابعة حركة الجماهير ، وتمكنها من التوظيف الأمثل لوسائل الاتصال الدولية المتاحة فى مختلف البقاع ومختلف الأوقات .

ومن أهم هذه المشواهد وتلك الحقائق ما يلى :

يسمح النظام الليبرالى الذى يحكم مسيرة الحياة كلها فى المجتمعات الغربية بمساحة معقولة من الحرية الدينية ، ويفسح المجال لحرية الرأي الى مدى بعيد ، وبالتالي فهو يتيح أوسع الفرص لذوى العقائد والأديان المختلفة لممارسة شعائرهم الدينية والتعرف بها ، ويفسح المجال للجماهير للتعرض لها والمتزود بالمعلومات والأفكار التى تتضمنها ولا يمنع اعتناقهم لها دونما حساسية أو قهر أو ممارسة أى نوع من الضغوط للحيلولة دون ذلك .

ويرجع ذلك الى أن نظرية الحرية تقوم أساسا على تأكيد قيمة الفرد من حيث هو فرد ، كما تقوم على فكرة الحقوق الطبيعية للإنسان والتى منها حرية العبادة ، وحرية التعبير ، وحرية العقيدة ، فالإنسان من حقه أن يتعرف على الحقيقة ، وأن يسعى اليها ، ويهتم بها فى كل وقت ، وتأتى أجهزة الاعلام

على رأس الوسائل التى تساعد على الوقوف على الحقيقة من خلال عرضها فى مناقشات حرة ومفتوحة ، فهذه النظرية ترى أن الآراء وأن اختلفت اختلافا بعيدا أو قريبا فإنه ينبغى أن يتاح لكل صاحب رأى الفرصة لكى يعرض فيها رأيه ، ويحاول اقناع الآخرين به ، والرأى الصائب هو الذى يستطيع أن ينتصر ويتغلب على غيره فى نهاية الأمر (١) .

ووفقا لنظرية الحرية فإن الطريقة الوحيدة لمعرفة الحقيقة تكون بترك الآراء تتصارع وتتنافس بحرية فى ميدان أو سوق حرة ، وحيث إن الأفراد يختلفون فى الرأى فإنه يجب أن يأخذ كل فرد حقه كاملا لكى يقول ما فى ذهنه على شرط أن يعطى غيره فرصة متكافئة ، وفى ضوء هذا ، يتيح سوق الأفكار الحرة للأفراد الفرصة لمقارنة الآراء المختلفة واختيار الرأى الأصوب الذى يسود فى النهاية ، وبالتالي فإن حرية وسائل الاعلام يجب ألا تترك الحكومة لكى تتحكم فيها ، بل يجب أن تتمتع هذه الوسائل بحريتها فى تقديم الأدلة والحجج التى يستطيع بمقتضاها الأفراد الرقابة على الحكومة ، وتوجيه النقد لقراراتها وسياساتها ، لهذا فمن الضروري ألا تخضع هذه الأجهزة للإشراف والسيطرة الحكومية (٢) .

وتعقد هذه فرصة سانحة تفسح المجال واسعا أمام دعاة الاسلام فى هذه المجتمعات ليتحملوا مسئوليتهم ويمارسوا نشاطهم فى تبليغ الدعوة لمن يشاءون من أصحاب العقائد والمذاهب والأفكار الأخرى ، متوجهين الى كل الجنسيات وجميع المستويات ، ويتغلغلوا فى مختلف الأوساط الاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها ، لكى يؤدوا غريضة البلاغ بما حملوه من أمانة ، فإذا كانت دعوة الاسلام رسالة حق ، وبيان القرآن ناصحا ومحتوى الرسالة سهلا ومميزا يسهل فهمه واستيعابه فإن الاعلام بهذه الرسالة واقناع أولى الألباب وذوى الفكر السوى بها يصبح أمرا ممكنا لا نكتنفه صعوبات كبيرة كالتى

(١) عبد اللطيف حمزة : الاعلام له تاريخه ومذاهبه . القاهرة . دار الفكر العربى . ص ١٢٠ .
(٢) جيهان رشتى : نظم الاتصال . القاهرة . دار الفكر العربى . ١٩٧٢ . ص ٩٠ .

كانت قائمة أيام سيطرة النظم الاستبدادية والدكتاتورية على هذه المجتمعات في العصور القديمة والوسطى والقائمة الآن في ظل النظم المشمولية السائدة في كثير من المجتمعات المعاصرة ، أى أن المجالات المتاحة الآن للدعاة ورجال الاعلام الاسلامى أفضل بكثير منها في المصدر الأول من الاسلام حين أرسل الرسول مبعوثيه ودعائه الى الامبراطوريات القديمة ، حيث كانت الكنيسة ونظم الحكم الأوتوقراطية هي المسيطرة على المجتمعات الأوروبية آنذاك ، فاذا كان ثمة تقصير الآن فانه يكمن في خطط الدعوة والاعلام عن الاسلام ، أو في تأهيل الكوادر القادرة على تنفيذ هذه الخطط ، أو في الدعم المادى أو المعنوى اللازم لها •

فالنظام السياسى البريطانى - على سبيل المثال - لا يجد غضاضة في أن تقوم الهيئات أو الجماعات الاسلامية بممارسة نشاطها في الدعوة الى الاسلام ما دام هذا النشاط لا يصطدم بالكيان البريطانى ولا يمس أمن الوطن والمواطن الانجليزى ، كما أن هذا النظام يسمح بقيام بعض أئرياء المسلمين بشراء كنائس وتحويلها الى مساجد دون أن يواجهوا صعوبات أو عراقيل تحول دون ذلك ، كما أن هذا النظام وغيره من النظم الغربية تسمح بإنشاء منابر اسلامية سواء أكانت مراكز ثقافية أم مساجد أم مكاتب أم حتى معاهد وكليات علمية للشيعة والدعوة الاسلامية ، أم صحفا وغير ذلك من الوسائل والطرق الأخرى •

وهنا تتحدد المسئولية وتنحصر في خطط الدعوة أو في الدعاة ، ذلك أنه اذا كان الجهاد العسكرى قد تبوأ مكانة كبرى في مرحلة سابقة دفعا عن الإسلام والمسلمين ، وحماية من يعتنق الاسلام من اضطهاد الحكام وتعسف الطغاة وظلم المساكين ، فان هذا المناخ قد تغير الآن وغدت الدعوة الاسلامية مطلقة السراح تستطيع أن تعمل بحرية كاملة ، ويستطيع الدعاة أن يقيموا لهم المراكز والمساجد والمنابر التى ينطلقون منها لابلأغ العالم برسالة الاسلام وتعميمها في مختلف الآفاق ، بل وغدت الصحف الاسلامية - تستطيع للوصول الى الجماهير في هذه المجتمعات ، وأصبح ممكنا إصدار مثل هذه

الصحف واعداد البرامج الاسلامية في الاذاعة والتلفزيون وتوزيع المنشورات والملصقات وأفلام الفيديو وغير ذلك من الوسائل والأدوات .

وفي هذا يقول هارت Hart أنه قد حدثت تغييرات أساسية في الفلسفة السياسية للنظام الانجليزي في السنوات الأخيرة ، وتكمن هذه التغييرات في الايمان بحقوق الانسان الأساسية تلك الحقوق التي تحمي الحريات المختلفة ، كما تحمي مصالح الأفراد ، وقد أسهم في ذلك الفلاسفة الغربيون الذين بذلوا جهودا كبيرة وخلاقة في هذا الصدد ، وقد تم تتويج هذه الجهود في تلك النظريات التي تناولت هذه الحقوق الجوهرية للانسان^(٣) .

وهكذا تتبوأ الحريات الانسانية المختلفة مكانتها السامية في المجتمعات الليبرالية القوية تلك الحريات التي قررها ميثاق الأمم المتحدة ، والميثاق العالمي لحقوق الانسان ، وكل دساتير الدول الغربية ، وتشتمل كل هذه المواثيق والدساتير على الحريات الآتية^(٤) :

١ - حرية العقيدة والديانة وحرية ممارسة شعائر الدين :

٢ - حرية التعليم :

وتتضمن حق الفرد في أن ينشر أفكاره وعلمه ، وحقه في أن يتلقى هذا التعليم ، وحقه في اختيار العلم الذي يريده والأساتذة الذين يلقنونه هذا العلم أو ذاك .

٣ - حرية الصحافة :

ويقصد بها حرية التعبير عن الرأي في الجرائد والمجلات ، وتتضمن أيضا حرية كل فرد وكل جماعة في اصدار صحيفة تعبر عن اتجاهاتهم ما دامت لا تتضمن اخلالا بالنظام أو منافاة للأداب العامة .

A. L. A. Hart : Between Utility and Rights in the Idea of Freedom, Oxford, Oxford University Press, 1979, p. 77. (٣)

(٤) عبد الحميد اسماعيل الأنصاري : الثوري وأثرها في الديمقراطية . ط ٢ . بيروت . الهيئة العصرية للطباعة والنشر . ١٩٨٠ . ص ٣٦٥ .

٤ - حرية المسرح والسينما والاذاعة والتليفزيون :

وتنطبق عليها نفس الشروط والضمانات التي وردت في حرية الصحافة .

٥ - حرية الرأي :

وهي تشمل جميع الحريات السابقة ذلك أن لكل انسان الحق في ابداء رأيه بصراحة وبدون معوقات ، وتحرص كافة القوانين واللوائح في الدول الديمقراطية على توفير المناخ المناسب لممارسة حرية القول ، وتنص دساتيرها على ذلك مؤكدة على حرية التعبير في مختلف وسائل الاعلام لاماكن تكوين رأى عام صحيح وقوى الآن وسائل الاعلام هي مدرسة الشعب ، وهي المعلم للجماهير من خلال ما تقدمه لهم من الأنباء والآراء والمعلومات التي تسهم في رقيهم ، وتساعد على نضجهم ، وتثري عقولهم وأفكارهم .

وتندرج تحت هذه الحريات حرية الاجتماعات ، وحرية تأليف الجمعيات ، والحريات الاقتصادية ، كحرية التملك والتجارة والصناعة ... الخ .

وهذا المناخ الصحي الذي يسود الأنظمة الغربية يفتقر الى الخطط العلمية المنظمة التي تعدها وتشرف عليها وتنفذها مراكز للدعوة الاسلامية في هذه الدول لكي تمارس فيها نشاطها الاعلامى بحرية كاملة مستخدمة في ذلك كافة الوسائل المتاحة التي تحمل حقائق الدين الاسلامى لابلغها للجماهير التي تعيش في ظل هذه النظم ، والعمل على استمالتهم للتعرض لها - وادراكها الادراك الصحيح ، والتعامل معها بعين الرضا والاقبال عليها بشوق ورغبة .

ثانياً - انحسار المعارف الإسلامية ، وتعطش الجماهير لمعرفتها وخصوصية التربة العالمية لنموها

يفتقد العالم الغربى - بصفة عامة - الى المعلومات الصحيحة والحقائق الموضوعية عن الدين الاسلامى رغم خصوبة التربة وتعطش الجماهير فى العالم لمعرفة هذه الحقائق والمعلومات حول هذا الدين الذى يعتنقه مليار من البشر يمثلون خمس سكان هذا الكوكب وينتشرون على مساحات هائلة من الكرة الأرضية ، ويمتدون عبر مناطق هامة ويحتلون مواقع استراتجية فى قلب انعام وبين قاراته الست .

الا أن الأعم الأغلب من سكان العالم لا يعرفون سوى ما تحمله لهم أجهزة الاتصال ووكالات الأنباء ودوائر المعارف ومصادر المعرفة الأجنبية التى تعد الروافد الأساسية التى تشكل فكر الجماهير فى العالم وتكون اتجاهاتها وآراءها حتى لو كانت هذه المصادر تجهل حقائق هذا الدين ، ولا تقدم عنه سوى صور مبتورة أو غامضة أو غير صحيحة أو تعمل عامدة متعمدة على تشويهه والنيل منه .

وتتوقف قوة أو ضعف الصورة الذهنية التى تقدمها وسائل الاعلام الدولية الى الجماهير تبعاً لدرجة الاتصال بينهم وبين المؤسسات الاعلامية المختلفة ومدى اهتمامهم بما تتضمنه هذه المؤسسات ، ودرجة تأثرهم بنشاطها ، الا أنه على الرغم من صعوبة تغيير الصور الذهنية فى أذهان الجماهير فان هذا لا يعنى أن هذه الصور تظل ثابتة فى مواقعها بلا أى تغيير مهما كانت الظروف والأحوال ، فتكوين الصور عملية ديناميكية وليست استاتيكية ، ولذلك فهى لا تتصف بالثبات والجمود ، وانما تتصف بالمرونة والتفاعل المستمر ، أى أن الصور المشوهة عن الاسلام والمسلمين فى أذهان العالم الغربى يمكن تعديلها من خلال جهد منظم تقوم به أجهزة الاعلام الاسلامية لا سيما أجهزة الاتصال

المباشر كالمراكز والمؤسسات الاعلامية والثقافية والسياسية الاسلامية ، ومن هنا تأتي أهمية اقامة هذه المؤسسات ودعمها لكي تأخذ على عاتقها :

- ١ - تقديم الصورة الصحيحة عن الاسلام من مصادرها الأصلية .
- ٢ - الرد على كافة التساؤلات التي تثار حول هذا الدين والتي تتناول مختلف الأمور والقضايا .
- ٣ - متابعة الحملات الظالمة ، والعمل على كشف مصادرها واحتوائها ، وتعريه أغراضها وأهدافها .
- ٤ - تصحيح الصور المشوهة أو المبتورة وغير الصحيحة في أذهان غير المسلمين عن هذا الدين .
- ٥ - اشباع رغبة هؤلاء المتعطشين للمعرفة ممن لا يجدون مصادر أمينة تحقق لهم هذه الرغبة .

ثالثا - الارتباط العضوى بين المسلمين ودينهم

من الظواهر البارزة التى تشد جماهير العالم ، وتصيبهم بالحيرة والدهشة سيطرة العامل الدينى على حياة الشعوب الاسلامية ، وتشعبت الجماهير فى مختلف الدول الاسلامية بدينها وحرصها على أداء واجباتها الدينية فالدين جزء لا يتجزأ من الحياة اليومية للمسلمين فى مواجهتهم للمتغيرات التى تواجهه هذه الحياة فالحقيدة الدينية تحكم حياة المسلم فى بيته وعمله ونشاطه دون أن ينجم عن ذلك أى مضايقة له ، فهو يمارس حياته من منظور دينى برضاه الكامل ، ويرى عدم السلامة أو الصحة فى أى علاقة أو اجراء لا ينسجم مع النظام الاسلامى سواء كان ذلك فى المجال السياسى أم الاقتصادى أم الاجتماعى ، وهذا بخلاف غير المسلمين الذين قد يرون الدين معوقا لنشاطهم أو حائلا دون تقدمهم أو مخدرا لعقولهم ، ولذلك اختاروا الحياة العلمانية التى يتم فيها فصل الدين عن السياسة والحكم والاقتصاد ، وعن حياتهم الأسرية والاجتماعية وعن علاقاتهم بكل ما يحيط بهم أو يكتنف حياتهم •

ولقد ثار العديد من علامات الاستفهام عن السر وراء تشعب الشعوب الاسلامية بهذا الدين على الرغم من الضعف والوهن والفقر والجهل الذى يحكم حياتها ويسود سماءها ، وعلى الرغم من التخلف الاقتصادى والاجتماعى وقسوة الحياة التى ترزح هذه الجماهير تحت وطأتها ، فلم تفلح الاغراءات الكبيرة التى تعمل على دفعها دفعا للتخلى عن الاسلام انقاذا لها من هذا الفقر والهوان الذى تعيش فى ظله شعوبها ، سواء أخذ هذا الاغراء شكل حملات تبشيرية أم عمليات تنصير وغسيل مخ أم حرب نفسية شرسة أم اغراءات مادية ، أم عن طريق التلويح بالدعم المعنوى والمساعدة المادية التى تقدمها نظم ماركسية أو ليبرالية ، وهذا يؤكد احتفاظ الاسلام بقوته وفاعليته فى مواجهة أعتى الأحداث ، والقوى والظروف •

والتاريخ البعيد والقريب يؤكد هذه الحقيقة الأزلية منذ انبعثت الدعوة الإسلامية في قلب جزيرة العرب القاحلة آنذاك ، ومرورا بالانقلابات والمغامرات التي خاضها تجار السياسة وهواة الحكم والتسلط ، ثم محاولات الاحتواء والالتفاف التي قادها زعماء مغامرون وحكام مستعمرون ، وحملات عسكرية شرسة بدءا بكسرى ومرورا بهولاكو ، ثم حملات الغزو الصليبية ، فأعمال الاحتلال الفرنسية والانجليزية والشيوعية والصهيونية •

وقد فشلت كل الجهود لاحتواء الجزائر وطمس هويتها الإسلامية بعد مائة وثلاثين عاما من الاحتلال الفرنسي وسقوط مليون من الشهداء على الرغم من الاعترافات الفرنسية لضمها الى كيان حضارى متقدم ، وظلت الجزائر مسلمة كما بدأت ، كما لم تفلح المحاولات المماثلة في مصر أو الشام أو المغرب أو العراق ، وما يدور في أفغانستان الآن يعد ظاهرة فريدة تؤكد صحة هذه الفرضية ، وكان يمكن لهذا الشعب الذي كان يعيش في مؤخرة دول العالم فقرا وجهلا وتخلفا أن يسلم قيادته لمن وعدوه بالعطاء ومنوه بالتقدم ، الا أن كل محاولات الاحتواء والسيطرة الماركسية لم تفلح في اثناؤه عن الدفاع عن دينه الذي كلفه مليونا من الشهداء دفاعا عنه ، وظلوا في رباط حتى أرغموا أقوى وأشرس نظام ماركسى في العالم على اعلان الانسحاب من هذه الأرض المسطمة •

هذا الاصرار وذلك الصمود الذي دفع شعوب العالم الغربى الى التساؤل عن السر الغامض وراء هذا التثبيت بالاسلام ، وراحوا يبحثون عن القوة الكامنة في هذا الدين ، وهنا تأتي أهمية الدور الذي يجب أن تضطلع به مؤسسات الدعوة والاعلام عن الاسلام لمترد على هذه التساؤلات وتوضح السر وراء تغلغل الدين في حياة هذه الشعوب حتى أصبح جزءا من كيانها النفسى والوجدانى •

رابعاً - زيادة اعداد الضائمين والتائمين في مجتمعات

مادية فقدت الجانب الروحي في حياتها

انه لما يستلقت الانتباه أن العالم المعاصر بصفة عامة يمر في هذه المرحلة بأزمة خطيرة تهدد كيانه ومستقبله ، وتتهطل هذه الأزمة في التهديد الذي يواجه الحضارة البشرية والذي يتمثل في عدم قدرة الانسان على تحقيق السلام الداخلي مع النفس ، وفشله في اسعادها في ظل الأنظمة التي تحكم الحياة في المجتمع الذي يعيش فيه على الرغم من المكاسب الكبيرة التي حصل عليها ، وعلى الرغم من التقدم العلمي والتكنولوجي الذي أحرزته (٥) .

واذا كانت ظاهرة القلق ترتبط بتاريخ الانسان ارتباطا وثيقا وتختلف قوة أو ضعفها من زمن الى زمن ، وقلة وكثرة من مكان الى مكان ، فانها في العصر الحديث أصبحت « ظاهرة مرضية » تشير الى خطر يهدد الحضارة ، وأصبحت هذه الكلمة أكثر تداولاً في قاموس الحياة المعاصرة حيث يوصف العصر الحديث - بصفة عامة بأنه عصر القلق والتوتر الفردي والجماعي لما يبدو على انسان العصر الحديث - عصر العلم والتكنولوجيا - من أنه ليس أكثر سعادة من انسان الأمس القديم ، فالشواهد البارزة في هذا الصدد تشير الى أن العلاقات الانسانية على مختلف مستوياتها مهددة بالاضطراب والخوف ، ومتدهورة الى مراحل الخطر ، ومن مؤشرات الخطر ادمانه المضطرب ليسكن بها ما ينتابه من شعور الضياع والغربة ، ثم يدع نفسه فريسة للأمراض الوهم التي تحبب اليه الميل الى العزلة وعدم الاشتراك في العمل الاجتماعي أو الجماعي ، فيتغيب بأوهامه عن ضبط سلوكه الفردي ويفقد

Aliahbuksh. K. Brohi Universal Islamic Declaration (٥)
in Islam and Contemporary Society, London, Longman group
United, p. 259.

تفهم المغزى من معنى وجوده ، ثم أخيرا يصبح غافقا لنفسه وإيمانه ، ثم يتحول سلوكه الى التخريب وحب الهوس الجدلى دون تحديد لهدفه أو الالتزام باطاره المعيارى ، فيسلم نفسه الى المذاهب الالحادية والمادية بما تحويه من العبث العقلى والملاعلى (٦) .

ان الأوضاع المعاصرة التى يمر بها عالم اليوم تجعله يعيش أنواعا من الأيديولوجيات والأنظمة المتعارضة ، والنظريات المتضاربة يهدف بعضها الى طمس الحرية الفردية ، ويرمى الآخر الى تحرر الفرد تحريرا مطلقا ، ولا يوجد فى أى منها مثالية النظام الاسلامى وعدالته وسماحته لأنها لا تستقر عند ملتقى حقيقى يمكن اعتباره من الوجهة العلمية نافعا ومفيدا ، فبقدر ما نرى فى النظام الشيوعى من خنق للحرية واسكات للكلمة وفرض للأمر الواقع ، نجد فى الجهة المقابلة حرية مطلقة غير مقيدة بأهداف انسانية أو تعاليم دينية وغير محصنة بروح الاخوة الانسانية ، فهى كلها تعيش فى دوامة من الارتجال والفوضى . فلا انسانية تسيطر عليها ولا عدل يسود أفرادها ولا استقرار يضمن استمرارها (٧) .

وهكذا يشكو عالمنا اليوم من الظلم الاجتماعى العنيف والأنظمة الاقتصادية المهزوزة ، والأنظمة السياسية المتهترئة ، ويعيش الانسان فى هذا العالم فى ضياع وتيه بالرغم من التقدم الهائل فى وسائل وحيل العيش التى أدت الى رخاء وترف الحالة المعيشية للفرد فى المجتمع المتحضر ، الا أن هذا الرخاء والترف لم يقنع الانسان بحقيقة وجوده فى الحياة لأنه من غير المعقول أن يخلق الانسان لكى يعيش على هذا الكوكب ثم يموت بدون هدف واضح فى الحياة وبدون غاية سامية يسعى اليها ، وبدون فلسفة محددة فى حياته تشغل أركان

(٦) محمد ابراهيم الفيومى : القلق الانسانى ، مصادره — تيساراته — علاج الدين له . القاهرة . دار الفكر العربى . ١٩٨٤ . ص ٢٨ .
(٧) عبد القادر العلوى : المرجع السابق . ص ٢٠٨ .

تفكيره وجوانب روحيته وتبلور له فكرة متناسقة الأبعاد في الكون والحياة والانسان^(٨) .

والانسان المعاصر عندما أحس بضياعه في عالم القيم أخذ ينتسب بفلسفات انتشرت في أوروبا بشكل واسع لعدم وجود البديل كالفلسفة الوجودية ، والفلسفة الماركسية ، والميكانيكية ، والقومية الأوروبية الا أن هذه الفلسفات في مجموعها لم تستطع اقناعه بحقيقة وجوده في الأرض ، وعاد الى حلقه مفرغة يدور فيها بدون طائل .

فان نظام الرأسمالي قاده الى استغلال الفقراء وتحقيق الامتيازات الخاصة للأغنياء ، ولم ينجح النظام الشيوعي كبديل للرأسمالية ، حيث عصف هذا النظام بكل الحريات في سبيل تنفيذ مخططاته ، وأدى الى التسلط والاستبداد ، واحتكار الدول لكل وسائل الانتاج ، وأدى ذلك الى خلق بيروقراطية تحجر على الفكر ، وتقتل في الانسان روح الابتكار والمبادأة ، فالرأسمالية والاشتراكية كلتاهما فشلتا في خلق مجتمع متوازن تتحقق فيه مطالب الحرية والعدالة واحترام الانسان^(٩) .

وما دامت البشرية لا تزال تعاني من مساوئ الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية الوضعية فلا سبيل ولا مخرج لهذا العالم ولا حل لقضاياه ومشاكله الا بحمل روح الاسلام وفكره عقيدة وايماناً كوجه حضارى مشرق ينسجم مع الطبيعة البشرية ويتفق مع روح الانسان وكيانه .

وفي ذلك يقول المفكر الفرنسى روجيه جارودى في كتابه « وعود الاسلام » أن مؤسسة الغرب تكمن في اعتماده على النمو المتواصل بدون هدف انساني أو أخلاقي ، ويقول جارودى في نفس الكتاب « لقد وجدت في الاسلام نظاما اجتماعيا واقتصاديا وأخلاقيا يصلح لاجراج البشرية من ورطتها الحاضرة

(٨) زهير الأعرجى : الراى العام الاسلامى وقوى التحريك . بيروت . دار المعارف والطبوعات . ١٩٨٤ . ص ٧٧ .

(٩) Allahbukhs K. Brohi Universal Islamic Declaration in Islam

and Contemporary Society. op. cit., p. 259.

حيث فشلت الرأسمالية والماركسية كنظم وضعية في انقاذ الانسان المعاصر من مشكلاته .

ولا غرابة أن يشعر فيلسوف كبير مثل روجيه جارودي بالحاجة الى عقيدة دينية يركن اليها فيقرأ ويدرس ويتأمل ليرتكز اختياره على وعى ، وحين درس جارودي الاسلام كان يستهدف من وراء ذلك البحث عن حلول لقضايا العالم المعاصر ، وقد وجدها في هذا الدين ، كما كان يستهدف البحث عن طريق يعالج به مشكلات الحياة العملية التي صادفها والتي وجد أن المذاهب والعقائد الأخرى عاجزة عن ايجاد حلول لها ، وهذا شأن الانسان الثمناك المتمرد . فلا مناص له من عقيدة دينية يؤمن بها ويتخذها مرفأ ترسو عليه سفينته في أمان (١٠) .

وقد أجمع علماء الأخلاق أنه لا رادع ولا وازع أقوى من الدين ، لأن الانسان اذا ابتعد عن رقابة القانون واختفى عن أعين الناس في مسمعهم ومرآهم ، ولم يكن له رادع مقدس من نفسه ولا رقيب يهيمن على ضميره ارتكب من المنكر والقبائح ما لا ينقضي منه العجب ، لذلك أجمع العلماء على أن قواعد الأخلاق وأحكام القانون لا يثبت لها أثر في النفوس ، ولا تسيطر على الضمائر ما لم تكن مستمدة من الدين ، كما قرروا أنه لا يكفي العقل وحده للتغلب على القوى الشهوانية والمادية في الانسان ، لأن العاطفة كثيرا ما تغلب العقل والعلم ، ولأن النفس الانسانية مفضورة على الأثرة ، والأنانية والظلم الا اذا منع مانع ، وليس هناك ما يردع العقل والعاطفة سوى الدين الذي يهيمن على الضمائر ، ثم ان النفس الانسانية مطبوعة على النسيان والانسان ينسى السرور والحزن وينسى اللذة والألم ، وكذلك ينسى الحق والباطل ، ولقد بعث الله الأنبياء والمرسل بالدين لمعالجة هذه القضايا معالجة متكاملة .

والدين عقيدة انسانية ، وكيونة ذاتية تعيش داخل الانسان ، لا خارجه ، وبالتالي فلا تستطيع القوى الخارجية القهرية ازالتها ، كما لا يستطيع أحد

(١٠) زكى نجيب محمود : صحيفة الأهرام في ٢٩/٣/١٩٨٢ .

كتبها أو ازاحتها ، فهو فطرة الانسان وليس عاملا مكتسبا ، لأن الانسان بكيئنته البشرية يحمل بذرة الدين طفلا وصبيا وشابا وكهلا ، وهو مهما ادعى علمانيته وتباهى بالحاده ، فانه يخادع نفسه ويكذب ضميره ، لأنه يؤمن في قرارة نفسه أنه مخلوق ضعيف يقف أمام قوة جبارة مجهولة لا يعرف ماذا تخبىء له (١١) .

والانسان مهما بلغ شأوا في مجال العلم والمعرفة فانه لا يستطيع الاستغناء عن الدين لأنه ألزم اللوازم لتحقيق خلافته في الأرض التي أسكنه الله فيها ، وسخر له جميع الكائنات ، والعالم الأوربي اليوم يهتم بالبحث عن دين عالمي بعد اخفاق المذاهب والأيديولوجيات بل والديانات الموجودة حاليا عن اشباع رغبتهم وحل مشاكلهم النفسية والمادية والروحية (١٢) .

وتؤكد الدراسات العلمية والأوضاع الاجتماعية في العالم الغربي ارتفاع معدلات التائهين والضائعين والمصابين بأمراض نفسية نتيجة الاغراق في أوضاع مادية تفرض ايقاعا سريعا للحياة ، وتحكم على النجاح والفشل بمعايير مادية ومحكات أساسها القوة والمال ، حياة فقدت الجانب الروحي وأسقطت الجانب المعنوي من كيانها .

فهو عالم غلب عليه الفهم المادى واستهوته المتعة الحسية ، وحين أفاق راح يبحث عن منقذ له من مغبة هذه الحياة ، ويسعى للحصول على اجابات للعديد من التساؤلات التي تحقق له الاشباع الروحي والراحة النفسية .

غلا مناص للانسان من عقيدة يؤمن بها ويتخذها مرفأ ترسو عليه سفينته في أمان بعد الشك والتمرد الذي يتعرض له ، وهكذا يتضح أن بين الانسان والدين علاقة تلازمية ، وفي هذا التلازم بين الانسان والدين تخفيف من شدة القلق الانساني من خلال الايمان بالله ، ذلك الايمان الذي يخفف من العزلة والغربة الروحية التي سيطرت على هذا العالم .

(١١) زهير الأعرجي : المرجع السابق . ص ٧٨ .

(١٢) عطية صقر : الدعوة الاسلامية دعوة عالمية . الكويت . مؤسسة الصباح . ١٩٨٠ . ص ٩٤ .

ولهذا جاء القرآن الكريم يثني على الإنسان هذا الأسلوب الشائك ،
ويلفت نظره الى أمراضه وعقله ونقائصه ورذائله كي يتخلص منها ويتنزه عنها ،
ويسلك السبيل القويم الجدير به كخليفة لله على هذه الأرض ويعالج
هذا النقص البشري وينبه الى ضرورة التخلص منه « يريد الله أن يخفف
عنكم ، وخلق الإنسان ضعيفا » (١٣) .

ولعل دعوة الاسلام — اذا نشطت وقامت على أسس موضوعية — تجيب
على كل التساؤلات التي تثور في أذهان هذه الجماهير ، وتحقق لهم آمالهم
في حياة إنسانية سليمة ، وتستجيب لما يدور في ظلمات نفوسهم ، وتلبي
احتياجاتهم الفكرية والوجدانية .

فهذه الدعوة ظلت ولا تزال تحتفظ بفاعليتها وقوتها الذاتية وقدرتها
على تحقيق الاشباع الروحي والارتقاء بالحس المعنوي للإنسان ، يؤكد ذلك
ارتفاع معدلات اعتناق الاسلام بين الأوساط المثقفة والعناصر المتميزة
في العالم .

وقد لاحظ كاتب هذه السطور أثناء وجوده في عدد من المراكز
والمساجد الاسلامية بالخارج ارتفاع معدلات الذين يقصدون هذه الأماكن
لاشهر اسلامهم أو التزود بالمعارف والمعلومات الصحيحة حول هذا الدين ،
والاحتكاك بأهله والتردد على مكتباتها أو مصادر المعرفة الأخرى به .

وهنا تأتي أهمية منابر الدعوة والاعلام عن الاسلام لتخاطب هذا
الإنسان الذي غفل عن هذا الجانب الروحي واندفع وراء شهواته المادية
ولذائذه الحسية اندفاعا صرفه عن اصلاح نفسه ، وأخذها بالتربية والتقويم
بعد أن بلغ شأوا بعيدا من الرفاهية المادية والنعم الظاهرة ، في نفس الوقت
الذي تخلف فيه تخلفا معيبا عن القيم الصالحة والمعاني الرفيعة (١٤) .

(١٣) سورة النساء : آية (٢٨) .

(١٤) السيد سابق : المرجع السابق . ص ٣٧ ، ٣٨ .

خامسا - مواجهة الحملات الاعلامية المضادة للاسلام وتصحيح صورته في أذهان العالم

تتفق المخططات العلمانية والصهيونية والشيوعية على حرب الاسلام ورجالها ، وتجدد في النظم الليبرالية مجالا رحبا لتنفيذ مخططاتها نظرا لحرية الفكر والحركة ، وحرية الصحافة والمطبوعات ، وعدم وجود قوانين أو لوائح تحول دون العمل الذهني ، أو لوائح تمنع النشاط الفكري والاعلامي .

هذا بخلاف المستشرقين الذين يعمل أكثرهم ضد الاسلام والمسلمين من خلال الكتابات المنحازة ، والعروض المغلفة ، ودوائر المعارف العالمية التي كثيرا ما تحوي بيانات يجانبها الصواب ، ومراكز المعلومات التي تستقي مادتها من مصادر غير موثوقة أو متحيزة ، وغير ذلك من الجهات التي تعمل في مجال صناعة الفكر وتشكيل الرأي وتكوين الاتجاهات .

هذا الى جانب الدعوات التي يطلقها البعض لتقليص الاسلام وتحجيمه وحجسه موضوعيا وجغرافيا ، وربطه بالعروبة على اعتبار أنه الجانب الالهي أو النظام الديني للأمة العربية ، وأنه بمثابة البدائل الالهية للمتغيرات العربية ، فهو اذن شريعة لا تصلح لغير العرب . وأن الله معبود عربي ، والنبي زعيم أو بطل عربي ، وأن العروبة هي الأصل والاسلام هو الفرع . وأن العروبة هي القاعدة والأساس والاسلام هو بعض أجزائه ، أي أن الاسلام اذن كان حركة عربية والفضائل التي زرعها الاسلام كانت فضائل عربية والعيوب التي حاربها كانت عيوباً عربية ، وبالتالي فإن هذا الدين لا يمكن أن يعيش الا في كيان الأمة العربية ، ولا يعبر الا عن فضائلها وأخلاقها ومواهبها ، فهو طور متقدم للحياة العربية .

وتوجه الاتهامات الى الشريعة الاسلامية في مواضع كثيرة منها على سبيل المثال مسألة تعدد الزوجات ، وتدعى هذه المراجع أن الشريعة

الاسلامية شرعت تعدد الزوجات لأن الرجال المسلمين يحفلون بالمتعة ، ويقضون جل حياتهم في اشباع الرغبة الجنسية ، ويكشف نورمال دانيال Normal Daniel بطلان هذه الادعاءات قائلاً أن الهجمات المحمومة التي تشنها العناصر المسيحية المتعصبة ضد الاسلام لا معنى لها لأن جوهر الدين الاسلامي والدين المسيحي واحد وبالتالي فان الأسباب التي تدعو لهذا الهجوم واحدة في كل من الاسلام والمسيحية اذا كانت صحيحة (١٥) .

هذا الى جانب العديد من الأفكار التي لا تخلو من غموض أو ابتسار والتي تلتصق بالاسلام ، والتي يسهم فيها بعض الكتاب العرب أنفسهم الذين بهرتهم الحياة الغربية بمباهجها ومفاتها ، كما يسهم في ترسيخها البعض من العرب بسلوكهم وأعمالهم أثناء وجودهم في البلاد الأوروبية سواء للسياسة أو العلاج أو التعليم .

والاسلام هو الدين الوحيد الذي تعرض لهذا انجم الهائل من المؤامرات والطعنات والغزوات ، وذلك منذ غزو جحافل المغول والنتشار ومحاولتهم الاطاحة بالتراث والثقافة الاسلامية ، الى الحملات الصليبية ، الى عصر الانحطاط والجمود الفكري على أيدي العثمانيين في العصر الحديث ، وحتى بونابرت في القرن التاسع عشر ومن ورائه الاستعمار الفرنسي ، ثم الاستعمار البريطاني ، وأخيراً محاولات الاحتواء الغربية أو الشيوعية أو الصهيونية .

وفي حالة غياب مؤسسة اعلامية اسلامية تأخذ على عاتقها مواجهة هذه المخططات وتقوم بتنفيذ كافة المزامم ، وتصحيح الأخطاء والادعاءات التي تلتصق بالاسلام ، وترد على مختلف الأسئلة والاستفسارات التي تثار هنا وهناك ، فان الاسلام سوف يكون مجالا خصبالهذه الطوائف الحاقدة والكارهة والمعادية التي تسهم في تكوين الصورة الذهنية غير الصحيحة عن الاسلام لدى العالم .

Normal Daniel, The Arabs and Medieval Europe. Second (١٥)
ed., London and New York., Longman group Limited 1979.

وهكذا تلعب الحملات العدائية الموجهة للإسلام دورا نشطا للتشكيك في الدعوة الإسلامية ، من خلال خطط علمية منظمة توظف فيها تكنولوجيا الاتصال ووسائله التي دخلت كل بيت وأصبحت جزءا أساسيا من حياة الناس اليومية في مختلف المجتمعات نظرا لسعة انتشارها وقوة تأثيرها وعناصر الجذب التي تتمتع بها .

ويعمل العديد من القوى المضادة على استثمار هذه الوسائل بكافة الطرق الممكنة ، ومختلف الأساليب المباشرة بهدف احتوائها والسيطرة عليها وتوجيهها وتوظيفها بالشكل الذي يخدم أغراض هذه القوى .

والمجتمعات الغربية بصفة خاصة تضم العديد من الملك والنحل وأصحاب المذاهب والديانات المختلفة التي تسعى للسيطرة على الصحافة وأجهزة الاعلام الأخرى سواء عن طريق الاغراء بالمال ، أم الاعلانات ، أم الارهاب لكي تعمل وفق الأيديولوجيات التي تستهدفها ويتضح هذا بصورة واضحة في المجتمعات الليبرالية التي تسيطر فيها القوى الأغنى والأقوى ، وتلعب الحملات الدعائية الدولية المنظمة والموجهة للإسلام والمسلمين دورا كبيرا في الاساءة لهذا الدين من خلال تقديم صورة نمطية كريمة ، وتدبير المؤامرات ، ووضع الخطط الاعلامية الموسومة بالتواطؤ مع الجماعات المنشقة التي ترشح لواء هذا الدين في الوقت الذي تلعب فيه دورا كبيرا في الهجوم على الاسلام والمسلمين بتأييد من بعض الحكومات والمؤسسات الغربية ، ويسهم بعض المستشرقين في هذه الحملات الظالمة حين يتناولون الاسلام كظاهرة بشرية تخضع لما تخضع له الظواهر الانسانية من نواميس وقواعد .

وتكشف الدراسات العلمية عن مدى التحامل في دراسات وبحوث العديد من المستشرقين ، والتي تتضمن كثيرا من الهجوم والتهكم والسخرية على الاسلام والمسلمين ، ويقدمون ذلك بأسلوب بارع يكسب كتاباتهم مسحة من الموضوعية المزيغة في الوقت الذي يكيلون فيه الاتهامات للإسلام ، ويصفونه بأنه

أيديولوجية معارضة للسامية وأن المسلمين عاجزون عن قول الصديق أو رؤيته أو تقبله^(١٦) .

ووفي المقابل إذا لم يوجد جهاز إعلامي إسلامي قوى يعمل من خلال استراتيجية علمية منظمة ، ينسق الجهود ويوضح الخطط ويجري الدراسات على مختلف الشرائح الجماهيرية المستهدفة ، ويرد على الهجمات الشرسة التي توجه ضد الإسلام ودعوته ، والمؤتمرات التي تصاك دائما لاحداث الواقعية وبث الفرقة بين المسلمين واحداث البلبلة في صفوفهم ، فان صورة الاسلام Image قد تتحول الى صورة بغیضة وكريهة في نظر الجماهير غير المسلمة ، مما يؤثر على ادراكهم الصحيح لحقيقته هذا الدين ويزرع في عقولهم اتجاهات معادية ورافضة سلفا لأي محاولة تعمل على تصحيح هذه الصورة ، وقد يحدث ذلك أثرا عميقا ويترك انعكاسات سيئة على الأجيال التالية التي ترتبط بالأجيال التي سبقتها من خلال الجماعات الأولية التي تنتمي اليها .

ولعل هذا يبرز الدور الهام الذي تتحمله منابر الدعوة ومراكز الاعلام الاسلامي في الخارج ، كما يحمل المسلمين حكومات ومؤسسات وأفرادا مسئولية دعم هذه المنابر بالامكانات المادية اللازمة والطاقات المدربة والمؤهلة لأداء هذا الدور والقادرة على مخاطبة هذا العالم المتقدم والعمل على استمالة هذه الشرائح المثقفة والذكية من الجماهير ، كذلك مواجهة الخطط المضادة والمدمرة بالامكانات الكبيرة للنيل من الاسلام والمسلمين .

(١٦) اخذ أبو زيد : الاستشراق والمستشرقون - الكويت . عالم الفكر .

سادسا - جمع شمل الأقليات المسلمة في الخارج وتكليفهم بمهمة الدعوة

يبلغ عدد المسلمين اليوم (المليار) نسمة ، يعيش أكثر من ربع هذا العدد على شكل أقليات داخل دول أخرى كبيرة وصغيرة ، وربما عاش هؤلاء في ظل نظم تبعضهم وتود لهم العنت والدمار • وجدير بوسائل الاعلام الاسلامى أن تقترب من هؤلاء الأخوة وتخالطهم وتتعرف على آلامهم ومشكلاتهم ، وتلك فريضة تنبع من تضامن المسلمين ، ومن الجامعة الكبرى التي تشد أطرافهم في كل المقارات حتى يمكن اشعار هؤلاء أنهم موصولون بأمتهم الكبرى عن طريق أركان دائمة لهم في مختلف الاذاعات ، وشتى الصحف والمجلات ، لأنهم ان شعروا بالقطيعة والوحشة استسلموا لما يراد بهم وذابوا في أديان ومذاهب أخرى وهذه طامة كبرى^(١٧) •

أى أنه من الأهمية بمكان رعاية الأقليات المسلمة في الخارج وتحسينها ضد موجات الاحقاد والانحراف وتحذيرها من مغبة الوقوع فريسة لما يدور حولها من ضغوط واغراءات •

لا سيما أن المسلم بطبعه يعتز بدينه ويرتبط به ارتباطا قويا يشكل جاززا منيعا يشده دائما الى عقيدته وبياهى بها على الرغم من مظاهر الانبهار بالحضارات المعاصرة سواء في الشرق أم في الغرب ، وعلى الرغم من الواقع الاسلامى الأليم الذى تحياه المجتمعات الاسلامية •

وفي هذا يرى جون أوبرت John Obert أنه على الرغم من أن كثيرا من المسلمين يحاولون التكيف مع المجتمعات الجديدة التي وفدوا أو وفد أبائهم اليها ، والتي يعيشون فيها ويحاولون محاكاتها إلا أن هناك احساسا متناميا لدى هؤلاء بالانتماء ، وشعورا خاصا بالكبرياء والتشبث بالتراث الاسلامى ، كما أن لديهم الاستعداد والرغبة للمشاركة في مظاهر الحياة الاسلامية بصورة علنية وظاهرة •

(١٧) محمد الغزالي : المرجع السابق . ١٩٨٠ . ص ١٨٦ .

ذلك أن الاسلام ترك آثارا عميقة وبالغة الأهمية في حياة المسلمين في الخارج ، فلا تزال رابطتهم بهذا الدين رابطة قوية مما يعطيهم دافعا قويا للاعتزاز بهذا الدين ، ويمنحهم الهاما خاصا ويزرع فيهم روح المقاومة والرفض لأي مساس به ، أو تطاول على عقيدتهم •

وهذه ظاهرة تلفت انتباه الجماعات الحاكمة والمسيطرة وتدفعها الى مراعاة المشاعر الاسلامية بل ورعايتها (١٨) •

وقد أصبح المسلمون في دول الغرب المتقدمة يمثلون قوة بشرية لها وزنها ، وحصل كثير منهم على جنسيات هذه الدول ، هذا غير الأعداد الكبيرة من المسلمين الذين يترددون على هذه الدول سواء للعلاج أم التعليم أم السياحة أم اللجوء السياسي ، وهؤلاء في حاجة الى من يجمع شتاتهم ويوحد بينهم ، ويقدم لهم الزاد الروحي والديني والتسهيلات اللازمة ، ويحل مشاكلهم وقضاياهم لدى السلطات أو الهيئات الحاكمة في هذه البلاد •

ذلك أن هؤلاء يواجهون مشاكل نوعية قد لا يكون لها نظير في المجتمعات الاسلامية ، فهي أمور تخص طبيعة هذه المجتمعات والأنظمة السائدة فيها ، وقد يصعب القياس عليها ، وبالتالي فإن هذه المشاكل تحتاج الى نوعية خاصة من الرجال لهم عمق في الفكر الاسلامي ، ولهم باع كبير في مجال الفتوى والتشريع ، ولهم عقلية ديناميكية ومقدرة خاصة على التعامل مع المتغيرات التي تفرض نفسها في هذه البيئة الخاصة ، فالذين تزوجوا بلا عقود ، والذين أنجبوا بلا زواج ، والذين أسلموا بلا اعلان ، والمضطرون الى أكل لحوم لم يذكر عليها اسم الله ، أو لم تذبح بالطريقة الشرعية ، والعاملون في جهات يحرم الاسلام نشاطها ، والمضطرون الى الاتجار في المحرمات ، وغيرهم الكثير ممن تواجههم مشاكل صعبة تبحث عن اجابة شافية •

وهؤلاء الذين يستهدفون تعليم أبنائهم العربية والاسلام بعد أن كانوا يفقدون هويتهم وبعد أن انساحوا في هذه الكيانات ففقدوا اللغة

John Obert Vall. Islam Continuity and change in the modern world, Boulder, Clorado, U. S. A. Westview, Inc. (١٨)

ونسوا الدين وذابوا في المجتمعات الغربية بكل ما تحمل من مفاهيم وقيم وعادات وتقاليد قد لا يرضى عنها الاسلام وترفضها شريعته .

وقد أدى ذلك كله الى ظهور رغبة شوية لدى التجمعات والأقليات المسلمة لاقامة كيانات خاصة بهم لمواجهة خطر التذويب في هذه المجتمعات حتى لا تتداخل حياتهم وتتفاعل مع ثقافة هذه المجتمعات ونظمها الاجتماعية .

فالثقافة ونمط الحياة في هذه المجتمعات تلعبان دورا كبيرا في سلوك أعضائها كما ينضبط الأفراد عن طريق نظام الأسرة والدين والحكومة والاقتصاد والتعليم بها وأيضا عن طريق الجماعات التي ينتمون اليها ابتداء من جماعة اللعب والجماعة الترفيهية الى التنظيم الاجتماعي الذي يؤثر في نشاطهم ويتحكم في دوافعهم وفي كيفية اشباعها ، ويقوم بتشكيل الاستجابات الانفعالية لهم فضلا عن تحكمها في عواطفهم ومشاعرهم (١٩) .

من أجل هذا شرعت الجماعات الاسلامية في الحفاظ على هويتها ووضع تصوراتها موضع التنفيذ الفعلي وذلك من خلال اقامة المساجد أو المراكز الاسلامية لاقامة الصلوات وممارسة الشعائر الدينية ، على الرغم من أن بعض هذه الأقليات تمارس نشاطها على استحياء وبشكل محدود وبعضها الآخر يؤدي دوره جهارا نهارا وبصورة علنية .

وهذه التجمعات والمراكز المبعثرة في مختلف المناطق بالدولة الواحدة مثل بريطانيا أو الولايات المتحدة يمكن أن تؤدي دورا فعالا في حقل الدعوة الاسلامية ، وذلك في المواقع الموجودة بها اذا تم التنسيق بينها والتنظيم لعملها وفق خطة اعلامية موحدة تستثمر كافة الامكانيات المتاحة ، وتؤدي نشاطها وفق أسس علمية وموضوعية ، كما يمكن لهذه المراكز أن تؤدي مهام نوعية وتتخصص في فروع مختلفة فهذا مركز للدراسات والأبحاث ، ذلك للاندوات والمؤتمرات ، وآخر للفتاوى والقوانين وغيره للمهام التعليمية والثقافية

(١٩) سامية جابر : القانون والضوابط الاجتماعية ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٣ . ص ٦٢ ، ١٠٦ .

إضافة إلى المهام الأساسية التي تشترك فيها كل المراكز كأداء العبادات وإقامة الشعائر ، ومن خلال الخبرة والتجربة يستطيع كل مركز أن يتخصص في مخاطبة شريحة معينة من الشرائح الجماهيرية ، فهذا أقدر على مخاطبة طوائف المثقفين وذاك قادر على التأثير في المجتمعات الصناعية وغيره يخاطب عمال الزراعة والبسطاء من الناس وهكذا •

وهذه الخطوة لا يمكن تنفيذها إلا من خلال جهاز واحد يجمع شتات هذه المراكز ويوحد بينها ويحدد الأدوار المختلفة لكل واحد من هذه المراكز ويذيب الخلافات المذهبية أو العرقية أو السياسية بين العاملين فيها من خلال استراتيجية إعلامية موحدة تقوم على أساس علمي وتستند إلى حقائق موضوعية لتحقيق الأهداف المشتركة بدلاً من الكيانات الهشة ، وبدلاً من التشتت والتباعد والتفرق ، فيأخذ هذا الجهاز على عاتقه دعم هذه المراكز الصغيرة ، وتقويتها ، وامتدادها بالزاد الفكري والثقافي ، والدعم المادي والدفاع عنها ، وتبني قضاياها ومشروعاتها ، وترسيخ وجودها وكيانها ، وتصحيح الصور لديها ، ويقوم بتنمية المفاهيم الإسلامية الصحيحة بين أعضائها والمترددin عليها •

ومن المهام الرئيسية التي يجب أن تأخذها مؤسسات الدعوة الإسلامية على عاتقها في الخارج تحويل هذه الأقليات المسلمة إلى جماعات ضاغطة ، في صورة تنظيمات تضم المسلمين جميعاً في مجتمع متميز يلتف حول أهداف ومصالح معينة ، ويدافع عنها ويحل مشاكلها •

وتتضمن المجتمعات الغربية بصفة خاصة مثل هذه الجماعات الضاغطة ، وقد سميت بهذا الاسم نظراً للتأثير الذي تلعبه أو الضغط الذي تمارسه على الرأي العام وعلى السياسة العامة •• وبعض هذه الجماعات تمارس الضغط بصورة مستمرة ، ومكثفة بينما يمارس البعض الآخر منها هذا الضغط بشكل متقطع أو حسب ظروف معينة طارئة •

وللجماعات الضاغطة دور لا يمكن إنكاره في التأثير على اتجاهات الرأي

العام ، وتوجيهه وجهة معينة تحقق مصالحها ، والحصول على المزايا الواضحة لأعضائها في مواجهة الجماعات الأخرى التى يمكن أن تتهدد هذه المصالح .

ويعتمد نمو هذه الجماعات على النظام السياسى والدستورى فى كل بلد ، كما أن تأثيرها يحكم مصادرها المالية وعدد أعضائها وصلتها بالجهات الحكومية وغير ذلك من العوامل المادية وتؤدى الجماعات الضاغطة وظائف عديدة منها الدفاع عن المصالح الذاتية للجماعة ، والتهديد باتخاذ إجراءات معينة ، ومواجهة الجماعات الأخرى المعادية (٢) .

وتستخدم جماعات الضغط أساليب فنية فى الاستمالة والتأثير . ومن المهام الأساسية المنوطة بالمراكز الاسلامية فى الخارج هو ايجاد جماعة ضغط اسلامية قوية تمكن من خلق رأى عام مسلم يعزى الفكر والتراث الاسلامى ، ويقوم بوظيفة الحارس على الأخلاق الاسلامية ، ويؤيد الهيئات والمنشآت الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى تدعم العمل الاسلامى وترعاه ، ويكشف الحقائق ، ويميط اللثام عن كل هيئة أو منشأة تحارب الاسلام والمسلمين وتشوه صورتهم ، كما يجب أن تعمل هذه الأقليات الاسلامية الضاغطة على رفع الروح المعنوية للجماهير المسلمة وملئها نشاطاً وحيوية من خلال التعاطف والمودة والاتفاق على الأهداف ، والثقة فيما بينها .

وإذا نجحت المؤسسات الاسلامية فى تحقيق ذلك فإنها بذلك ستعطى الجماعات الضاغطة المسلمة قوة ومنعة تمكنها من التعامل مع مختلف قطاعات الرأى العام والحكومات والمؤسسات وأجهزة الاعلام فى الدول التى توجد فيها وذلك من منطلق قوة وليس من ضعف وتفكك .

(٢) أحمد بدر : الرأى العام — طبيعته وتكوينه وقياسه ودوره فى السياسة العامة . القاهرة . مكتبة غريب . ١٩٧٧ . ص ٢٠٠ .

سابعاً - التوجه الى شعوب الدنيا عبر العالم المتقدم

أصبحت الدول الغربية الليبرالية تشكل عنصر جذب كبيراً لشعوب العالم المختلفة ، وكذلك الجماهير القادرة في العالم الثالث الذين يتوجهون الى هذه الدول لقضاء مصالحهم وأداء حساباتهم في هذه الدول التي أحرزت تقدماً كبيراً في مختلف الميادين والتي تفسح المجال لكل من يلجأ اليها لتحقيق ما يصعب عليه تحقيقه في بلده .

فالسائح يفقدون بأعداد كبيرة لا سيما في شهور الصيف لقضاء الوقت والاستمتاع بما حققته هذه الدول ، وما حفظته من مقتنيات جلبتها من مختلف دول العالم ، ومئات الألوف يتوجهون اليها للعلاج والاستشفاء على يد نخبة متميزة من الأطباء الذين اشتهروا بعلاج الحالات الصعبة والأمراض المستعصية ، إضافة الى توفير سبل الراحة والأمان للمرضى من خلال الامكانيات المتوافرة لديهم من خدمات طبية وتمريض راق تفتقده هذه الجماهير في أوطانها .

وجامعات الدول الغربية تموج بآلاف من الطلبة والباحثين الذين جاءوا من كل فج ليتزودوا من فروع العلم ومصادر المعرفة المختلفة بدءاً بتعليم لغات هذه الأمم التي نجحت في نشر لغاتها وتعميمها ، حتى غدت لغات العلم والسياسة والحضارة على الصعيد العالمي ، وتعلم فروع الطب والهندسة والفلك ، وكذلك العلوم الاجتماعية والانسانية ، حتى الأدب والآداب المقارنة .

كما أن هذه الدول تضم العديد من المنظمات الدولية والاقليمية التي تضم أعداداً كبيرة من العاملين في هذه المنظمات والهيئات والاتحادات الدولية كمنظمة الكومنولث ، ومنظمات السوق الأوروبية المشتركة ، هذا الى جانب انتعاش الحركة التجارية وأسواق المال والاقتصاد ، والبنوك التي تزخر بالأموال التي يجد أصحابها اماناً لأموالهم في هذه البنوك وتوظيفاً لها في شركات الاستثمار الغربية .

ومن خلال هذا الوجود الدولى يمكن بذل الجهود المثمرة لتكوين رأى عام على متفهم لدعوة الاسلام ومؤيد لها وذلك اذا تم اعداد خطة علمية تنشط فيها العناصر القادرة والمخلصة من رجال الاعلام والدعوة ، وتستثمر فيها كافة وسائل الاتصال الممكنة لتعريف جماهير العالم بهذا الدين ، وامدادهم بالحقائق اللازمة عنه سواء بطريق مباشر أم غير مباشر ، من خلال استراتيجيات اعلامية تأخذ في اعتبارها كافة المتغيرات المطروحة على الساحة الدولية ، وتمارس نشاطها بذكاء وفاعلية .

لعل هؤلاء أو بعضهم يجدون في الاسلام حلا لقضاياهم ومتنفسا لهمومهم ، وردا على تساؤلاتهم ، واطارا أفضل لحياتهم ، وطريق لفهم كثير من الأمور الغامضة والظالم الكونية التى لم يستطيعوا معرفة ما وراءها من أسرار ، وانقاذ لهم من حياة أقل ما يقال فيها انها فى النهاية ستقذف بهم فى الهاوية وتتخلى عليهم ، ثم تفتنى هى فى نهاية المطاف .

وتشير الدلائل والاحصاءات الى وجود اتجاه قوى نحو اعتناق الاسلام فى العالم الغربى ، ويرجع ذلك فى حقيقة الأمر الى القوة الذاتية لهذا الدين الذى يستميل كل من يتبصر فى كنه هذه الرسالة البسيطة والواضحة والمقنعة ، ولا شك أن القوى الاقتصادية والسياسية الجديدة فى العالم الاسلامى يمكن أن تشكل رصيда هائلا لخطط الدعوة الاسلامية فى نشاطها ودعمها لجهودها فى مواجهة الدعاية المضادة لارساء دعائم الحق ومواجهة الباطل بكافة صوره تحقيقا لقول الله تعالى :

« كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فاما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » (٢١) .

وما دامت أجهزة الاتصال الجماهيرى فى العالم الاسلامى قاصرة عن الوصول الى هذه الجماهير والتعامل معها وتعريفها بمبادئ الاسلام وتصحيح الصورة المشوهة التى تعرضها الحملات المضادة والمعادية لهذه الرسالة ،

(٢١) سورة الرعد : آية (١٧) .

فلا بد من إقامة جسور مع هذه الجماهير ، من خلال قنوات الاتصال المختلفة لكي تعبر من خلالها رسالة الاسلام دون زيادة أو نقصان . وهنا تأتي أهمية إقامة منابر للدعوة الإسلامية في هذه المجتمعات تأخذ على عاتقها وضع الخطط وإجراء الدراسات ، وتوظيف الوسائل والأدوات المناسبة بعند الفهم الصحيح لطبيعة الجماهير ، حتى يمكن التعامل معها وفق مقتضيات الأحوال ، للاضطلاع بمهمة الدعوة في هذه الساحة المهمة لأداء هذا الدور ، واستثمار الفرص السائحة في هذه المجتمعات لنشاط الدعوة والدعاة .

ثامناً - زيادة مصالح واحتياج دول العالم العربى للعالمين العربى والاسلامى

اذا كانت الدول الغربية تتعامل مع دول العالم الاسلامى فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وأوائل القرن العشرين من منطلق السيطرة والتحكم والاحتلال ، وكانت تعتبرها بقرة حلبا تمددها بالمواد الأولية ، ومصادر التمويل الأساسية لصانعيها ومزارعيها ومشروعاتها المختلفة ، وكانت تستعين حتى - بالطاقات البشرية فى هذه الدول لدفع عجلة النشاط فى مختلف شئون حياتها فجلبوا منها العمالة اليدوية والفنية ، ووظفوا الجنود فيها لحمل السلاح وخوض الحروب نيابة عنها .

فان هذه الدول أصبحت - بعد انحسار موجة الاستعمار والسيطرة - فى ميس الحاجة للدول العربية والعالم الاسلامى بعد الاكتشافات البترولية لتزويدها بالطاقة وبكثير من المواد الأولية الأخرى ، كما تقوم كثير من الدول الاسلامية بدعم اقتصاد هذه الدول من خلال ايداع الأموال الطائلة فى بنوكها ، واقامة المشروعات الاستثمارية المختلفة بها ، وايفاد رعاياها الى هذه الدول للانفاق السياحى أو التعليمى أو العلاجى أو غيره .

ويأتى ذلك نتيجة للتطورات الهائلة التى حدثت فى كثير من دول العالم العربى وغربت موازين القوى الدولية مثل بريطانية - على سبيل المثال - التى تحولت من قوة عظمى تحتل مكانة مميزة بين دول العالم ، ومن امبراطورية لا تغيب عنها الشمس الى دولة عادية تعيش تحت الشمس . وقوة من الدرجة الثانية شأن العديد من القوى العالمية الأخرى ، ونجم عن ذلك اعتمادها المتنامى على القوى الأخرى فى العالم (٢٢) .

وأصبحت هذه الدول ترتبط بمصالح مشتركة مع دول العالم الاسلامى ، وهى - بلا شك - حريصة أشد الحرص على مصالحها ، وتأسيساً على ذلك فيمكن

للدول العربية والاسلامية أن تشكل قوة ضاغطة ومؤثرة في السياسة الغربية ، وقوة يحسب حسابها وبالتالي فيمكنها العمل على ايجاد مناخ صحى للمسلمين في المهجر يمارسون فيه شعائرهم الدينية ويقيمون المؤسسات التى تربطهم وتجمع شملهم ، وتضع الخطط الاعلامية لتعريف الناس بالاسلام وتقديم الصورة الصحيحة عن هذا الدين الى شعوب العالم العربى التى تحرص الأنظمة بها على علاقاتها الطيبة مع الدول الاسلامية من خلال الحفاظ على مشاعر المسلمين في هذه الدول وتوفير الأمن والحرية لهم لممارسة شعائرهم والدعوة الى عقيدتهم *

ولعل أبرز مثال على قوة الدول الاسلامية في مواجهة المصالح الغربية ما كتبه جريدة الأنترناشيونال هيرالد تريبيون في تعليق لها على الحظر البترولى الذى فرض بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ على الدول المؤيدة لاسرائيل وشبهت بقوة الطاقة البترولية العربية بقوة القنبلة النووية في النصف الثانى من القرن العشرين ، وبقوة الأسطول البريطانى في تلك الفترة *

وأشار المسئولون الأمريكيون الى ان الحرب البترولية ليست أقل خطرا ولا أضعف تأثيرا من الحرب النووية *

وحيث ان استعمال الطاقة البترولية هو الآن الأوسع واستعمال الطاقة النووية هو الأضيق فان مفعول الخطر البترولى هو الآن أكثر فاعلية * وبالتالي فان حظر البترول يؤدي الى شل كل مظاهر الحياة في المجتمع العصرى *

ولعل هذا يؤكد حاجة دول الغرب الصناعية الى البترول العربى في العقد الحالى ، وهكذا يحول الوضع العربى من حالة العجز الى حالة القدرة ويرتقى بالدبلوماسية العربية من موقع الضعف الى موقع القوة ، وليس بغريب في السياسة الدولية أن يستخدم العرب قوة وضعهم المالى والبترولى للدفاع عن مصالحهم الوطنية والقومية لتحقيق أهدافهم الخارجية الدولية المشروعة (٢٣) *

(٢٣) محمد على العوينى : العلاقات الدولية المعاصرة . القاهرة . مكتبة الأنجلو المصرية . ١٩٨٢ . ص ١٦٥ .

ويصبح من الأهمية بمكان استثمار هذا المناخ الملائم لانتقام مؤسسات
للدعوة والاعلام عن الاسلام مدعومة معنويا وماديا بالقوى الاسلامية
المعاصرة وبامكانيات الدول الاسلامية ، أى أن نشاط الدعوة والاعلام عن
الاسلام في هذه الدول لن يتم من خلال الاستجداء أو الرجاء من موقف ضعيف ،
ولكن التحريك من موقف قوة ، ولكن بشرط أن تتفق الدول الاسلامية على ذلك
وتتخذ قراراتها في مواجهة هذه القوى مستثمرة حاجاتها ومصالحها في
ديار الاسلام *

تاسعا — الظروف التي تحكم المتغيرات الجديدة على الساحة الاسلامية

تموج الساحة الاسلامية بالتيارات المثيرة ، والأحداث الجسام ، والحروب الاقليمية ، والأعمال الهائلة التي تشد اليها العالم شدا ، وغدا الاسلام والمسلمون هم أبطال هذه الأدوار التي تدور في هذا العالم .

فالحرب العراقية الايرانية ، والخلافات بين الهند وباكستان ، والحرب الأفغانية السوفيتية ، والانقلابات التي تدور في تونس واليمن والسودان ونيجييريا وغيرها .

والصراع العربي الاسرائيلي الذي دام ما يربو على الأربعين عاما ولا تبدو له نهاية قريبة وما ترتب عليه من حروب اقليمية وصراعات دولية ونزاعات مذهبية ، ثم أحداث الانتفاضة الفلسطينية التي أثارت الرأي العام العالمي الى ما يدور داخل اسرائيل نفسها .

هذه الأحداث وغيرها وما ترتب عليها من سلبيات وإيجابيات لا تقتصر انعكاساتها وردود الفعل بشأنها داخل العالم الاسلامي ، ولكنها تترك صداها في كل أنحاء العالم ولا سيما دول العالم العربي التي تتأثر بشكل مباشر بكل هذه الأحداث التي تشد انتباه العالم وتلفت نظره اليها فنتور لديه العديد من التساؤلات التي تحمل في طياتها أبعادا دينية تتطلب تفسيرا لها لأن الدين يأتي على رأس العوامل التي تشكل اتجاهات الجماهير المسلمة وتحركها لاتخاذ المواقف المختلفة نحو متغيرات الحياة التي تواجهها .

وهذه الظواهر والأحداث لن تجد التفسير الديني الصحيح لها الا من خلال استراتيجية اعلامية تأخذ على عاتقها الرد على كل التساؤلات التي تتور ، وتعملو فوق كافة الخلافات التي تحدث ، وتقدم الصورة

الصادقة للإسلام من خلال رؤية صحيحة لما يدور سلبا أو ايجابا ، ورأى الدين في ذلك حتى لا تترك الساحة للتفسيرات المعادية التي تربط سلبيات الأحداث الدولية بالإسلام نفسه ، وتعتبره مسئولا عنها •

ولكى تتم المحافظة على الأصول والقيم الاسلامية فانه يجب وضع خطة اعلامية ذكية وواعية تصد الهجمات التي توجه للإسلام ، وتقوم بتوضيح الصورة ووضع النقاط على الحروف حول ما يدور من أحداث في العالم المعاصر من خلال التقييم الموضوعي والرؤية النقدية السليمة لما يجرى في العالم المعاصر من أحداث ، وإبراز جوانب النقص ونواحي القصور في هذه الأحداث ، وفي ضوء هذا يجب أن تتصدى الصفوة المثقفة من المسلمين لمواجهة التحديات الهائلة التي تواجه الإسلام في العالم الغربي وذلك في مختلف المجالات ، وفي كل الجبهات ، وأن تتخلص هذه الصفوة من الشعور بالدونية السيكولوجية أو الثقافية ، ويجب أن تقوم دعوتها على الحقيقة والمنطق فهما أقوى ، وتأثيرهما أبعد من هذا الشعور وذاك القصور بهدف تحقيق النتائج والوصول الى الأمانى •

ولعل وجود مؤسسات للدعوة والاعلام تستعين بهذه الصفوة وتستفيد من كافة المتغيرات الدولية وتستثمر الأحداث المطلوبة وتحقق هذه الآمال يعد مطلباً اسلامياً على درجة كبيرة من الأهمية •

عاشرا - ضرب المثل وتقديم القدوة ، وتصحيح الأخطاء التى تصدر عن بعض المسلمين فى الخارج

من طبائع الأمور أن يظهر لكل دين أو مذهب جماعة تابعة له ولكن قد لا يلتزم أعضاء هذه الجماعة كلهم بكل ما جاءت به هذه الأديان والمذاهب فقد تنتشر الرذيلة لدى بعضهم أو أكثرهم وقد تدفعهم مباحج الحياة ولا سيما فى المجتمعات الغربية لارتكاب المعاصى والمخالفات ، ولا تحسب هذه المعاصى وتلك المخالفات على أصحابها ولكنها تحسب على هذا الدين أو المذهب الذى تتبعه ، وتسببهم تصرفات هذا البعض فى تكوين صورة ذهنية مشوهة عن الفكر الذى تمثله ، وذلك وفقاً لنظرية الأنماط الجامدة حيث يتم الربط بين سلوك الشخص وما يمثله من دين أو فكر ، وينطبق هذا على بعض المسلمين فى الدول الغربية حيث الغواية وعناصر الجذب والمغريات القوية التى تشدهم إليها شدا ، وحيث الحرية فى ممارسة الرذيلة وارتكاب المعصية دون ضوابط تحكمها عادات أو قيم فينعكس ذلك ليس عليهم وحدهم ولكن على الاسلام والمسلمين جميعا .

وتنتهز القوى المعادية للاسلام والمسلمين هذا الخلل فى سلوك البعض من المسلمين وتستثمر هذه الأخطاء الفردية والتصرفات غير المسئولة لاصاق التهم بهذا الدين واعتبار أن ما يصدر عن هذه القلة من الأفراد ان هو الا جزء من كيان هذا الدين تنص عليها آيات القرآن وسنة الرسول ويحث عليها أئمتهم وقادتهم .

والتاريخ الاسلامى يشهد بعض الأحداث والتصرفات عير المسئولة لبعض زعماء المسلمين أو حكامهم وأفرادهم التى استغلتها القوى المعادية وأجهزة الاعلام الحاقدة والمأجورة التى تستهدف الاساءة للاسلام والمسلمين وذلك منذ فجر التاريخ الاسلامى لا سيما بعد عصر الخلافة الراشدة - فقد ظهر بعض الأفراد الذين انحرفوا بالاسلام ، وبعض القادة الذين اغتصبوا الحكم وأرسوا دعائم الظلم بدلا من ترسيخ العدالة ، فقادوا

المجتمع المسلم الى المعصية والخطيئة ومن هؤلاء من يستند الى آيات قرآنية يفسرها على هواه ، ويأتى بأحاديث نبوية يبنى عليها أحكاما تخدم أهدافه .

وهنا يصبح من الأهمية بمكان وجود جهاز اتصال يتعقب هذه الحملات ويوضح المواقف الأصلية للدين الاسلامى نحو هذه التصرفات غير المسئولة التى تصدر عن البعض فلا يتحمل مغبتها الا أصحابها فقط . تأكيداً لما ورد فى قول الله تعالى :

« ولا تنزر وزر أخرى » (٢٦) .

« فما أرسلناك عليهم حفيزا ان عليك الا البلاغ » (٢٧) .

ليتضح للرأى العام العالمى أن وجود العصاة يعد من طبائع الأمور فى كل مذهب ودين أو نظام والأمثلة على ذلك كثيرة فطالما سقطت أقنعة عن قادة وزعماء وقساوسة وحاخامات وغيرهم كشفت التناقض الكبير بين ما يقوله هؤلاء وما يفعلونه ، وما حدث الأكبر مبشر مسيحي أمريكي وهو جيمى سواجارت الذى كان يحنثد لسماعه الملايين ويؤثر فيهم تأثيرا بالغاً ويلهب مشاعرهم لدرجة البكاء وكان يكسب الأموال الهائلة من وراء هذه المهنة ، هذا المبشر الأخلاقى الذى كان يعقد المناظرات الشهيرة فى مواجهة الداعية الاسلامى أحمد ديدات ، كشفت الأحداث مؤخراً أن له كثيراً من العلاقات النسائية مع الساقطات وبنات الهوى وهو فى نفس الوقت زوج وأب لأبناء وبنات ، مما أذهل الملايين الذين خدعهم وغرر بهم ولعب بعواطفهم ففقدوا يذرفون الدموع وهم يسمعون يتحدث عن الفضائل والتمسك بأحلاق الانجيل الذى كان لا يفارقه .

وتعد هذه الواقعة وغيرها من الوقائع مادة خصبة للدعاة ورجـال

(٢٦) سورة الأنعام : آية (١٦٤) .

(٢٧) سورة الشورى : آية (٤٨) .

الاعلام الاسلامى يردون بها على الاتهامات التى تكيلها المنظمات المغرضة وأجهزة الدعاية الغربية ضد الاسلام ، من خلال تصيد الأخطاء للمسلمين ليتأكد من خلالها أن التصرفات غير المسئولة لبعض عصاة المسلمين لا تعبر عن حقيقة هذا الدين ولا تعكس مبادئه ، وهناك على الساحة تستطيع مؤسسات الدعوة والمنابر الاسلامية تقديم القدوة الصحيحة للخلق الاسلامى واستثمار الأحداث والرد على الهجمات المادية ردودا منطقية وموضوعية بأسلوب علمى هادىء وفى نفس الوقت تقدم النصيحة لهؤلاء الذين يسيئون لدينهم وتوجههم وتضعهم على الطريق الصحيح ، لعلمهم يعودون الى ربهم ويلتزمون بتعاليم دينهم وبقويم جماعاتهم المرجعية الاسلامية •

حادى عشر - تزويد الرأى العام العالمى بالرؤية الاسلاميه للقضايا المعاصرة

يموج العالم المعاصر بالأحداث والقضايا المختلفة التى تفرض نفسها على الساحة الدولية والتى عجزت الأيديولوجيات المعاصرة عن ايجاد حلول لها مما دفع هذه الأيديولوجيات الى تغيير منهجها لكى تتسجم مع متطلبات العصر فالنظام الاقتصادى العربى يتجاذبه الفكر الرأسمالى تارة متمثلا فى الأحزاب والقوى اليمينية ، والفكر الاشتراكى تارة أخرى متمثلا فى الأحزاب الاشتراكية والخلاف بينهما قائم دون أن يتمكن أى مذهب من هذه المذاهب من الوصول الى وضع صيغة ملائمة لمعالجة قضايا العصر ، كما أن النظام الشيوعى نفسه بدأ يغير من منهجه الذى ظل محافظا عليه ومحتفظا به أكثر من خمسين عاما بعد فشله فى معالجة هذه القضايا *

ويتمثل ذلك فى (البروسترويك) أو اعادة البناء التى يقودها الزعيم السوفيتى ميخائيل جورباتشوف *

وينعكس هذا الخلاف بصورة أو بأخرى على دول العالم الثالث دون أن يصل أحد الى قاعدة فكرية ثابتة يرى فيها القدرة على معالجة القضايا والأحداث المعاصرة *

هذا فى الوقت الذى تقف فيه أجهزة الدعوة والاتصال الجماهيرى فى العالم الاسلامى عاجزة عن تقديم النموذج الاسلامى الصحيح لمعالجة هذه القضايا والأحداث بسبب ضعف هذه الأجهزة ، وعدم قدرتها على الانتشار والتأثير على الرأى العام العالمى فى مواجهة حملات الدعاية المضادة *

وهى مهمة دقيقة يصعب تحقيقها فى غيبة استراتيجية اعلامية ومؤسسات قوية للدعوة والاعلام تضطلع بمهمة توضيح المنظور الاسلامى الصحيح لمختلف القضايا والأحداث التى تفرض نفسها على الساحة الدولية ، ويرجع ذلك للاعتبارات الثلاثة الآتية :

١ - قصور أجهزة الاتصال الجماهيرى عن أداء هذا الدور الذى يتطلب
المواجهة وتبادل الرأى من خلال المناظرات والندوات والاتصال الشخصى المباشر
الذى يفسح المجال لعرض الحجج والبراهين ويتيح الفرصة للجدل العقلى
والنقاش المنطقى •

٢ - ضعف أجهزة الاتصال الجماهيرى فى الدول الاسلامية وعدم
قدرتها على مواجهة الحملات المضادة والتدفق الاعلامى الدولى الذى تحمله أجهزة
متقدمة تعمل وفق مخططات علمية دقيقة تعرف طريقها وتدرئ أهدافها ،
وتضع الأحداث ما وصل اليه العالم من تكنولوجيا متقدمة فى علم الاتصال •

٣ - الفقر والتخلف والأمية التى تسود العالم الاسلامى وتسيطر على
حياة المسلمين ، اذ كيف لعالم فقير متخلف أن يستميل عالما غنيا متعلما
ومسيطرا ويقنعه بفكره وعقيدته •

وهنا تأتى أهمية اعداد الخطط العلمية التى تطوع وسائل الاتصال المباشر
والمؤسسات الاعلامية المتقدمة لينطلق منها دعاة الاسلام غير عابئين
بما يسود دولهم من ضعف وفقر وأمية ، وغير مأخوذین بما يسود العالم
الغربى من قسوة وعلم وغنى •

فان هذا الغنى وتلك القسوة لن تحول دون تفهم شعوبهم للاسلام
واقتناعهم برسائله ، واعتناقهم لها ، فما أكثر الغزوات التى قادها مستعمرون
أغنياء أقوياء قهرؤا المسلمين واحتلوا أرضهم ، واستولوا على ممتلكاتهم ،
ولكنهم فى النهاية ، اعتنقوا الاسلام وحملوا رايته وأصبحوا من أكبر المدافعين
عنه بعد أن أدركوا حقيقة هذا الدين مثل المغول والتتار والعثمانيين وغيرهم ،
لأن هذا الدين بما يحويه من قوى روحية ومضمون مقنع يعبد أقوي
من الأفراد والحضارات ، والأمم ، ويعلو فوق الثروات المادية والتفوق
العلمى أو العسكرى أو البشرى •

وكيف تتاح الفرصة لشعوب العالم الخارجى للتعرف على حقائق الدين
الاسلامى وادراك المفاهيم والرؤى الاسلامية فى مختلف المجالات السياسية

والاقتصادية والاجتماعية دون جهاز قوى للاتصال مع الجماهير في هذه الدول ، لا سيما وأن شعوب العالم الغربي قد ربطت بين الدين بصفة عامة والأوضاع التي كانت تحكم أوروبا في العصور الوسطى التي ساد فيها الظلام والاستبداد والقهر حين كانت الشعوب الأوروبية تعاني من تسلط رجال الكنيسة وجبروتهم وسيطرتهم على جميع نواحي الحياة العامة والخاصة تحت ستار الدين حتى وصل بهم الأمر أن منحوا صكوك الغفران ووزعوا مساحات في الجنة للسذج من الناس والمخدوعين هناك ، وقاموا باحراق العلماء المخالفين لهم في الرأي وهم أحياء ، كما قاموا باحراق الكتب التي تخالف فكرهم وتمسك لهم وتبين تسلطهم *

وفي اطار دعوى العلمانية ، ومع قيام الثورة الصناعية في أوروبا وتراكم الثروات ، وفي غياب التأثير الروحي المنطقي نشأت الحضارة الغربية مزودة بحدود فعل عكسية ومعادية للأديان مصطبغة بصبغة مادية بحتة ، وأصبح لتلك الحضارة حين نشأت سمتان أساسيتان(٢٨) :

السمة الاولى :

عدم الاكثارات بالجانب الروحي وتعزيز الدعوة الى العلمانية بفصل الدين عن الدولة كرد فعل لتسلط الكنيسة *

السمة الثانية :

الاغراق في المادية الى الحد الذي أصبحت فيه عربة الحضارة الغربية معه هي التي تقود سائقها ، وليس العكس ، وتحولت الحياة الى غابة من الآلات والمعدات الثقيلة والخفيفة تاه فيها الانسان وتحول الى ترس في تلك العملية الضخمة لا يملك من أمره شيئاً وفقد قدرته ، وضاعت ارادته في السيطرة عليها *

(٢٨) محمود سفر : الاعلام موقف ، مؤسسة نهامة . جدة . ١٩٨٢ . ص ٤٤ .

وقد صاحب الاتصال البشرى فى المجتمعات الغربية ذلك الانبثاق المادى للحياة فى تلك المجتمعات ، فكتسبت مسيرة الاعلام خصائص هذه الحضارة ، واكتسبت ميزات فجاءت نظرة الاعلام الغربى وفلسفته ومنطلقاته نابعة منها ، وبرزت له مفاهيم تعنى بكل ما يثرى الجانب المادى للحياة بعيدا عن الروحانيات الا فى دقائق محسوبة تنقل خلالها بعض محطات التلفزيون صلاة القداس أيام الآحاد ، وبعض المناسبات الدينية الهامة •

ثانى عشر - تعريف العالم بموقف الاسلام من المسيحية وغيرها من الديانات الأخرى

تدين الغالبية العظمى من شعوب العالم الغربى بالديانة المسيحية ، وترى الجماهير فى هذه المجتمعات - بفعل حملات الدعاية المضادة - أن الاسلام يخالف المسيحية ولا يتفق معها فى شىء ، كما أنه ليس ديناً سماوياً ويشتمل على الكثير من التناقضات والمفارقات التى لا تتفق مع العقل والمنطق ومع طبائع الأمور .

وهنا يصبح وجود منابر ومؤسسات اتصال اسلامية فى هذه المجتمعات مسألة حيوية للرد على هذه الحملات ودحضها وتوضيح الموقف الصحيح للاسلام من المسيحية باعتباره مكملًا لها معترفًا بحقائقها مقدراً لنبيها .

وقد نص القرآن الكريم على أن عقيدة المسيح هى التوحيد الكامل ، كما كرم الله عيسى وسائر الأنبياء فى القرآن الكريم باعتبارهم أصحاب عقيدة واحدة وحملة رسالة الخير الى البشرية جمعاء .
وفى ذلك يقول الله تعالى :

« واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ، قال سبحانه ، ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ، ولا أعلم ما فى نفسك ، أنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم » (٢٩) .

وقد نزل الانجيل على المسيح وهو مصدق للتوراة ، يحىي شريعته ويؤيد الصحيح من أحكامها ، وهو مبشر برسول يأتى من بعده اسمه أحمد ، وهو مشتمل على هدى ونور وموعظة للمتقين ، وبالتالي فإن لأهل الانجيل أن يحكموا بما أنزل فيها ، وفى هذا يقول الله عز وجل :

(٢٩) سورة المائدة : آية (١١٦ ، ١١٧) .

« وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » (٣٠) *

ويعطى القرآن الكريم لعيسى ابن مريم حقه ويصح صورته ويضعه في المكانة التي أرادها الله له وفي ذلك يقول :

« اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين » (٣١) *

« انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد ، له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلًا » (٣٢) *

« ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمتنون ، ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون » (٣٣) *

ولقد صرح كثير من العلماء بأن المسيح لم يكن الا رسولا ، وأنه لم يكن أكثر من بشر ، وقد قبسوا ذلك من الأنجيل نفسها ، فهذا رينان قد جهر بذلك في قوة وجراة ، ولم يمنعه حرمان الكنيسة له من الاصرار على رأيه والذود عنه ، وهذا تولستوى ينكر على المسيحيين ألوهية المسيح ، وتنتهي نتائج بحثه الى أن بولس لم يفهم تعاليم المسيح ، وطمسها ، والكنيسة زادت تعاليم المسيح بالنسبة للاعتقاد غموضا واخفاء (٣٤) *

(٣٠) سورة المائدة : آية (٤٧) .

(٣١) سورة آل عمران : آية (٤٥) .

(٣٢) سورة النساء : آية (١٧١) .

(٣٣) سورة مريم : آية (٣٤ ، ٣٥) .

(٣٤) محمد أبو زهرة : النصرانية . ط ٣ . القاهرة . دار الفكر العربي .

١٩٦٦ . ص ٢٢٥ .

ومن هؤلاء من ينكرون ألوهية المسيح ، وينكرون ألوهية روح القدس ،
ويؤمنون بأن الله واحد أحد فرد صمد ، ويرفضون ما يقال من أن كتب
النصارى كتبت بالهام ، ويعلنون في جرأة أنها حرفت واعتراها التغيرات والتبديل ،
وهؤلاء يعتقدون بأنه دخل التحريف والتشويه على كتب الديانة النصرانية ،
وهم يعتقدون أن محمدا خاتم الأنبياء ، وأنه قد أوضح في القرآن تعاليم
موسى وعيسى الحقيقية ، كما قالها دون زيادة أو نقصان ، وأن كل مسلم أمامه
القرآن يقرؤه ، ويتمسك به ويسير بموجب أحكامه ، ولا يعترف بغيره من
الكتب (٣٥) .

ولقد ظهر مسيحيون يدعون الى التوحيد ، وبدأ بريق الاسلام يلمع
بين السطور التي دونوها والأقوال التي نشروها .

ويصرح هؤلاء بأنهم لا يستطيعون أن يتصوروا المسيح الا رجلا عظيما ،
ورسولا من عند الله .

وشيوع هذا على السنة أولئك المثقفين يؤدي الى اصلاح كامل للعقيدة
والفكر ويأتي ذلك توكيدا لقول الله تعالى في القرآن الكريم :

« لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف
من عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا » (٣٦) .

« لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ، قل فمن يملك
من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا والله
ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير » (٣٧) .

(٣٥) المرجع السابق : ص ٢٢٦ .

(٣٦) سورة النساء : آية (١٧٢) .

(٣٧) سورة المائدة : آية (١٧) .

« ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة
كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر انى يؤفكون » (٣٨) .

وهنا يصبح من غير المقبول تشدد بعض العلماء تعصبا للإسلام ، بدعوى أن الاسلام وحده هو الذى اشتمل على الدين والدنيا وما عداه من الأديان لا تشتمل الا على الناحية العقيدية فقط ، وأنها مجرد علاقة خاصة بين العبد وربّه . * والحقيقة أن الدين واحد في الأولين والآخرين ، والعقل لا يقبل أبدا منطق هذا التفريق بين الاسلام وما قبله من الأديان السابقة الصحيحة ، لأنها تفرقة لا معنى لها فحاجة الانسان الى ما يصلح دينه ودنياه هى في كل وقت وفي أى زمان ، والضرورة التى حتمت اشتمال الاسلام على الدين والدنيا معا جاءت لعجز الانسان عن أن يشرع لنفسه ما يصلحه ، هى بنفسها نفس حاجة أصحاب الأديان السابقة بل أنهم كانوا أكثر حاجة من أصحاب الدين الخاتم ومع ذلك فالعقل يحتم ضرورة اشتمال أى دين على الناحيتين (٣٩) . *

وحين نقارن بين الرسائل السماوية الكبرى نجد أن الأساس الذى قامت عليه هذه الديانات واحد ، وأن الأصل واحد . * وقد جاء في القرآن ما يدل على ارتباط هذه الأديان بعضها ببعض ، كما جاء فيه أيضا ما يدل على وجود تشريعات دينية ودنيوية في التوراة والانجيل . *

والاسلام — بصفة عامة — يعترف بكل الديانات السماوية التى سبقت محمدا (ﷺ) ويحث المسلمين على التعامل مع أصحابها بكل الاحترام ومراعاة مشاعرهم ، والحفاظ على كنائسهم ومعابدهم ودور العبادة الخاصة بهم انطلاقا من الحقيقة القرآنية الخالدة التى ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة الكافرون . *

(٣٨) سورة المائدة : آية (٧٥) .

(٣٩) عيد الغفر عزيز : الخطابة الدينية بين النظرية والتطبيق . القاهرة .

مؤسسة الوفاء للطباعة والنشر . ١٩٨٣ . ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

« لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولى دين » (٤٠) *

وهذه الحقيقة لن يجليها الا الدعاة المؤهلون لهذا الغرض من خلال الاتصال المباشر مع الجماهير العربية بصفة عامة والمسيحيين منهم بصفة خاصة *

(٤٠) سورة الكافرون : آية (٢ - ٦) .

ثالث عشر - خلق جسور من التعاون مع قادة الفكر والعناصر الاسلامية المتميزة في العالم المتقدم

باستعراض التاريخ الانساني قديمه وحديثه سنجد أن من حكمة الله تعالى أن خلق أشخاصا تتجسد فيهم القدرة على اجتذاب جموع الناس واستثارة الاستجابة التلقائية لديهم لما يطرحه هؤلاء الأشخاص من معتقدات وما يعرضونه من سياسات ، ويرى الباحثون والخبراء أن لهؤلاء القادة مقدرة على استقطاب عواطف الجماهير ومشاعرهم ، وأن هذه القدرة هبة سماوية أطلق عليها الباحثون لفظة كارزما Charisma ويعنون بها الصفات غير العادية التي يتميز بها القادة المجددون في المجتمع ، والتي تقوم على الاعتقاد بأن لهم قوى دينية ، أو سحرية ، ويستطيع هذا القائد أن يخاطب قلوب وعقول الجماهير التي تعلق به^(٤١) .

هؤلاء الذين يطلق عليهم العلماء قادة الرأي أو قادة الفكر وهم أولئك الأشخاص الذين تقصدهم الجماهير لطلب النصيحة والحصول على المعلومات وهم الذين يلعبون أدوارا بارزة في مجال نشر الأفكار الجديدة والمستحدثة ، ويلجأ هؤلاء القادة عادة الى استخدام مصادر أكثر موضوعية وأكثر دقة وأكثر انفتاحا على العالم الخارجى من تلك التي تستخدمها الجماهير العادية ، كما أن لديهم قدرا أكبر من المشاركة في الحياة العامة ويتمتعون بمراكز اجتماعية أعلى من تابعيهم ، وبالتالي فانهم أكثر قابلية لابتكار وتبنى الأفكار الجديدة ، وأكثر مرونة في الحصول على المعلومات التي تسهم في الحفاظ على مستواهم الاجتماعى ووضعهم القيادى .

ويمارس هؤلاء القادة في واقع الأمر تأثيرا شديدا على غيرهم من الناس ، والتأثير الشخصى هو أكثر العوامل ظهورا وأقنواها فاعلية في مجال تكوين الأفكار ، ويعتمد الناس في مواقف اتخاذ القرارات اعتمادا كبيرا على التأثير الشخصى الصادر عن هؤلاء القادة .

(٤١) اسماعيل على سعد : الاتصال والرأى العام . الاسكندرية . دار المعرفة الجامعية . ١٩٧٩ . ص ٦٥ .

ويسهم التأثير الشخصي في دعم التفاهل بين الآراء حول الأفكار الجديدة ، ذلك أن معظم الأفراد يميلون الى الربط بين آرائهم وآراء غيرهم من الناس ، أى أن التأثير الشخصي لا يساعد فقط على تكوين آراء أصيلة عن فكرة جديدة أو مستحدثة ، ولكنه يصادق على هذه الآراء بمجرد وجودها (٤٢) •
وقادة الفكر أقدر العناصر على ممارسة التأثير الشخصي وتوجيه الجماهير من خلال هذه الوسيلة الحيوية •

وهذا يتطلب اعداد الدراسات العلمية لجماهير الرأى العام في دول العالم المختلفة بهدف استكشاف العناصر المؤثرة والقيادات الجماهيرية سواء قيادات سياسية أم دينية أم اجتماعية • والاتصال بهذه القيادات وخلق صيغة للتعاون معهم وتزويدهم بالحقائق والمعلومات عن الدين الاسلامى وتحصينهم ضد حملات الدعاية المضادة ، واستثمار الظروف المختلفة في هذه الدول لاستمالة هذه العناصر القيادية وكسبها لصالح القضايا الاسلامية بمختلف طرق الجذب والاقناع المتاحة ، لأن هؤلاء بدورهم سوف يأخذون على عواتقهم مهمة الدفاع عن الاسلام ، أو على الأقل منع تسرب الأخطاء والفهم الباطلة التى تلصق به •

من هنا تبرز أهمية وجود مؤسسات اعلامية اسلامية في الخارج تخطط لهذه المهمة بمهارة وصادق وتواصل الجهد والعمل والمتابعة والتقويم لهذه المهمة •

وتضم دول العالم الغربى العديد من المفكرين وقادة الرأى الذين أسلموا وكذلك المتفهمين لروح الاسلام والمتعاطفين مع المسلمين سواء الذين جاءوا أصلا من دول العالم الاسلامى أم أبناء الدول الغربية •

وقد برزت على مدى التاريخ أصوات منصفة استطاعت بعد فهم

(٤٢) ايفريت م. روجرز : الأفكار المستحدثة وكيف تنتشر • ترجمة سامى ناشد • القاهرة • عالم الكتب • ١٩٦٢ • ص ٢٧٦ •

عميق ودراسة مستفيضة أن تدرك طبيعة هذه الرسالة وتعلن رأيها فيما احتوته
بتجرد وموضوعية *

ومن أبرز هؤلاء الذين ظهروا على الساحة الدولية روجيه جارودى الذى
اعتنق الاسلام عام ١٩٨٠ ، وكرس جهده فى السنوات الأخيرة للكتابة فى مشكلات
العالم الاسلامى والقضايا الاسلامية وصلاتها بالغرب ، وأفرد لهذه القضايا
من كتبه الشهيرة « وعود الاسلام » و « وهل يقترن الاسلام بمصير الغرب » *

وموريس بوكاي ، الذى درس القرآن ككتاب سماوى وأصدر كتابه
« دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة » ثم اعتنق الاسلام *

ومونتى المستشرق الفرنسى المعاصر الذى اعتنق الاسلام بعد دراسة
وبحث وتأمل وغيرهم الكثير على مدى التاريخ الاسلامى الحديث والمعاصر (٤٣) *

(٤٣) جريدة الأهرام : ٢٢/١٠/١٩٨٢ .

رابع عشر - الاستفادة من الخلل الاجتماعى والاقتصادى

والسياسى فى العالم الغربى وتقديم البديل الاسلامى

أسسـفرت التجربة الغربية فى كثير من الأمور الاجتماعية والاقتصادية والسياسية عن سلبيات وعيوب يصعب علاجها ، تنقف أمامها هذه النظم عاجزة حائرة لا تعرف كيف تواجه هذه السلبيات وتلك العيوب أو تحكم السيطرة عليها .

فعلى الصعيد الاقتصادى لم تحل الرأسمالية المشكلة الاقتصادية لهذا العالم ولكنها زادت الفقراء فقرا والأغنياء غنى ، على الرغم من مظاهر الترف والرفاية الظاهرة فى هذه المجتمعات .

وعلى الصعيد الاجتماعى تعرض كثير من الكيانات الاجتماعية للأعصار ، وعصفت النظم الاجتماعية السائدة بالعديد من الجماعات الأولية كجماعة الأسرة على سبيل المثال وغدت علاقة الآباء بالأبناء ، وعلاقة الزوج بزوجه والأشقاء بعضهم ببعض يحكمها الصراع المادى الدائر الآن على الساحة فى النظم الغربية .

وكشفت الحرية الجنسية عن أمراض مخيفة تهدد كيان المجتمعات الغربية وتؤثر على حاضرها ومستقبلها . ولعل كاثرة الايدز وارتفاع معدل اللقطاء والضائعين فى هذه المجتمعات خير شاهد على ذلك .

وهذه السلبيات وذلك الخلل يعد فرصة سانحة لخطط الدعوة والاعلام نستطيع من خلالها تذكير الناس فى هذه المجتمعات بأن هناك ديننا يحث على الفضائل ، ويسمو بفكر الجماهير وغرائزهم ويدعو الى العفة ويحول دون إنتشار الرذيلة ويحافظ على صحة الانسان النفسية والعقلية والبدنية ويجد حلا لكافة مشاكلهم ويرعى العلاقات الفطرية بين ذوى الأرحام ، ويسهم فى تحقيق

السعادة للإنسان ، كما يسهم في علاج العديد من الأمراض التي انتشرت في هذه الدول وبين شعوبها .

وبالتالى فانه يصبح من الأهمية بمكان تعريف هذه الشعوب بحقائق هذا الدين ، وتقديم عرض موضوعى مبسط لمعالجته للقضايا المختلفة التي تواجهها .

ويمكن لدعاة الاسلام استثمار هذه الأوضاع الغريبة والشاذة والحالات التي تكشف خلالها في طبيعة النظم السائدة في هذه المجتمعات للضرب على هذه الأوتار وإيقاظ الجماهير وتنبيههم الى ما يهددهم من أخطار وتقديم رؤيته للعلاج الروحي والنفسي والبدني لانقاذهم من الموقف المتردى الذي يكتف حياتهم المعاصرة .

وكيف يمكن تحقيق ذلك دون اقامة نظام اتصال اسلامى متقدم يضم كوكبة من الدعاة المخلصين والقادرين على التعامل مع متغيرات العصر والاستفادة من كل ظرف يفرض نفسه على ساحة الحياة في هذه المجتمعات بالحكمة والموعظة الحسنة بعد دراسة وفهم لطبيعة الظروف وطبيعة المجتمع والنظم والمعارف والقيم السائدة في هذا المجتمع .

وهذا يعد من أهم العوامل التي تعطى للمؤسسات الاعلامية الاسلامية ومنابر الدعوة أهمية خاصة ، ومكانة متميزة لتأخذ على عاتقها وضع الخطط العلمية واجراء الدراسات ومتابعة ما يدور من أحداث ، وانتهاز الفرص لكشف الحقائق وعقد المقارنات بين الأوضاع السلبية القائمة والأوضاع الصحيحة والمثالية ، وتحويل ذخيرة الهجوم على الاسلام التي تشنها الجهات الكارهة والعناصر الحاقدة على هذا الدين الى ذخيرة للدفاع عن الاسلام والهجوم على أعدائه ، فتعدد الزوجات أفضل من ارتكاب الرذيلة والخيانة الزوجية وانتشار الأمراض الخطيرة ، والطلاق حل للعديد من المشاكل والتزام المرأة في سلوكها وزياها أحسن لكرامتها وأحفظ لأنوثتها وأكرم لها من الضياع ، وتماسك الأسرة وصلة الرحم أفضل للاباء وأحسن وأكرم للأبناء من الضياع الذي يعاني منه الطرفان . . وهكذا .

خامس عشر - مواجهة الحملات الاحادية والماركسية

ومحاربة الاستشراق الصليبي

يزعم ماركس أن الدين من صنع العقل البشرى ، وعالم الدين ما هو الا انعكاس للعالم الواقعي الذي يعيش فيه الانسان ، والدين في الحياة البدائية وليد القوى الخفية المسيطرة على حياته اليومية . ويرى ماركس أن المسيحية نظام دنيوى نابع من حاجات المجتمع ويدل على ذلك بأنه عندما وصلت البرجوازية الى السلطة في أوروبا عملت على أن توجد ديناً لها ومن هنا كانت البروتستانتية احتجاجاً على الكاثوليكية .

ويرى ماركس أن البروتستانتية عقيدة الرأسمالية ، ويزعم ماركس أن الدين لن يكتب له الاستمرار والبقاء ، ولكن عندما يسيطر الانسان على الآلة لن يصبح في حاجة الى الدين بل ان القضاء على الطبقات سيؤدى الى ذبول الدولة وهنا ينتهى الدين الذى كان يعكس المفارقات ولم يكن ماركس أول ولا آخر من يشن الحملات ضد الدين بصفة عامة ، ولكن هناك الكثير من أصحاب العقائد والأفكار الأخرى توضح الخطأ العلمية وتعد الحملات الدعائية على الدين بصفة عامة وتخص الاسلام بالمزيد من الاتهامات والدعاوى الباطلة والحملات المنظمة .

وهذه القوى تعارض فكرنا وتكره شعارنا وتثير الشبه ضد قضايانا وتحاول بكل طريقة النيل منا ونحن مضطرون أن نلاحظ ذلك فيما نقول ونفعل ، ولا نرد ردا مباشرا ، بل نعد خططنا على نحو يكشف في هدوء ما قد يثار ضدنا ويشرح بلطف قضايانا وأمورنا ، واذا احتاج الأمر الى مقارعة اعلام آخر يتهم علينا التزمنا فضائل الاسلام في الرد والتمحيص فذلك أليق وأجدى^(٤٤) .

(٤٤) محمد على العوينى : أصول العلوم السياسية . القاهرة . عالم الكتب . ١٩٨١ . ص ١٠٢ .

ويمكن بسط هذه القضية عن طريق المقال والكتاب والقصة والتعليق والخبر وأحياء التاريخ الماضي ، وكشف الحقائق والنقائص في التاريخ المعاصر ، وعقد الدراسات وغير ذلك مما يحيط عن المسلمين أوزار هذا الظلم الفادح .

ومن القضايا التي طعنت الاسلام في الغرب قضية الاستشراق وهي قضية لها أبعاد سياسية خطيرة ، فهي لم تكن في يوم من الأيام محاولة علمية لاستجلاء صورة الشرق ، ولم تكن في يوم من الأيام عنصراً يمتلك الموضوعية فيما يبحث وينقب ، ولعل الاستشراق كان صيحة من صيحات الحرب بين الصليبية والاسلام .

وكان تزويراً فاحشاً للحقيقة والتاريخ والموضوعية . ومن المستشرقين من نسب الى الاسلام والرسول أكاذيب لا يليق توجيهها حتى للإنسان العادي^(٤٥) .

تلك هي مظاهر الاستشراق الصليبي الذي يقوم على تشويه لصورة الحقيقة وتزوير الوقائع التاريخية وطعن لمبادئ السماء . . . وقد عمل الاستشراق جهده ليؤثر على الرأي العام الغربي من خلال الكتب والمراجع والمجلات العلمية ووسائل الاتصال المختلفة .

وإذا كانت الماركسية والشيوعية والاستشراق والصهيونية والصليبية تختلف فيما بينها فإنها جميعاً تتفق على حرب الاسلام ورجاله .

وإذا كانت العلمانية قامت على مبدأ فصل الدولة عن الدين وإقصاء الدين عن واقع حياة المجتمع ، وقصره على دور العبادة ثم تنظيم العلاقة بين الإنسان وربه كخطوة أولى للتخلص من الدين ، فإن الشيوعية قد خطت نحو الكفر خطوات فأعلنت الدين مخدراً للشعوب ، ويجب تخليص الناس تماماً منه وأنشأت في موسكو المعهد العالي للإلحاد ، وهو أبرز المعاهد العلمية التي تديرها الأكاديمية السوفيتية التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعي .

(٤٥) محمد الفزالي : المرجع السابق . ص ١٨٥ .

ويهدف هذا المعهد الى وضع المخططات العلمية للالحاد ويقوم بتزويد علماء الحزب النشيوعى خارج الاتحاد السوفيتى بالمخطط المدرسة التى يسيرون عليها فى دعوتهم للالحاد ، ومن بين هذه الخطط ما أصدره هذا المعهد بعنوان « خصائص نشر الالحاد بين المسلمين » وقد جاء فيه : يمكن لداعية الالحاد بل يجب عليه أن يدلى بنقده شامل للقرآن ، وعليه أن يقوم بهذا العمل على مراحل ، فيعبر الداعية الملحد فى أول الأمر عن شكوكه فى أن يكون هذا الكتاب من عند الله ، وعلى الداعية الملحد أن يكون فى المرحلة الأولى حريصا على مشاعر المسلم فلا يهاجم القرآن هجوما مباشرا منذ البداية وإنما يدع ذلك لمراحل قادمة يكون المسلم فيها قد تشكك فعلا فى القرآن ، فاذا اطمأن الداعية الملحد الى شك المسلم فى ربانية القرآن وفى نبوة محمد يمكن بعد ذلك اقناعه بالالحاد *

وهى خطة خبيثة يصعب مواجهتها والقضاء عليها فى غيبة استراتيجية علمية يتم فيها تحصين جماهير المسلمين بالحقائق وتوعيتهم بهذه المخططات وبكل ما ينشر أو يذاع ، وجعلهم على بصيرة بما يدور حولهم من مؤامرات تستهدف حرب الاسلام والمسلمين من قبل أفراد يتخفون وراء الاسلام وقد يحملون أعلى الألقاب العلمية ، وقد يعتلون أرقى المناصب وأكبر السلطات *

« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » (٤٦) *

ولن يتم وضع هذه الاستراتيجية بدون مؤسسات اعلامية. تقام فى قلب هذه المجتمعات تدرس أوضاعها وقوانينها وعادات شعوبها وقيمهم ومثلهم وآمالهم وآلامهم والأفكار والمعارف السائدة بينهم ثم تضع الخطط الكفيلة باحتواء هذه الهجمات وعرض الحقائق وتقديم النموذج الأمثل من خلال القدوة والسلوك الاسلامى الصحيح *

(٤٦) سورة التوبة : آية (٣٢) *

سادس عشر — ارساء نظام اسلامى قوى للاتصال الدولى

يتعامل الجمهور المسلم مع وسائل اعلامية غالبيتها تقليدية ، وامكاناتها التكنولوجية والبشرية متواضعة ، على الرغم من وجود بعض الدول الاسلامية التى لديها قدرات اعلامية لا بأس بها ، ولكن العمل الاعلامى فى الدول الاسلامية بصفة عامة يعانى من ضعف فى الوسائل كما يعانى من مجموعة المناهقين وغير الأكفاء الذين يجيدون التملق والرياء والمداينة ويمارسون هذا النشاط ، مما أسهم فى تدهور الأوضاع الاعلامية لهذه الدول •

ولذلك كان المجال مفتوحا أمام سيطرة الاعلام الخارجى على العالم الاسلامى سواء جاء ذلك عن طريق الراديو أم التليفزيون أم وكالات الأنباء أم الأفلام والشرائح المصورة ، أى أن طغيان الحملات الاعلامية الدولية التى يتعرض لها المسلمون ، جعل المسلمين يعانون من الغزو الفكرى القادم من الخارج أو التدفق الاعلامى الدولى ، كما جعل الدول الاسلامية تعرف أخبار بعضها البعض عبر وسيط غير مسلم متمثلا فى وكالات الأنباء أو الاذاعات وأجهزة الاتصال الدولية •

وإذا نظرنا الى أجهزة الاعلام الاسلامية فسنجد أنها تعتمد أساسا على الفكر الأجنبى ، وتربط نفسها بقيم ومفاهيم غربية على الاسلام ، أى أن وسائل الاعلام الاسلامى لا تضطلع بالمسئوليات المنوطة بها على الوجه الأكمل للارتقاء بالمسلمين •

وإذا كان المسلمون مكلفين ببسط وجهة النظر الاسلامية فى كل شىء مقرونة بالأدلة المقنعة التى توضح موقف الاسلام وتحدد ماهية المسلمين وماذا يريدون فإن أجهزة الاعلام الاسلامية يجب أن تنطلق بحكم ما لديها من ثروة طائلة تحوى الحقائق والمعلومات الدينية والاجتماعية والسياسية ، لأن هذه الثروة تحتاج الى ذكاء وإخلاص لتنظيم استكشافها وترتيبها ، كما تحتاج الى لباقة

واسعة في قرع الآذان بها أو تفتيح الأعين عليها ، ومن خلال خطط اعلامية منظمة يجب أن ترسم صورة صادقة لرسالة محمد (ﷺ) لا زيادة فيها ولا نقص (٤٧) .

والعبء ثقيل على أجهزة وخطط الدعوة الاسلامية التي ينبغي أن تعمل ليلا ونهارا لمحو هذا الجهل الغالب .

ومن هنا لابد من اعداد برامج طويلة المدى وأخرى قصيرة لأن صوت الاسلام في ميدان الاعلام يجب أن يكون جهوريا حتى لا يعاني العالم الاسلامي من التبعية في مجال الاتصال والاعلام شأنه في ذلك شأن العديد من البلاد النامية .

ان فهم المجتمع الدولي للقضايا الاسلامية يتوقف على وضع استراتيجية اعلامية صحيحة ، واختيار واستخدام الوسائل والأدوات والطرق الفعالة والمناسبة لظروف الجماهير التي يتوجه اليها الاسلام بدعوته مع مراعاة الظروف الثقافية والاجتماعية والاقتصادية السائدة في هذه الدول والجماعات عند محاولة اقناع الجماهير بعدالة القضية ، وصحة الفكرة المطروحة وسلامتها (٤٨) .

وتعد مهارات الاتصال مسألة ضرورية لنجاح الخطة ، حتى يمكن توصيل الفكرة المستهدفة ونقل الآراء ووجهات النظر الى الجماهير بأسلوب أكثر تأثيرا وفاعلية ، ذلك أن الهدف الأساسي من الاتصال هو توصيل المعلومات والاقناع بها .

وفي الحقيقة أن عدم توافر مهارات الاتصال بالنسبة للمرسل يؤدي الى انعدام فاعلية الاتصال كمهارة التحديث والكتابة والمهارة في استخدام الوسائل الحديثة التي تنوعت وتعددت .

(٤٧) محمد الفزالي : المرجع السابق . ص ١٨١ .
 (٤٨) على أحمد على : أسس العلوم السلوكية والنفسية : القاهرة . مكتبة عين شمس . ١٩٧٣ . ص ١٩٨ .

والاتصال الإسلامى يجب أن ينطلق من القيم والمفاهيم التى تسيطر على المجتمع الذى يتوجه اليه ، وبالتالي فإن عليه أن يخضع فى برامج وخطته للعقيدة الإسلامية ، وبالتالي فإنه يجب تزويد الخطط والبرامج الإعلامية بالقيم الصافية وتطويعها للتطبيق العملى بارادة قسوية وطموح غير محدود ، واستيعاب تقنيات الوسائل الإعلامية الحديثة علما وممارسة ، وصنع المضمون والمحتوى الإعلامى بالصيغة الإسلامية والتقليل من أساليب الوعظ المباشر والبعد عن الندوات التقليدية والخروج به الى رحاب أوسع باستخدام الفنون الإعلامية الحديثة لاجتذاب المشاهد أو المستمع أو القارئ ، مع الاهتمام الجاد بالجانب الترفيهى الهادف لايجاد البديل الإسلامى والملتزم^(٤٩) .

ويجب على خطط الاعلام الإسلامى أن تعكس الصورة الصحيحة للمفاهيم والقيم الإسلامية وتكون صادقة لما ينشد المسلمون من خير للحياة والأحياء .

وحيث ان الاسلام دين ودولة ايمان ونظام ، فإنه يجب أن يراه العالم أجمع من خلال وسائل الاتصال المتاحة جميعها فليس هناك طريقة واحدة لى يؤدى الاعلام الإسلامى هذه الوظيفة المقدسة .

وهذا يكشف عن الأهمية الحيوية للمؤسسات والمنابر المخصصة للدعوة والاعلام وذلك فى كل بلد غير اسلامى لينطلق منها صوت الاسلام معلنا هويته معبرا عن حقيقته .

(٤٩) محمود سفر : المرجع السابق . ص ٤٧ .

مصادر البحث ومراجعته

- اولا — القرآن الكريم .
ثانيا — السنة المطهرة .
ثالثا — الكتب .
- ١ — أبو بكر جابر الجزائري . منهاج المسلم . القاهرة . مكتبة الدعوة
الاسلامية . ١٩٦٤ .
- ٢ — أحمد أبو زيد . الاستشراق والمستشرقون . الكويت . عالم الفكر .
١٩٨٤ .
- ٣ — أحمد بدر . الرأي العام . طبيعته وتكوينه وقياسه ودوره في السياسة
العامية . القاهرة . مكتبة غريب . ١٩٧٧ .
- ٤ — اسماعيل على سعد . الاتصال والرأي العام . الاسكندرية . دار المعرفة
الجامعية . ١٩٧٩ .
- ٥ — السيد سابق . عناصر القوة في الاسلام . بيروت . دار الكتاب
العربي . ١٩٨٦ .
- ٦ — السيد محمد الوكيل . أسس الدعوة والدعاة . جدة . دار المجتمع
للنشر والتوزيع . ١٩٨٤ .
- ٧ — أنور الجندي . نوابع الفكر الاسلامي . بيروت . دار الرائد العربي .
١٩٧٢ .
- ٨ — توفيق الحكيم . التعادلية في الاسلام . القاهرة . المطبعة النموذجية .
١٩٨٣ .

- ٩ — توفيق يوسف الواعى . الدعوة الى الله . الكويت . مكتبة
الفلاح . ١٩٨٦ .
١٠. — جلال الدين عبد الرحمن السيوطى . حسن المحاضرة فى تاريخ مصر
والقاهرة . ج ١ . القاهرة . مكتبة ومطبعة البابى الحلبي بمصر .
١٩٥٧ .
- ١١ — جيهان رشتى . الأسس العلمية لنظريات الاعلام . القاهرة . دار الفكر
العربى . ١٩٧٢ .
- ١٢ — جيهان رشتى . نظم الاتصال . القاهرة . دار الفكر العربى . ١٩٧٢ .
- ١٣ — جيهان رشتى . النظم الاذاعية فى المجتمعات الغربية .
- ١٤ — حسن ابراهيم حسن . تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى
والاجتماعى . ج ١ . ط ٤ . ١٩٧٣ .
- ١٥ — حسين فوزى النجار . الدولة والحكم فى الاسلام . القاهرة . دار
الحرية . كتاب الحرية . العدد الرابع . ١٩٨٥ .
- ١٦ — زهير الأمرجى . الراى العام الاسلامى وقوى التحريك . بيروت . دار
التعارف والطبوعات . ١٩٨٢ .
- ١٧ — زين الدين أبى الفرج بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلى البغدady .
جامع العلوم والحكم . ط ٥ . القاهرة . مكتبة الدعوة الاسلامية . ١٩٨٠ .
- ١٨ — سامية جابر : القانون والضوابط الاجتماعية . الاسكندرية . دار المعرفة
الجامعية . ١٩٨٣ .
- ١٩ — سعيد حوى . الاسلام . ج ٢ . القاهرة . دار الاعتصام . د. ت .
- ٢٠ — سيد قطب . فى ظلال القرآن . مج ١ . ج ١ . ١ — ٤ : بيروت .
دار الشروق . ١٩٧٣ .
- ٢١ — سيد قطب . فى ظلال القرآن . مج ٢ . ج ٥ — ٧ . بيروت . دار
الشروق . ١٩٧٣ .

- ٢٢ — عائشة عبد الرحمن . القرآن وقضايا الانسان . بيروت . دار العلم للملايين . ١٩٨٢ .
- ٢٣ — عبد الحميد اسماعيل الأنصارى . الشورى وأثرها في الديمقراطية . ط ٢ . القاهرة . الهيئة المصرية للطباعة والنشر . ١٩٨٠ .
- ٢٤ — عبد الغفار عزيز . الخطابة الدينية بين النظرية والتطبيق . القاهرة . مؤسسة الوفاء . ١٩٨٢ .
- ٢٥ — عبد الفتاح مقلد الغنيمى . الاسلام والثقافة العربية في أوروبا . القاهرة . عالم الكتب . ١٩٧٩ .
- ٢٦ — عبد القادر وهبى العلوى . الدعوة الاسلامية في مواجهة خصومها . الدار البيضاء . مطبعة النجاح الجديدة . ١٩٨١ .
- ٢٧ — عبد الكريم زيدان . أصول الدعوة . ج ١ . بيروت . مطابع المختار الاسلامى .
- ٢٨ — عبد اللطيف حمزة . الاعلام له تاريخه ومذاهبه . القاهرة . دار الفكر العربى . ١٩٦٥ .
- ٢٩ — عطية صقر . الدعوة الاسلامية دعوة عالمية . الكويت . مؤسسة الصباح . ١٩٨٠ .
- ٣٠ — عفيف عبد الفتاح طيارة . مع الأنبياء في القرآن الكريم . ط ٤ . بيروت . دار العلم للملايين . د.ت .
- ٣١ — عفيف عبد الفتاح طيارة . روح الدين الاسلامى . ط ١٦ . بيروت . دار العلم للملايين . ١٩٧٧ .
- ٣٢ — على سرور الزنكلونى . الدعوة والدعاة . القاهرة . مكتبة وهبة . ١٩٧٩ .
- ٣٣ — على أحمد على . أسس العلوم السلوكية والنفسية . القاهرة . مكتبة عين شمس . ١٩٧٣ .

- ٣٤ — على عبد الواحد وافي . حقوق الانسان في الاسلام . القاهرة . دار نهضة مصر للطبع والنشر . ١٩٧٩ .
- ٣٥ — محمد ابراهيم الفيومي . القلق الانساني مصادره وثيراته وعلاج الدين له . القاهرة . دار الفكر العربي . ١٩٨٤ .
- ٣٦ — محمد أبو زهرة . المجتمع الانساني في ظل الاسلام . ط ٢ . جدة . الدار السعودية للنشر والتوزيع . ١٩٨١ .
- ٣٧ — محمد أبو زهرة . النصرانية . القاهرة . دار الفكر العربي — ١٩٦٦ .
- ٣٨ — محمد السيد الوكيل . أسس الدعوة وأدب الدعاة . جدة . دار المجتمع للنشر والتوزيع . ١٩٨٤ .
- ٣٩ — محمد الغزالي . الدعوة الاسلامية تستقبل عامها الخامس عشر . بيروت . ذات السلاسل . ١٩٨٠ .
- ٤٠ — محمد حسين هيكل . حياة محمد . ط ٣ . القاهرة . دار الكتب المصرية . ١٣٥٨ هـ .
- ٤١ — محمد عبد القادر حاتم . الاعلام والدعاية . نظريات وتجارب . القاهرة . مكتبة الأنجلو المصرية . ١٩٧٢ .
- ٤٢ — محمد عبد القادر حاتم . الاعلام في القرآن . لندن . مؤسسة فادي برس . ١٩٨٥ .
- ٤٣ — محمد على الصابوني . من كنوز السنة . الاسكندرية . دار الفتح الاسلامي . ١٩٧٠ .
- ٤٤ — محمد على العويني : العلاقات الدولية المعاصرة . القاهرة . مكتبة الأنجلو المصرية . ١٩٨٢ .
- ٤٥ — محمد على العويني . أصول العلوم السياسية . القاهرة . عالم الكتب . ١٩٨١ .

٤٦ — محمد يوسف موسى : الاسلام وحاجة الانسانية اليه . القاهرة . دار الفكر العربى . ١٩٦١ .

٤٧ — محمود سفر . الاعلام موقف . جده . مؤسسة تهامة . ١٩٨٢ .

٤٨ — منير القاضى ومحمد خلف الله .

٤٩ — منير حجاب . نظريات الاعلام الاسلامى . القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب . الاسكندرية . ١٩٨٢ .

٥٠ — محيى الدين عبد الحليم . الاعلام الاسلامى وتطبيقاته العلمية . ط ٢ . القاهرة . مكتبة الخانجى . ١٩٨٤ .

٥١ — محيى الدين عبد الحليم . الرأى العام فى الاسلام . القاهرة . مكتبة الخانجى . ١٩٨٢ .

٥٢ — يوسف محمد عبد المقصود وآخرون . العلاقات العامة والخاصة فى الاسلام . القاهرة . دار الكتاب الجامعى . د.ت .

رابعاً — الكتب المترجمة :

١ — روجرز ايغريت . الأفكار المستحدثة وكيف تنشر . ترجمة سامى ناشد . القاهرة . عالم . ١٩٦٢ .

٢ — أرنولد ، سير توماس . الدعوة الى الاسلام . ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية . ١٩٧١ .

خامساً — الدوريات :

١ — الكتاب السنوى لعلم الاجتماع . العدد السادس . القاهرة . دار المعارف . ١٩٨٤ .

٢ — صحيفة الأهرام . القاهرة . ١٩٨٢/١٠/٢٢ .

٣ — صحيفة الأهرام . القاهرة . ١٩٨٢/٣/٢٩ .

سابعاً - المراجع الأجنبية :

1. A. L. A. Hart : Between Utility and Rights in the Idea of freedom, Oxford, Oxford University Press, 1979.
2. Allahbukhshik, Brohi : Universal Islamic Declaration in Islam and contemporary Society, London. Longman Limited, 1982.
3. Alan H. Monroe and Doglas : Principles of Speech. Sixthed. U.S.A, Scott Forseman and Company, 2969.
4. A. J. Arberry : Aspects of Islamic Vivilization. Michgan, The University of Michgan Press, 1967.
5. Bernard Porter : Britain, Europe and the world. Delusions of grander. London, leorge Alon and unwin Publishers Ltd. 1983.
6. Bernard lewis : Religion and Society. London, Basingstoke Macmillan Press Ltd. 1979.
7. Brown, Charles : Informing the People. New York. Pennsylvania State University. 1957.
8. Donald E. Rigge stephanic H. Stowe in Librery Leadership Visualizing the Future, Ory Press, Arizona.
9. Emery Edwin, Ault Philip and Agee Warren : Introduction to mass Communication 3rd. ed., New York, Dodd and Company.
10. Hamilton A. R. Gibb : Studies In the Civilization of Islam. New Jersey, Princeton University Press, 1962.
11. I. E. Von Grunebaum : The Source of Islamic Civilization

- in Islamic Society and Civilization, Vol. 2, London,
Cambridge University Press, 1970.
12. John Robert Voll : Islam, Continuity and Change in the
modern World, Boulder Colorado, U.S.A. Westview Inc. 1982.
 13. Joseph Klapper : The effects of Mass Communication,
New York Free Press, 1967.
 14. Karl Brockelman : History of Islamic Peoples. translated by
Joel Camlibael and Moshe Perlmann, London, Henry Lowe
and Brydome Printers Ltd., 1980.
 15. Nabil Sobhi Al Tawil : Development and under Development
in the Muslim World. Doha, Presidency of Sharia Courts
and Islamic Affairs. 1450 H.
 16. Norman, Daniel, The Arabs and mediaeval Europe.
Second Ed., London S. and New York, Longman group
Limited, 1979.
 17. R. H. C. Davis. A History of Medieval Europe, New York,
Longman group Limited.
 18. Sayed Hossein Nasr : Islam and the Rights of Modern man,
London, Longman group Ltd., 1975.
 19. Stephanie H. Stowe in Library Leadership, Visualising
the future. Arizona & Donald G. Rigge. Qrry and Press.
1982.
 20. Tomas of Marq : Boots of governors, Vol. 2.
 21. Wilbur Schramm : Men, Messages and Media, New York
Harper and Row Publishers. 1973.
 22. Wells, Herman and Willis Benjamin : Mass Communication
and Education Policies Commission, 1958.

الفهرس

الصفحة

مقدمة	٥
الفصل الأول : الدعوة الإسلامية وثورة الاتصال بالجمهور	
مكانة الاتصال في حياة الإنسان	١٣
غياب استراتيجية اعلامية اسلامية دولية	١٧
الاسلام والاعلام الدولي	٢٠
رسالة الاسلام بلاغ للناس كافة	٢٤
الاعلام عن الاسلام بين الخطط العلمية والداعية الحصف	٢٩
الفصل الثاني : السمات المميزة للاعلام الدولي الاسلامى	
الدعوة بالكلمة الطيبة والأسلوب الحسن	٣٧
بساطة الدعوة ووضوحها شكلا وموضوعا	٤٠
دعوة عقلية تقوم على المنطق والبرهان	٤٢
دعوة علم ورسالة حضارة	٤٥
فرضية الدعوة ووجوبها على المؤمنين جميعا	٥٠
الفصل الثالث : عالمية الاسلام وقومية الرسالات السماوية الأخرى	
دعوة عالمية واعلام دولى .. حقائق وبراهين	٦١
القرآن الكريم وعالمية الدعوة الاسلامية	٦٢
الممارسات الاعلامية الدولية لرسول الاسلام	٦٥

الصفحة

٦٥	الاتصال الدولي مع زعماء وملوك العالم
٦٨	شمولية الاسلام وكمال دعوته
٧١	معجزة محمد باقية وخالدة
٧٣	دعوة محمد اختتم الله بها سائر الدعوات السماوية
٧٥	رسول عربي ودين عالمي

الفصل الرابع : الدعوة الاسلامية والطبيعة البشرية

٧٩	الاخوة الانسانية
٨١	احترام الانسان من حيث هو انسان
٨٥	دعوة حق ورسالة عدل
٨٧	دعوة اساسها التسامح والرحمة والسلام
٩١	دعوة تلزم تابعها باحترام العهود والمواثيق
٩٣	الاسلام احتواء لكل الأديان واحتواء لها

الفصل الخامس : فضائل الاسلام ومثله العليا

١١٠	لا كهنوت ولا رهبانية في دعوة الاسلام ، ولكنها رسالة حياة ودعوة عمل
١١٥	دعوة مرنة غير جامدة ومعتدلة
١١٦	الحرية الانسانية وركائز الدعوة الاسلامية
١١٩	حرية التذكير والتغير
١٢٢	حرية العقيدة ورفض العنف والاكراه في تبليغ الدعوة والاعلام بالرسالة
١٢٦	الحرية السياسية
١٢٨	حرية التملك والتمتع بطيبات الحياة والحرية الشخصية

الصفحة

الفصل السادس : بيئة الاتصال في المجتمعات الليبرالية والمسئولية الاعلامية لمؤسسات الدعوة

- أولا : الحرية الدينية وحرية الرأي ١٣٢
- ثانيا : ثمار المعارف الاسلامية وتعطش الجماهير ١٣٧
- ثالثا : الارتباط العضوى بين المسلمين وعقيدتهم ١٣٩
- رابعا : زيادة اعداد الضائعين والتائهين في مجتمعات غادية فقدت الجوانب
الروحية في حياتهم ١٤١
- خامسا : مواجهة الحملات الاعلامية المضادة للاسلام وتصحيح صورته في
اذهان العالم ١٤٧
- سادسا : جمع شمل الاقليات المسلمة في الخارج وتكليفهم بمهمة الدعوة ... ١٥١
- سابعا : الترجمة الى شعوب الدنيا عبر العالم المتقدم ١٥٦
- ثامنا : زيادة مصالح واحتياج دول العالم الغربى للعالمين العربى والاسلامى ... ١٥٩
- تاسعا : الظروف التى تحكم المتغيرات الجديدة على الساحة الاسلامية ... ١٦٢
- عاشرا : ضرب المثل وتقدير القدوة وتصحيح الأخطاء التى تصدر من
بعض المسلمين فى الخارج ١٦٤
- احدى عشر : تزويد الراى العام العالمى بالرؤية الاسلامية للقضايا المعاصرة ١٦٧
- ثانى عشر : تعريف العالم بهوقف الاسلام عن المسيحية وغيرها من الديانات
الأخرى ١٧١

الصفحة

ثالث عشر : إخلق جسور من التعاون مع قادة الفكر والعناصر الإسلامية	
التميزة في العالم المتقدم	١٧٦
رابع عشر : الاستفادة من الخلل الاجتماعي والإقتصادي في العالم الغربي	
وتقديم البديل الإسلامي	١٧٩
خامس عشر : مواجهة الحملات الأحادية والماركسية ومحاورة الاستشراق	
الصليبي	١٨١
سادس عشر : إرساء نظام إسلامي قوي للاتصال الدولي	١٨٤
مصادر البحث ومراجعته	١٨٧

شركة دار الاشعاع للطباعة

١٤ شارع عبد الحميد — جنينة تلاميذ

السيدة زينب — القاهرة

ت : ٣٦٣.٤٦٩

دار الفكر العربي

الإدارة :
١١ ش. جوار صني - القاهرة
ص. ب. ١٣٠ ت ٣٩٢٥٥٢٣
تطلب جميع منشوراتنا من فروعنا

الفرع الرئيسي :
٢٦ ش. جوار صني - القاهرة
ت ٣٩٣٠١٦٧

فرع مدينة نصر :
٩٤ ش. عباس العقار / المنطقة
السادة - ت ٢٦١٩٠٤٩

فرع الدقي :
٢٧ ش. عبد العظيم راشد / متفرع
من ش. الدكتور شاهين - البحيرة
ت ٧١٧٤٩٨

مؤسسة
دار الكتاب الحديث
للطباعة والنشر والتوزيع
الكويت

ص. ب. ٦٠٥٦ / الملكية ٢٢٠٧١
٥٧٤٨١٦٥٠ ٦ ٥٧٤٨٥٧١